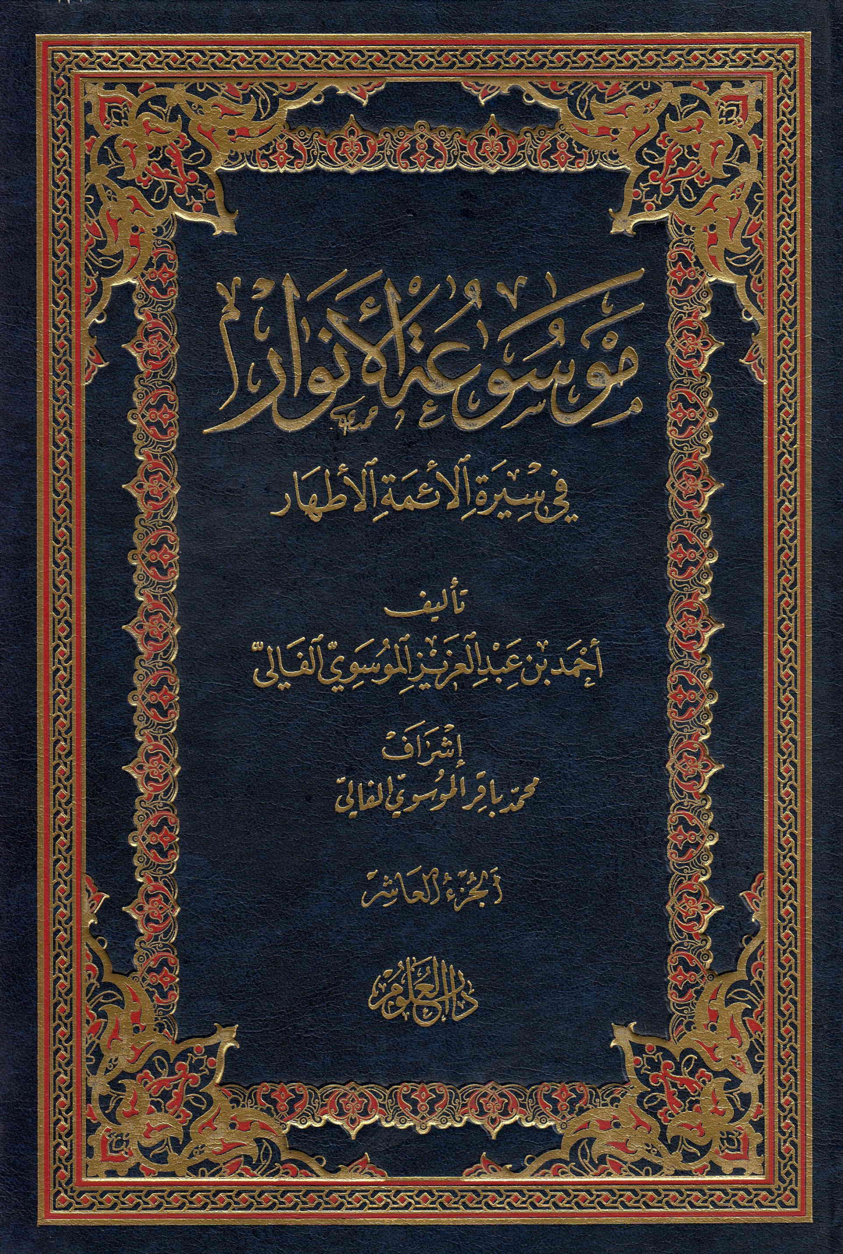


موسوعة الأنوار
في سيرة الأئمة الأطهار
تأليف
أحمد بن عبد العزيز الموسوي الفالي
إشراف
محمد باقر الموسوي الفالي
الجزء العاشر
دار العلوم


موسوعة الأنوار
في سيرة الأئمة الأطهار

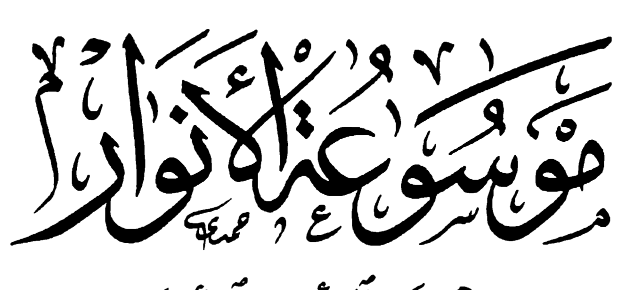
الطبعة الأولى

١٤٣١هـ/٢٠١٠م





المكتب : الرويس - بناية عروس الرويس - تلفاكس : 01/545182 - 03/473919
ص . ب : 140 / 24 - المستودع : بئر العبد - مقابل البنك اللبناني الفرنسي - هاتف : 01/541650
www.daraloloum.com E-mail:info@daraloloum.com



في سيرة الأئمة الأطهار

تأليف

أحمد بن عبد العزيز الموسوي الفالي

إشراف

محمد باقر الموسوي الفالي

الجزء العاشر



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ اُهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

صِرَاطَ الَّذِينَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد الخلق أجمعين، أشرف الأنبياء والمرسلين محمّد النبيّ الأمين، وعلى خلفائه الطيبين الطاهرين المعصومين، أهل بيته المكرّمين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا، واللعنة على أعدائهم أجمعين، من الآن إلى قيام يوم الدين.

بين يديّ أخي الفاضل الجزء العاشر من كتابنا خلفاء الرسولﷺ؛ نبحث فيه بعض فضائل وأحوال الخليفة الثامن لرسول اللهﷺ؛ الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، وولده الخليفة التاسع؛ الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام اللذان ورد اسميهما من بين مَن أخبر عنهم رسول اللهﷺ بكونهم الأحقّ بخلافتهﷺ نصّاً، قائلاً: يكون بعدي إثنا عشر خليفة.[1] فضلاً عن تصريحهﷺ بنصاب أسمائهم عليهم السلام واحداً بعد واحد[2].

نسأل الله عزّ وجلّ أن يجعلنا من المتمسّكين بولايتهم، والعاملين بنهجهم؛ إنّه سميع مجيب. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

أحمد بن عبد العزيز الموسوي الفالي
قمّ المقدّسة

---

١. مسند أحمد: ج٥ ص٩٢، حديث جابر بن سمرة.

٢. أنظر فرائد السمطين للحمويني: ج٢ ص١٥١ رقم٤٤٦، وج٢ ص١٣٢ رقم ٤٣١، وينابيع المودّة للقندوزي الحنفي: ج٣ ص٢٨١ ب٧٦ في بيان الأئمّة الإثني عشر بأسمائهم.

فصل في

حسبه ونسبه وولادته عليه السلام

هو: الإمام علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

وأمّه الزكيّة أمّ ولد، تُسمّى بعدّة أسماء، منها: الخيزران، وأروى النوبيّة، ونجمة، وتكتُم، وسَكَن، وسُمانة.

قال الشيخ سليمان القندوزي الحنفي نقلاً عن محمد خواجة بارسا البخاري في «فصل الخطاب»:

كانت أُمّه عليها السلام من أشراف العجم، ومن أفضل النساء في عقلها ودينها، وإعظامها لحميدة أُمّ الكاظم عليه السلام حتّى أنّها ما جلست بين يديها منذ ملكتها؛ إجلالاً لها، وكان الرضا عليه السلام يرتضع كثيراً، وكان تام البدن، قالت ـ أُمّه ـ: أعينوني بمرضعة.

فقيل لها: أينقص درّك؟

قالت: ما نقص درّي، ولكن عليّ ورد من صلاتي، وتحميدي، وتسبيحي.

وقالت: لمّا حملت بابني علي الرضا لم أشعر بثقل الحمل، وكنت أسمع في منامي تسبيحاً، وتحميداً، وتهليلاً من بطني، فلمّا وضعته وقع إلى الأرض واضعاً يده على الأرض، رافعاً رأسه إلى السماء، مُحرّكاً شفتيه، كأنّه يُناجي ربّه، فدخل أبوه عليه السلام، فقال لي: هنيئاً لك كرامة ربّك عزّ وجلّ. فناولته إيّاه، فأذّن في أُذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، فحنّكه بماء الفرات.[1]

---

١. ينابيع المودّة: ج٣ ص١٦٦ ب٦٥.

والحمويني في فرائد السمطين، قال: أمّا نسب الإمام الرضا عليه السلام فهو مذكور في الحديث المعروف بسلسلة الذهب الذي رواه الحاكم، وغيره. قال الحاكم:

حدّثنا أبو محمد أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هاشم البلاذري، قال: حدّثنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا، إمام عصره بمكّة، حرسها الله، سنة إحدى وخمسين ومائتين، قال: حدّثني أبي علي بن محمد المفتي، قال: حدّثني أبي محمد بن علي السيّد المحجوب، قال: حدّثني أبي علي بن موسى الرضا، قال: حدّثني أبي موسى بن جعفر المرتضى، قال: حدّثني أبي جعفر بن محمد الصادق، قال: حدّثني أبي محمد بن علي الباقر، قال: حدّثني أبي علي بن الحسين زين العابدين، قال: حدّثني أبي الحسين بن علي سيّد شباب أهل الجنّة، قال: حدّثني أبي علي بن أبي طالب سيّد الأوصياء، قال: حدّثني محمد بن عبد الله سيّد الأنبياء، قال: حدّثني جبرائيل سيّد الملائكة، قال: قال الله عزّ وجلّ سيّد السادات: «إنّي أنا الله لا إله إلا أنا، من أقرّ لي بالتوحيد؛ دخل حصني، ومن دخل حصني؛ أمن من عذابي».[1]

اختلف المؤرّخون في تاريخ ولادته عليه السلام، فقال محمد بن طلحة الشافعي: وأمّا ولادته ففي حادي عشر من ذي الحجّة سنة ثلاث وخمسين ومائة للهجرة بعد وفاة جدّه أبي عبد الله بخمس سنين.[2]

وقال الشيخ عثمان دده: ولد بالمدينة يوم الخميس الحادي عشر من ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين ومائة بعد وفاة جدّه الصادق بخمس سنين.[3]

والطبرسي في إعلام الورى، قال:

---

١. فرائد السمطين: ج٢ رقم٤٦٦.

٢. مطالب السؤول: ص٨٨.

٣. تاريخ الإسلام والرجال: ص٣٦٩.

ولدعليه السلام بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة من الهجرة، ويقال: إنه ولد لإحدى عشر ليلة خلت من ذي القعدة يوم الجمعة سنة ثلاث وخمسين ومائة، بعد وفاة أبي عبد الله ـ الصادقعليه السلام ـ بخمس سنين، وأمهعليها السلام أم ولد يقال لها: أم البنين، واسمها نجمة، ويقال: سكن النوبية، ويقال: تكتم...[1]

والفتّال النيسابوري في روضة الوعظين، قال: وكان مولدهعليه السلام يوم الجمعة، وفي رواية أُخرى: يوم الخميس لإحدى عشر ليلة خلت من ذي القعدة، سنة ثمان وأربعين ومائة.[2]

ومهما كان فإنّ كثيراً من الشيعة، وبالأخصّ أهل مشهده المقدّس يُقيمون في كلّ عام مهرجاناً عظيما لولادتهعليه السلام المباركة في ليلة الحادية عشر من ذي القعدة.

كنيتهعليه السلام: أبو الحسن.

وألقابه كثيرة، منها: الرضا، والصابر، والرضي، والوفي، سراج الله، ونور الهدى، وقرّة عين المؤمنين، والفاضل، والصدّيق.

وأشهرها: الرضا.

---

١. إعلام الورى بأعلام الهدى: ج٢ ص٤٠ الفصل الأوّل.

٢. روضة الواعظين: ص٢٣٦.

فصل في

وصف علماء السنّة له ﷺ

كلام ابن الصبّاغ المالكي

قال ابن الصبّاغ المالكي: قال إبراهيم بن العباس: ما رأيت الرضاعليه السلام سئل عن شيء إلا علمه، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقت عصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء، فيجيبه الجواب الشافي.

وكانعليه السلام كثير المعروف والصدقة، وأكثر ما يكون ذلك منه في الليالي المظلمة، وكان جلوسهعليه السلام في الصيف على حصير، وفي الشتاء على مسح[1]... قال بعض الأئمّة من أهل العلم:

مناقب علي بن موسى الرضاعليه السلام من أجلّ المناقب، وإمداد فضائله وفواضله متوالية كتوالي الكتائب، وموالاته محمودة البوادي والعواقب، وعجائب أوصافه من غرائب العجائب، وسؤدده ونُبله قد حلّ من الشرف في الذروة والمغارب، فلمواليه السعد الطالع، ولمناويه النحس الغارب.

أمّا شرف آبائهعليهم السلام فأشهر من الصباح المنير، وأضوء من عارض الشمس المستدير.

وأمّا أخلاقه، وسماته، وسيرته، وصفاته، ودلائله، وعلاماته فناهيك من فخار، وحسبك من علو مقدار جاز على طريقة ورثها عن الآباء، وورثها عنه البنون، فهم جميعاً في كرم الأرومة[2]، وطيب الجرثومة كأسنان المشط متعادلون، فشرفاً لهذا البيت المعالي الرتبة، السامي المحلّة. لقد طال السماء علاءً ونُبلاً، وسما على الفراقد منزلة ومحلاً، واستوفي صفات الكمال، فما يستثنى منه الخير، وقد انتظم هؤلاء الأئمّة انتظام اللئالي، وتناسبوا في الشرف، فاستوى المُقدّم والتالي،

---

١. المسح: البساط.

٢. الأرومة: الأصل.

ونالوا رتبة مجد يحيط عنها المُقصّر والعالي، واجتهد عداتهم في خفض منازلهم؛ والله يرفعه، وركبوا الصعب والذلول في تشتيت شملهم؛ والله يجمعه، وكم ضيعوا من حقوقهم ما لا يهمله الله ولا يُضيعه.[1]

كلام محمد بن طلحة الشافعي

قال محمد بن طلحة الشافعي: قد تقدّم القول في أميرالمؤمنين علي، وفي زين العابدين علي، وجاء هذا علي الرضا ثالثهما، ومن أمعن النظر والفكر؛ وجده في الحقيقة وارثهما، فبحكم كونه ثالث العليين نما إيمانه، وعلا شأنه، وارتفع مكانه، واتّسع إمكانه، وكثر أعوانه، وظهر برهانه، حتّى أحلّه الخليفة المأمون على مهجته، وأشركه في مملكته... وكانت مناقبه عليّة، وصفاته سنيّة، ومكارمه خاتميّة، وأخلاقه عربيّة، وشنشنته أخزميّة، ونفسه الشريفة هاشميّة، وأرومته الكريمة نبويّة، فمهما عُدّ من مزاياه كان أعظم منه، ومهما فُصّل من مناقبه كان أعلى رتبة منه... ومنها ـ أي، من مناقبه عليه السلام ـ حديث دعبل بن علي الخزاعي الشاعر، قال دعبل:

لمّا قلت: «مدارس آيات» قصدت به أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام وهو بخراسان ولي عهد المأمون، فأحضرني المأمون وسألني عن خبري، قال لي: يا دعبل، أنشدني من «مدارس آيات خلت من تلاوة».

فقلت: ما أعرفها يا أميرالمؤمنين!

فقال: يا غلام، أحضر أبا الحسن علي بن موسى الرضا. فلم يكن إلا ساعة حتّى حضر عليه السلام، فقال له ـ المأمون ـ يا أبا الحسن، سألت دعبل أن ينشدني من

١. الفصول المهمّة: ص٢٣٣ و٢٤٥.

«مدارس آيات خلت من تلاوة» فذكر أنّه لا يعرفها!

فقال أبو الحسن عليه السلام: يا دعبل، أنشد الأمير.

فأخذت فيها، فأنشدتها، فأحسنها ـ المأمون ـ فأمر لي بخمسين ألف درهم، وأمر لي أبو الحسن الرضا عليه السلام بقريب من ذلك، فقلت: يا سيدي، إن رأيت تهبني شيئاً من ثيابك؛ ليكون كفني.

فقال عليه السلام: نعم، ثمّ دفع لي قميصاً قد ابتذله[1]، ومنشفة لطيفة، وقال عليه السلام لي: احفظ هذا تُحرس به...

وممّا تلقّته الأسماع بالإستماع، ونقلته الألسن في بقاع الأصقاع: إنّ الخليفة المأمون وجد في يوم عيد إنحراف مزاج أحدث عنده ثقلاً عن الخروج إلى الصلاة بالناس، فقال لأبي الحسن الرضا عليه السلام: يا أبا الحسن، قُم وصلٍّ بالناس.

فخرج الرضا عليه السلام وعليه قميص صغير أبيض، وعمامة بيضاء لطيفة، وهما من قطن، وفي يده قضيب، فأقبل ماشياً يأم المُصلّى وهو يقول: السلام على أبوي محمد صلى الله عليه وآله، وعلي عليه السلام. السلام على عباد الله الصالحين.

فلمّا رآه الناس هرعوا إليه، وانثالوا عليه؛ لتقبيل يده، فأسرع بعض الحاشية إلى الخليفة المأمون، فقال: يا أميرالمؤمنين، تدارك الناس، واخرج إليهم، وصلٍّ بهم وإلا خرجت الخلافة منك الآن.

فحمله على أن خرج بنفسه، وجاء مُسرعاً، والرضا عليه السلام بعد من كثرة الزحام لم يصل إلى المُصلّى، فتقدّم المأمون وصلّى بالناس، فلمّا انقضى ذلك، قال هرثمة بن أعين ـ وكان في خدمة الخليفة إلا أنّه كان مُحبّاً لأهل البيت عليهم السلام ـ :

---

١. التبذّل: ترك التزين والتهيؤ بالهيئة الحسنة الجميلة على جهة التواضع. .. والبذل: العطاء. .. وبذله: أباحه عن طيب نفس. مجمع البحرين للطريحي: ج١ ص١٧١ «مادة بذل».

طلبني سيدي الرضا عليه السلام، وقال لي: يا هرثمة، إنّي مُطلعك على أمر يكون عندك سرّ، لا تُظهره وأنا حي، وإن أظهرته حالة حياتي كنت خصمك عند الله تعالى!

قال هرثمة: فعاهدته أنّني لا أُعلم به أحداً ما لم تأمرني.

فقال عليه السلام: اعلم أنّني بعد أيام آكل عنباً، ورماناً مفتوناً، فأموت، ويقصد الخليفة أن يجعل قبري، ومدفني خلف قبر أبيه... وإنّ الله تعالى لا يُقدره على ذلك، فإنّ الأرض تشتدّ فلا يستطيع أحد حفر شيء منها، وإنّما قبري في الموضع الذي أُعينه... إلخ.[١]

كلام العلامة النبهاني

قال العلامة النبهاني: علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق أحد أكابر الأئمّة، ومصابيح الأُمّة من أهل بيت النبوّة، ومعادن العلم، والعرفان، والكرم، والفتوة. كان عظيم القدر، مشهور الذكر، وله كرامات كثيرة، منها: إنّه أخبر أنّه يأكل عنباً، ورمّاناً فيموت. فكان كذلك.[٢]

كلام ابن حجر العسقلاني

قال ابن حجر العسقلاني: علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو الحسن الرضي ـ الرضا ـ روى عن أبيه... وروى عنه إبنه محمد ـ الإمام الجواد ـ وأبو عثمان المازني النحوي، وعلي بن علي الدعبلي، وأيوب بن منصور النيسابوري، وأبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروي، والمأمون بن الرشيد، وعلي بن مهدي بن صدقة له عنه

---

١. مطالب السؤول: ص٨٤ـ٨٦.

٢. جامع كرامات الأولياء: ج٢ ص٣١١.

نسخة، وأبو أحمد داود بن سليمان بن يوسف القاري القزويني له عنه نسخة، وعامر بن سليمان الطائي له عنه نسخة كبيرة، وأبو جعفر محمد بن محمد بن حبّان التمّار، وآخرون... وقال: قال المُبرّد: عن أبي عثمان المازني، سُئل علي بن موسى الرضا: يُكلّف الله العباد ما لا يطيقون؟

قال: هو أعدل من ذلك.

قال ـ السائل ـ: يستطيعون أن يفعلوا ما يُريدون؟

قال عليه السلام: هم أعجز من ذلك... وقال الحاكم في تاريخ نيسابور: أشخصه المأمون من المدينة إلى البصرة، ثمّ إلى الأهواز، ثمّ إلى فارس، ثمّ إلى نيسابور، إلى أن أخرجه إلى مرو... وسمع علي بن موسى أباه، وعمومته: إسماعيل، وعبد الله، وإسحاق، وعلي بني جعفر... وكان يفتي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن نيّف وعشرين سنة، روى عنه من أئمّة الحديث: آدم بن أبي أياس، ونصر بن علي الجهضمي، ومحمد بن رافع القُشيري، وغيرهم.

استشهد علي بن موسى عليهما السلام بسنا آباد من طوس... قال ـ الحاكم ـ: وسمعت أبا بكر محمد بن المؤمّل بن الحسن بن عيسى يقول: خرجنا مع أهل الحديث: أبي بكر بن خزيمة، وعديله أبي علي الثقفي مع جماعة من مشايخنا، وهم إذ ذاك متوافرون، إلى زيارة قبر علي بن موسى الرضا عليه السلام بطوس، قال: فرأيت من تعظيمه ـ يعني ابن خزيمة ـ لتلك البقعة، وتواضعه لها، وتضرّعه عندها ما تحيّرنا.[1]

١. تهذيب التهذيب: ج٧ ص٣٨٧، ترجمة علي بن موسى الرضا عليه السلام.

كلام ابن خلّكان

وقال ابن خلّكان: أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين، هو أحد الأئمّة الإثني عشر على اعتقاد الإماميّة، وكان المأمون قد زوّجه ابنته أُمّ حبيبة، وجعله ولي عهده، وضرب إسمه على الدينار والدرهم، وكان السبب في ذلك أنّه استحضر أولاد العباس الرجال منهم والنساء وهو بمدينة مرو من بلاد خراسان، وكان عددهم ثلاثة وثلاثين ألفاً ما بين الكبار والصغار، واستدعى علياً ـ الرضا عليه السلام ـ فأنزله أحسن منزلة، وجمع خواصّ الأولياء وأخبرهم أنّه نظر في أولاد العباس، وأولاد علي بن أبي طالب عليه السلام فلم يجد في وقته أحداً أفضل، ولا أحقّ بالأمر من علي الرضا عليه السلام، فبايعه، وأمر بإزالة السواد من اللباس والأعلام... وفيه عليه السلام يقول أبو نؤاس:

قيل لي أنت أحسن الناس طرّاً ... في فنون من الكلام النبيه
لك من جيد القريض مديح ... يثمر الدرّ في يدي مجتنيه
فعلامَ تركت مدح ابن موسى ... والخصال التي تجمعن فيه
قلت: لا أستطيع مدح إمام ... كان جبريل خادماً لأبيه

وكان سبب قوله هذه الأبيات أنّ بعض أصحابه قال له: ما رأيت أوقح منك، ما تركت خمراً، ولا طرداً[1]، ولا معنى إلا قلت فيه شيئاً، وهذا علي بن موسى الرضا عليه السلام في عصرك لم تقل فيه شيئاً!؟

فقال: والله، ما تركت ذلك إلا إعظاماً له عليه السلام، وليس قدر مثلي أن يقول في مثله، ثمّ أنشد بعد ساعة هذه الأبيات.

---

١. يعني، المسابقة بالقمار، ونحوه. أُنظر لسان العرب لابن منظور: ج٣ ص٢٧٠ «مادّة طرد».

قال: وفيه عليه السلام يقول أيضاً:

مطهّــــرون نقيّــــات جيــــوبهم تجري الصلاة عليهم أينما ذُكروا
مـن لم يكـن علويـاً حـين تنـسبه فما لـه في قـديم الـدهر مفتخـر
الله لمــا بــرا خلقــاً فأتقنــه صـفاكم واصـطفاكم أيّها البـشر
فــأنتم المــلأ الأعلــى وعنــدكم علم الكتاب وما جاءت به السور[1]

كلام الشبراوي الشافعي

وقال العلامة عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي: الثامن مـن الأئمّـة: علـي الرضا. كان عليه السلام كريماً، جليلاً، مهاباً، موقّراً، وكان أبوه موسـى الكـاظم عليه السلام يُحبّـه حبّاً شديداً. ووهب له ضيعة اليسيريّة التي اشتراها بثلاثين ألف دينار. ويقال: إنّ علياً الرضا أعتق ألف مملوك، وكان صاحب وضوء وصـلاة، ليلـه كلّـه يتوضّـأ ويُصلّي، ويرقد، ثمّ يقوم فيتوضّأ ويُصلّي، ويرقد، وهكذا إلى الصباح. قال بعض جماعته: ما رأيته قطّ إلا ذكرت قوله تعالى ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[2].

قال بعضهم: علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، فاق أهل البيت شأنه، وارتفع فيهم مكانه، وكثر أعوانه، وظهر برهانه حتّى أحلّه الخليفة المأمون محلّ مهجته، وأشركه في خلافته، وفوّض إليه أمر مملكته، وعقد له على رؤس الأشهاد عقد نكاح ابنته، وكانت مناقبه عليّـة، وصـفاته سـنيّة، ونفـسه الـشريفة هاشميّة، وأرومته الكريمة نبويّة، وكراماته أكثر مـن أن تُحـصر، وأشـهر مـن أن تُذكر؛ منها:

لمّا جعله المأمون ولي عهده وأقامه خليفة من بعده كان في حاشية المـأمون

---

١. أنظر وفيات الأعيان: ج٣ ص٢٦٩رقم٤٢٣.

٢. سورة الذاريات، الآية: ١٧.

أُناس كرهوا ذلك، وخافوا على خروج الخلافة من بني العباس وعودها لبني فاطمة؛ فحصل عندهم من علي الرضا بن موسى نفور، وكان عادة الرضا إذا جاء إلى دار المأمون ليدخل بادر مَن في الدهليز من الحجّاب، وأهل النوبة من الخدم والحشم بالقيام له والسلام عليه، ويرفعون له الستر حتّى يدخل، فلمّا حصلت لهم هذه النفرة، وتفاوضوا في أمر هذه القصّة، ودخل في قلوبهم منها شئ، قالوا فيما بينهم: إذا جاء يدخل على الخليفة بعد اليوم نُعرض عنه، ولا نرفع له الستر. واتّفقوا على ذلك، فبينما هم جلوس إذ جاء علي الرضا على جاري عادته، فلم يملكوا أنفسهم أن قاموا وسلّموا عليه، ورفعوا له الستر على عادتهم، فلمّا دخل أقبل بعضهم على بعض يتلاومون لكونهم ما فعلوا ما اتّفقوا، وقالوا: الكرّة الآتية إذا جاء لا نرفعه. فلمّا كان في اليوم الثاني وجاء الرضا على عادته، قاموا وسلّموا عليه، ولم يرفعوا الستر، فجاءت ريح شديدة فرفعت الستر أكثر ممّا كانوا يرفعونه، فدخل، ثمّ عند خروجه جاءت ريح من الجانب الآخر فرفعته له وخرج، فأقبل بعضهم على بعض، وقالوا: إنّ لهذا الرجل عند الله منزلة، وله منه عناية؛ أُنظروا إلى الريح كيف جاءت ورفعت له الستر عند دخوله، وعند خروجِه من الجهتين. إرجعوا إلى ما كنتم عليه من خدمته.

وقال: وعن صفوان بن يحيى، قال: لمّا مضى موسى الكاظم عليه السلام وقام ولده أبو الحسن الرضا عليه السلام من بعده، وتكلّم، خفنا عليه من ذلك! وقلنا له: إنّك أظهرت أمراً عظيماً، وإنّا نخاف عليك من هذا الطاغية ـ يعني، هارون ـ قال عليه السلام: ليجهدن جهده، فلا سبيل له علي.

قال صفوان: فحدّثنا الثقة: إنّ يحيى بن خالد البرمكي قال لهارون الرشيد: هذا علي الرضا بن موسى قد تقدّم وادّعى الأمر لنفسه. فقال هارون: يكفينا ما فعلنا بأبيه، تُريد أن تقتلهم جميعاً!؟

وعن مسافر، قال: كنت مع أبي الحسن الرضاعليه السلام بمنى، فمرّ يحيى بن خالد البرمكي وهو مغطّ وجهه بمنديل من الغُبار، فقال الرضاعليه السلام: مساكين هؤلاء البرامكة، ما يدرون ما يحلّ بهم في هذه السنة. فكان من أمرهم ما كان.

قال مسافر: قال الرضاعليه السلام: وأعجب من هذا أنا وهارون كهاتين ـ وضمّ إصبعيه السبابة والوسطى ـ!

قال مسافر: فوالله، ما عرفت معنى حديثه في هارون إلا بعد موتهعليه السلام، ودفنه بجانبه.

قال: وعن موسى بن مروان، قال: رأيت علي الرضا بن موسىعليهما السلام في مسجد المدينة، وهارون الرشيد يخطب، قالعليه السلام: تروني وإيّاه نُدفن في بيت واحد.

وعن حمزة بن جعفر الأرجاني، قال: خرج هارون الرشيد من المسجد الحرام من باب، وخرج علي الرضاعليه السلام من باب، فقال الرضاعليه السلام: وهو ـ يعني، هارون ـ يا بُعد[1] الدار، وقرب الملتقى؛ إنّ طوس ستجمعني وإياه...

وقال: وروى الحاكم أيضاً بإسناده عن سعيد بن سعد، عن أبي الحسن الرضاعليه السلام أنه نظر إلى رجل، فقالعليه السلام: يا عبد الله أوص بما تريد واستعد لما لا بد منه، فمات الرجل بعد ذلك بثلاثة أيام.

وعن الحسن بن موسى، قال: كنّا حول أبي الحسن علي الرضا بن موسىعليهما السلام، ونحن شباب من بني هاشم، فمرّ علينا جعفر بن عمر العلوي، وهو رث الهيئة[2]، فنظر بعضنا إلى بعض نظر مُستهزء به! فقال الرضاعليه السلام: سترونه عن

---

١. في كشف الغمة: وعن حمزة الأرجاني قال: خرج هارون من المسجد الحرام من باب وخرج الرضاعليه السلام من باب فقال الرضاعليه السلام: وهو ـ يعني هارون ـ ما أبعد الدار وأقرب اللقاء، يا طوس، يا طوس ستجمعني وإياه. ..

٢. رث الثوب: بلي، والرث: السقط من متاع البيت، وشبه بالمتاع الرديء.

قريب كثير المال، كثير الخدم، والحشم يسيرون بين يديه. فما مضى إلا شهر واحد حتّى ولي أمر المدينة، وحسنت حاله، وكان يمرّ بنا وحوله الخدم والحشم يسيرون بين يديه، فنقوم ونُعظّمه، وندعوا له.

وعن الحسين بن يسار، قال: قال لي علي الرضا عليه السلام: إنّ عبد الله يقتل محمداً. فقلت: عبد الله بن هارون يقتل محمد بن هارون!؟

قال: وقد وقع ذلك...

وعن أبي الحسن الفرضي، عن أبيه، قال: حضرنا مجلس أبي الحسن الرضا عليه السلام فجاء رجل فشكا إليه أخاً له، فأنشأ الرضا عليه السلام يقول:

إعذر أخاك على ذنوبه ... واصبر وغط على عيوبه
واصبر على سفه السفيه ... وللزمان على خطوبه
ودع الجواب تفضلاً ... وكل الظلوم إلى حسيبه

ثمّ قال: وعن محمد بن يحيى الفارسي، قال: نظر أبو نواس إلى علي بن موسى الكاظم ذات يوم وقد خرج من عند المأمون على بغلة فارهة[1] فدنا منه وسلّم، وقال: يا ابن رسول الله، قُلت فيك أبياتاً أُحبّ أن تسمعها منّي.

فقال عليه السلام له: قل.

فأنشأ أبو نواس يقول:

مطهّرون نقيّات ثيابهم ... تجري الصلاة عليهم كلّما ذكروا
من لم يكن علوياً حين تنسبه ... فما له من قديم الدهر مفتخر
أولئك القوم أهل البيت عندهم ... علم الكتاب وما جاءت به السور

قال: قال عليه السلام: قد جئتنا بأبيات ما سبقك إليها أحد. ما معك يا غلام من فاضل

---

١. فره: نشط.

نفقاتنا؟

قال: ثلاثمائة دينار.

قال عليه السلام: ادفعها إليه، ثمّ بعد أن ذهب إلى بيته، قال عليه السلام: لعلّه استقلّها؛ سقّ يا غلام إليه البغلة...

ثمّ قال: ونقل الطوسي في كتابه عن أبي الصلت الهروي، قال: دخل دعبل الخزاعي على علي بن موسى عليهما السلام بمرو، فقال: يا ابن رسول الله، إنّي قلت فيكم أهل البيت قصيدة وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك، وأُحبّ أن تسمعها منّي.

فقال له علي الرضا بن موسى عليهما السلام: هات قُل.

فأنشأ يقول:

ذكرت محلّ الربع من عرفات فأجريت دمع العين بالعبرات
وقلّ عرى صبري وهاجت صبابتي رسوم ديار أقفرت وعرات
مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

قال: وهذه قصيدة طويلة عدد أبياتها مائة وعشرون بيتاً... ولمّا فرغ دعبل من إنشادها نهض أبو الحسن الرضا عليه السلام، وقال: لا تبرح. فأنفذ إليه صرّة فيها مائة دينار، واعتذر إليه، فردّها دعبل، وقال: والله، ما لهذا جئت، وإنّما جئت للسلام عليه، وللتبرّك بالنظر إلى وجهه الميمون، وإنّي لفي غنى، فإنّ رأى أن يُعطيني شيئاً من ثيابه للتبرّك فهو أحبّ إلي.

فأعطاه الرضا عليه السلام جُبّته، وردّ عليه الصرّة، وقال للغلام: قُلّ له: خُذها ولا تردّها، فإنّك ستصرفها؛ أحوج ما تكون إليها.

فأخذها وأخذ الجُبّة... فتجهّزت قافلة تريد العراق، فتجهّز صحبتها، فخرجت عليهم اللصوص في الطريق، ونهبوا القافلة عن آخرها، ولزموا جماعة

من أهلها، فشكفوهم وأخذوا ما معهم، ومن جملتهم دعبل... فساروا بهم غير بعيد، ثمّ جلسوا يقتسمون أموالهم، فتمثّل مقدّم اللصوص وكبيرهم بقوله:

أرى فيأهم في غيرهم مُتقسّماً وأيديهم من فيئهم صفرات

ودعبل يسمعه، فقال: أتعرف هذا البيت لمن؟

قال: وكيف لا أعرفه: هو لرجل من خزاعة، يقال له: دعبل الشاعر، شاعر أهل البيت عليهم السلام، قاله في قصيدة مدحهم بها.

فقال دعبل: أنا والله هو، وأنا صاحب القصيدة، وقائلها فيهم.

فقال: ويلك أُنظر ماذا تقول!؟

فقال: والله، الأمر أشهر من ذلك، واسأل أهل القافلة، وهؤلاء الذين معكم يُخبرونكم بذلك.

فسألوهم، فقالوا جميعاً بأسرهم: هذا دعبل الخزاعي شاعر أهل البيت عليهم السلام المعروف، الموصوف.

ثمّ إنّ دعبلاً أنشدهم القصيدة من أوّلها إلى آخرها عن ظهر قلب، فقالوا: قد وجب حقّك علينا، وقد أطلقنا القافلة، ورددنا جميع ما أخذناه كرامة لك يا شاعر أهل البيت.

ثمّ إنّهم أخذوا دعبلاً معهم وتوجّهوا به إلى قمّ، ووصلوه بمال، وسألوه في بيع الجُبّة التي أعطاها له أبو الحسن الرضا عليه السلام، ودفعوا له ألف دينار، فقال: والله، لا أبيعها، وإنّما أخذتها للتبرّك معي من أثره. ثمّ إنّه رحل من عندهم من قمّ بعد ثلاثة أيام، فلمّا صار خارج البلد على نحو ثلاثة أميال خرج عليه قوم من أحداثهم أخذوا الجُبّة منه، فرجع الى قمّ وأخبر كبارهم بذلك، فأخذوا الجُبّة منهم، وردّوها عليه، ثم قالوا: نخشى أن تؤخذ هذه الجُبّة منك، يأخذها غيرنا، ثمّ لا ترجع إليك. فبالله، إلا ما أخذت الألف منّا فيها أو تركتها. فأخذ الألف

منهم، وأعطاهم الجُبّة، ثمّ سافر عنهم.

وعن أبي الصلت الهروي، قال: قال دعبل الخزاعي: لمّا أنشدت مولاي الرضا عليه السلام هذه القصيدة، وانتهيت فيها إلى قولي:

خروج إمام لا محالة خارج   يقوم على اسم الله بالبركات
يميز فينا كلّ حقّ وباطل   ويجزي على النعماء والنقمات

بكى الرضا عليه السلام، ثمّ رفع رأسه إلي وقال: يا خزاعي، نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، أفلا تدري مَن هذا الإمام الذي يقوم!؟

قلت: ألا أدري، إلا أنّي سمعت يا مولاي بخروج إمام منكم يملأ الأرض عدلاً.

فقال عليه السلام: يا دعبل، الإمام بعدي محمد ابني، وبعده علي ابنه، وبعده ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجّة القائم، المنتظر في غيبته، المُطاع في ظهوره. ولو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يخرج فيملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً.

قال: قال إبراهيم بن العباس: ما رأيت الرضا عليه السلام سئل عن شيء إلا علمه، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان والوقت، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء، فيجيبه الجواب الشافي... إلى آخر كلامه.[1]

كلام التابعي المصري

قال الشيخ أحمد التابعي المصري: أورد صاحب تاريخ نيسابور:

إنّ علياً الرضا بن موسى الكاظم عليهما السلام لمّا دخل نيسابور كان في قبة مستورة،

---

١. راجع الإتحاف بحبّ الأشراف: ص٥٨-٦٢.

على بغلة شهباء، وقد شقّ بها السوق، فعرض له الإمامان الحافظان: أبو زرعة، وأبو أسلم الطوسي، ومعهما من أهل العلم والحديث ما لا يحصى. فقالا: يا أيّها السيّد الجليل، ابن السادة الأئمّة، بحق آبائك الأطهرين، وأسلافك الأكرمين، إلا ما أريتنا وجهك الميمون، ورويت لنا حديثاً عن آبائك، عن جدّك ـ رسول الله صلى الله عليه وآله ـ نذكرك به؟ فاستوقف عليه السلام غلمانه، وأمر بكشف المظلّة، وأقرّ عيون الخلائق برؤية طلعته؛ وإذا له ذؤابتان معلّقتان على عاتقه، والناس قيام على طبقاتهم ينظرون، ما بين باك وصارخ، ومتمرّغ في التراب، ومقبّل حافر بغلته. وعلا الضجيج، فصاحت الأئمّة الأعلام:

معاشر الناس، أنصتوا، واسمعوا ما ينفعكم، ولا تؤذونا بصراخكم. وكان المستملي أبا زرعة، ومحمد بن أسلم الطوسي.

فقال الرضا عليه السلام: حدّثني أبي موسى الكاظم، عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر، عن أبيه علي زين العابدين، عن أبيه شهيد كربلاء، عن أبيه علي المرتضى، قال: حدّثني حبيبي، وقرّة عيني رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: حدّثني جبرئيل عليه السلام، قال: حدّثني ربّ العزّة سبحانه وتعالى، قال: كلمة لا إله الا الله حصني، فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي.

ثمّ أرخى عليه السلام الستر على المظلّة، وسار.

قال: فعدّ أهل المحابر، وأهل الدواوين الذين كانوا يكتبون، فأنافوا على عشرين ألفاً.

قال: قال أحمد ـ بن حنبل ـ: لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق من جنونه.

وقال: وقال أبو القاسم القُشيري: اتّصل هذا الحديث بهذا السند ببعض أمراء السامانيّة، فكتبه بالذهب، وأوصى أن يُدفن معه في قبره، فرؤي في المنام بعد

موته فقيل له: ما فعل الله بك؟

فقال: غُفر لي بتلفّظي بـ«لا إله إلا الله، وتصديقي أنّ محمداً ﷺ رسول الله».

قال: أورده المناوي في شرحه الكبير على الجامع الصغير.[١]

كلام الصفوري الشافعي

قال العلامة الشيخ عبد الرحمن الصفوري الشافعي: ورأيت في كتاب نثر الدرر: دخل علي بن موسى نيسابور، فتعلّق العلماء بلجام بغلته، وقالوا: بحقّ آبائك الطاهرين حدّثنا حديثاً سمعته من آبائك؟

فقال عليه السلام: حدّثني أبي موسى عليه السلام، قال: حدّثني أبي جعفر عليه السلام، قال: حدّثني أبي الباقر عليه السلام، قال: حدّثني أبي زين العابدين عليه السلام، قال: حدّثني أبي الحسين عليه السلام، قال: حدّثني أبي علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

الإيمان؛ معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان.

قال الإمام أحمد: لو قرئت هذا الإسناد على مجنون لبرء من جنونه. قيل: إنّه قُرء على مصروع، فأفاق.[٢]

كلام الوزير الآبي

قال الوزير أبو سعيد منصور بن الحسين: سأل الفضل بن سهل علياً الرضا بن موسى عليهما السلام في مجلس المأمون، فقال: يا أبا الحسن، الخلق مجبرون؟

قال عليه السلام: الله تعالى أعدل من أن يُجبر ثمّ يُعذب.

---

١. الأعتصام بحبل الإسلام: ص٢٠٥.

٢. نزهة المجالس ومنتخب النفائس: ج ١ ص٢٢.

قال: فمطلقون؟

قال عليه السلام: الله تعالى أحكم من أن يهمل عبده ويكله إلى نفسه.[١]

كلام ابن أبن الحديد

قال العلامة ابن أبي الحديد: وروي: إنّ قوماً من المتصوّفة دخلوا خراسان على علي بن موسى الرضى، فقالوا له: إنّ أميرالمؤمنين فكّر فيما ولاه الله من الأمور، فرأكم ـ أهل البيت ـ أولى الناس أن تؤمّوا الناس، ونظر فيك من أهل البيت، فرآك أولى الناس بالناس، فرأى أن يردّ هذا الأمر إليك؛ والإمامة تحتاج إلى من يأكل الجشب، ويلبس الخشن، ويركب الحمار، ويعود المريض.

فقال عليه السلام لهم: إنّ يوسف كان نبيّاً يلبس أقبية الديباج المزرّرة بالذهب، ويجلس على متّكات آل فرعون، ويحكم. إنّما يُراد من الإمام قسطه، وعدله؛ إذا قال صدق، وإذا حكم عدل، وإذا وعد أنجز؛ إنّ الله لم يُحرم لبوساً، ولا مطعماً. ثمّ قرأ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾[٢].[٣]

رواه العلامة الشبلنجي في نور الأبصار. وابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة.[٤]

كلام ابن حجر الهيتمي

قال ابن حجر الهيتمي: علي الرضا عليه السلام أنبههم ذكراً، وأجلّهم قدراً، ومن ثمّ

---

١. نثر الدرر: ج١ ص٣٦١. وراجع فيض القدير شرح الجامع الصغير: ج٤ ص٦٤٠ رقم٦٠٤٧.

٢. سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

٣. شرح نهج البلاغة: ج١١ ص٣٤.

٤. نور الأبصار: ص٢١٠. الفصول المهمّة: ص٢٣٦.

أحلّه المأمون محلّ مهجته، وأنكحه بنته، وأشركه في مملكته، وفوّض إليه أمر خلافته، لكنّه عليه السلام توفّي قبله، فأسف عليه كثيراً!![1]

وأخبر عليه السلام قبل موته: بأنّه يأكل عنباً، ورمّاناً مسموماً، ويموت، وإنّ المأمون يُريد دفنه خلف الرشيد؛ فلم يستطيع. فكان ذلك كلّه كما أخبر عليه السلام به.

ومن مواليه معروف الكرخي أُستاذ السري السقطي؛ لأنّه أسلم على يديه عليه السلام.

قال: وقال عليه السلام لرجل: يا عبد الله، ارض بما يُريد ـ الله ـ واستعدّ لما لا بدّ منه ـ يعني، الموت ـ فمات الرجل بعد ثلاثة أيام، رواه الحاكم.

وقال: روى الحاكم عن محمد بن عيسى، عن أبي حبيب، قال: رأيت النبي صلى الله عليه وآله في المنام في المنزل الذي ينزل الحجّاج ببلدنا، فسلّمت عليه، فوجدت عنده طبقاً من خوص المدينة فيه تمر صيحاني، فناولني منه ثماني عشرة، فتأولت أن أعيش عدّتها، فلمّا كان بعد عشرين يوماً قدم أبو الحسن علي الرضا عليه السلام من المدينة، وأُنزل ذلك المسجد، وهرع الناس بالسلام عليه، فمضيت نحوه، فإذا هو جالس في الموضع الذي رأيت النبي صلى الله عليه وآله جالساً فيه، وبين يديه طبق من خوص المدينة فيه تمر صيحاني، فسلّمت عليه، فاستدناني وناولني قبضة من ذلك التمر، فإذا عدّتها بعدد ما ناولني النبي صلى الله عليه وآله في النوم، فقلت: زدني. فقال: لو زادك رسول الله صلى الله عليه وآله لزدناك!

وقال: لمّا دخل عليه السلام نيسابور ـ كما في تاريخها ـ وشقّ سوقها، وعليه مظلّة لا يُرى من ورائها، تعرّض له عليه السلام الحافظان: أبو زرعة الرازي، ومحمد بن أسلم

---

١. أقول: لعلّه أسف على عدم إسعاف الوقت في التشفّي بتعذيبه، والنيل منه في طوامير السجون كما عهده من أبيه هارون مع الإمام موسى الكاظم والد الإمام علي الرضا، وإلا فما تفسير عزمه على دفن الإمام خلف هارون وهو يعلم أنّ باطل أبيه لا يتقدّم حيّاً كان أوميّتاً على حقّ آل البيت عليهم السلام ولو كره الجبابرة، والطواغيت.

الطوسي، ومعهما من طلبة العلم والحديث ما لا يحصى... إلخ.[١]

كلام محمد بن حبّان البستي

قال ابن حبّان: على بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أبو الحسن عليه السلام من سادات أهل البيت، وعُقلائهم، وجُلّة الهاشميين، ونُبلائهم؛ يجب أن يُعتبر حديثه.[٢]

كلام عبد الجبّار بن سعيد

روى المزّي في تهذيب الكمال، قال: وقال أبو الحسين أيضا حدثني من سمع عبد الجبار بن سعيد على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين؛

ستّة آباءهم ماهم خير من يشرب صوب الغمام[٣]

---

١. الصواعق المحرقة: ج٢ ص٥٩٤.

٢. الثقات: ج٨ ص٤٥٦، رقم١٤٤١١.

٣. تهذيب الكمال: ج٢١ ص١٥٠ ترجمة علي بن موسى الرضا عليه السلام، رقم ٤١٤١.

فصل في

النصّ على إمامته عليه السلام

وبعض فضائله وشمائله عليه السلام

على ما رواه علماء السنّة

صاحبكم والقائم بأمري

روى ابن الصبّاغ المالكي، قال: وممّن روى ذلك من أهل العلم والدين داود بن كثير الرقي، قال: قلت لموسى الكاظمعليه السلام: جُعلت فداك، إنّي قد كبر سنّي، فخُذ بيدي، وأنقذني من النار؛ مَن صاحبنا بعدك؟

قال: وأشارعليه السلام إلى ابنه أبي الحسن الرضاعليه السلام، وقال: هذا صاحبكم بعدي.

وفيه أيضاً: روي عن المخزومي[1] ـ وكانت أُمّه من ولد جعفر بن أبي طالبعليهم السلام ـ قال: بعث إلينا موسى الكاظمعليه السلام فجمعنا، ثمّ قال: أتدرون لِمَ جمعتكم؟

فقلنا: لا.

قالعليه السلام: اشهدوا أنّ ابني هذا ـ وأشار إلى علي بن موسى الرضاعليه السلام ـ هو وصيي، والقائم بأمري، وخليفتي من بعدي، مَن له عندي دين؛ فليأخذه من ابني هذا، ومَن كانت له عندي عدّة؛ فليستنجزها منه، ومَن لم يكن له بدّ من لقائي؛ فلا يلقني إلا بكتابه.

وفيه أيضاً: روي عن زياد بن مروان العبدي، قال: دخلت على موسى الكاظمعليه السلام وعنده ابنه أبو الحسن الرضاعليه السلام، فقال لي: يا زياد، هذا ابني علي، كتابه كتابي، وكلامه كلامي، ورسوله رسولي، وما قال فالقول قوله.[2]

---

١. هو: عبد الله بن الحارث المخزومي الذي أُمّه من ولد جعفر بن أبي طالب. وقيل: إنّه المغيرة بن توبة المخزومي الذي عدّه الشيخ من أصحاب الصادقعليه السلام. أُنظر الكُنى والألقاب للشيخ عباس القمّي: ج٣ ص١٦٨.

٢. الفصول المهمّة: ص٢٢٥ـ٢٢٦.

الإمام الكاظم عليه السلام أوصى له

روى المُحدّث إبراهيم بن محمد الجويني في فرائد السمطين، قال: قال الحاكم: ولقد حدّثني علي بن محمد بن يحيى الواعظ، قال: حدّثنا أبو الفضل ابن أبي نصر الحافظ، قال: قرأت في كتاب عيسى بن العماني:

إنّ موسى بن جعفر عليهما السلام أوصى إلى ابنه علي بن موسى عليهما السلام، ويُكنّى أبا الحسن، ويُلقّب بالرضا، وأُمّه تكتم النوبيّة.[1]

من أطاعه رشد

روى الشيخ سليمان القندوزي في ينابيع المودّة، قال: وقال أيضاً ـ يعني، موسى بن جعفر عليهما السلام ـ : علي ابني؛ أكبر ولدي، وأسمعهم لقولي، وأطوعهم لأمري، من أطاعه رشد.[2]

خير أهل الأرض

روى المحدّث الحافظ الميرزا محمد خان بن رستم خان المعتمد البدخشي في مفتاح النجا، قال: روي: إنّ حميدة لمّا اشترتها ـ أي، أُمّه المسمّاة بـ : «نجمة» ـ رأت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام يقول لها: يا حميدة، هبي نجمة لإبنك موسى، فإنّه سيلد منها خير أهل الأرض. فوهبتها له. فلمّا ولدت الرضا سمّاها: طاهرة.[3]

ورواه الشيخ عثمان دده الحنفي في تاريخ الإسلام والرجال.[4]

---

١. فرائد السمطين: ج٢ ص٢٠٨.

٢. ينابيع المودّة: ج٣ ص١٦٦ب٦٥.

٣. مفتاح النجا في مناقب آل العبا: ص ١٧٦.

٤. تاريخ الإسلام والرجال: ص ٣٦٩.

في فضائله، وشمائله عليه السلام

في كثير علمه عليه السلام

قال ابن حجر العسقلاني الشافعي: وكان يفتي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن نيّف وعشرين سنة. روى عنه من أئمّة الحديث: آدم بن أبي إياس، ونصر بن علي الجهضمي، ومحمد بن رافع القُشيري، وغيرهم.[١]

وقال عبد السلام بن صالح الهروي: ما رأيت أعلم من علي بن موسى الرضا عليه السلام، ولا رآه عالم إلا شهد له بمثل شهادتي.[٢]

وقال إبراهيم بن العباس: ما رأيت الرضا عليه السلام سُئل عن شيء إلا علمه، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقت عصره. وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كلّ شيء، فيُجيبه الجواب الشافي.[٣]

وروى ابن النجّار البغدادي في ذيل تاريخ بغداد، قال: قرأت على أبي أحمد عبد الوهاب بن علي الامين، عن أبي منصور عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد الشيباني، أنبأنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن النقور، حدّثنا القاضي أبو عبد الله الحسين بن هارون الضبّي إملاء، قال: وحدّث في كتاب والدي، قال: حدّثني أبو القاسم عبد الله بن أحمد الطائي، حدّثني أبي، قال: لمّا دخل على المأمون رجل نصراني قد وجِد مع إمرأة هاشميّة، فلمّا أُدخل عليه أسلم؛ فغاظ المأمون ذلك غيظاً شديداً، فاستفتى الفقهاء؛ فكلّ قال: هدر إسلامه

---

١. تهذيب التهذيب: ج٧ ص٣٣٩، ترجمة علي بن موسى بن جعفر عليه السلام.
٢. مفتاح النجا في مناقب آل العبا للبدخشي: ص ١٧٩.
٣. الفصول المهمّة للمالكي: ص٢٣٣. ونور الأبصار للشبلنجي: ص٢٠٨.

ما فعله.[١] فقال رجل: يا أمير الـ ...، أُكتب إلى علي بن موسى في هذا.

قال: فكتب إليه، فوافاه علي بن موسى، فقال: يا أمير الـ ...، اضرب عُنُقه؛ فإنّه إنّما أسلم مخافةً من السيف. فقال الفقهاء: من أين لك هذا!؟

قال: فقرأ علي بن موسى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ۞ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾[٢].

وفيه أيضاً: أنبأنا عبد الوهاب بن علي الأمين، قال: كتب إلي أبو الغنائم هبة الله بن حمزة العلوي: أنبأنا أبو عبد الرحمن الشاذياخي قراءة عليه، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، أنبأنا أبو علي الحسين بن محمد بن سورة الصغاني بمرو، حدّثنا أحمد بن محمد بن عمرو الفقيه، حدّثنا خالد بن أحمد بن خالد الذهلي، حدّثنا أبي، قال: صلّيت خلف علي بن موسى الرضا بنيسابور، فجهر «بسم الله الرحمن الرحيم» في كلّ سورة؛ ويذكر أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يجهر «بسم الله الرحمن الرحيم».

وفيه أيضاً: أخبرنا الحاكم أبو عبد الله، حدّثنا أبو أحمد إسحاق بن محمد بن علي بن خالد الهاشمي بالكوفة، حدّثنا القاسم بن أحمد العلوي الحسيني، حدّثني أبو الصلت عبد السلام بن صالح، حدّثني علي بن موسى الرضا عليه السلام، قال: من قال القرآن مخلوق، فهو كافر.

حدّثنا أبو عبد الله الحافظ، قال: سمعت أبا الحسن عبد الله بن محمد بن علي بن الحسين بن جعفر بن موسى بن جعفر بمدينة رسول الله صلى الله عليه وآله في

---

١. بمعنى، عُفي عنه ما كان من فعله قبل أن يُسلم.

٢. سورة غافر، الآية: ٨٤، ٨٥.

الروضة يقول: سمعت أبي يذكر عن آبائه: إنّ علي بن موسى كان يقعد في الروضة، وهو شاب ملتحف بمطرف خزّ فتُسأله الناس، ومشايخ العلماء في المسجد؛ فسُئل عن القدر. فقال عليه السلام: قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۞ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۞ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[1].

قال علي الرضا عليه السلام: كان أبي يذكر عن آبائه: إنّ أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: الله تعالى خلق كلّ شئ بقدر حتّى العجز، والكيس، وإليه... وبه الحول والقوّة.[2]

في سخائه وجوده عليه السلام

قال أبو الفرج الإصفهاني: أخبرني محمد بن يونس الأنباري، قال: حدّثني أبي: إنّ إبراهيم بن العباس الصولي دخل على الرضا عليه السلام لمّا عقد له المأمون وولاه على العهد، فأنشده قوله:

أزالت عزاء القلب بعد التجلّد ... مصارع أولاد النبيّ محمد

فوهب عليه السلام له عشرة آلاف درهم من الدراهم التي ضُربت بإسمه، فلم تزل عند إبراهيم، وجعل منها مهور نسائه، وخلف بعضها لكفنه وجهازه إلى قبره.[3]

وقال الراغب الإصفهاني: وفرّق علي بن موسى الرضا عليه السلام ماله بخراسان كلّه في يوم عرفة.

فقال له الفضيل بن سهل: ما هذا المغرم!؟

---

١. سورة القمر، الآية: ٤٧ـ٤٩.

٢. ذيل تاريخ بغداد: ج٤ ص١٣٧ـ١٣٨، ترجمة علي بن موسى الرضا عليه السلام.

٣. الأغاني: ج٩ ص٤٧.

فقالعليه السلام: بل هو المغنم، لا تعدّن مغرماً ما اتّبعت أجراً وكرماً.[١]

من كراماتهعليه السلام

إخبارهعليه السلام عن شهادته بالسمّ

روى الشيخ إبراهيم بن محمد الجويني في فرائد السمطين، قال: أخبرنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله البيع[٢]، قال: حدثني علي بن محمد المذكر، قال: حدثنا محمد بن علي الفقيه، قال: حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني، قال: حدثني علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن ياسر الخادم، قال:

قال علي بن موسى الرضاعليه السلام: لا تُشدّ الرحال إلى شيء من القبور إلا إلى قبورنا. ألا وإنّي مقتول بالسمّ ظلماً، ومدفون في موضع غربة. فمن شدّ رحله إلى زيارتي؛ أستجيب دعاؤه، وغفر ذنوبه.[٣]

يتلو القرآن من قبرهعليه السلام

روى ابن النجّار البغدادي في ذيل تاريخ بغداد، قال: أنبأنا أبو محمد بن الأخضر ـ ونقلته من خطّه ـ أنبأنا يحيى بن ثابت بن بندار فيما قرأته عليه، عن أبيه، حدّثنا أبو ثعلب عبد الوهاب بن علي ابن الحسن الملحمي، أنبأنا القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريري، حدّثنا أبو السائب عتبة بن عبيد الله، حدّثنا عبد الله بن محمد الجمّال الزوزني، قال: كنت وعلي بن موسى بن نوبا

---

١. محاضرات الأُدباء: ج٢ ص٥٨٩.

٢. هو: الحاكم، الحافظ الشهير، إمام المحدّثين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم الضبّي الطهماني النيسابوري، المعروف بـ«ابن البيع» صاحب التصانيف.

٣. فرائد السمطين: ج٢ ص٢١٨.

القمّي وفد أهل الري، فلمّا بلغنا نيسابور، قلت لعلي بن موسى القمّي: هل لك في زيارة قبر الرضاعليه السلام بطوس؟ فقال: خرجنا إلى هذا الملك ونخاف أن يتّصل به عدو لنا إلى زيارة القبر؛ ولكنّا إذا انصرفنا.

فلمّا رجعنا قلت له: هل لك في الزيارة؟

فقال: لا، يتحدّث أهل الري أنّي خرجت من عندهم مرجئاً، وأرجع إليهم رافضيّاً!

فقلت: فتنتظرني في مكانك؟ فقال: أفعل. وخرجت فأتيت القبر عند غروب الشمس، وأزمعت المبيت على القبر. فسألت إمرأة حضرت من بعض سدنة القبر: هل من جدير بالليل؟ فقالت: لا. فاستدعيت منها سراجاً، وأمرتها بإغلاق الباب، ونويت أن أختم القرآن على القبر. فلمّا كان في بعض الليل سمعت قراءة؛ فبدرت أنّها قد أذنت لغيري، فأتيت الباب فوجدّته مغلقاً فانطفأ السراج، فبقيت أسمع الصوت، فوجدّته من القبر، وهو يقرأ سورة مريم، فقرأ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ۝ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾[1]. وما كنت سمعت هذه القراءة، فلمّا قدمت الري بدأت بأبي القاسم بن العباس بن الفضل بن شاذان، فسألته هل قرأ أحد بذلك؟

فقال: نعم، النبيصلى الله عليه وآله. وأخرج له قراءتهصلى الله عليه وآله، فإذا هو قرأ بهعليه السلام.[2]

تلد توامين

روى ابن الصبّاغ المالكي، قال: روي عن بكر بن صالح، إنّه قال: أتيت الرضاعليه السلام فقلت: إمرأتي أُخت محمد بن سنان ـ وكان محمد بن سنان من

---

١. سورة مريم، الآية: ٨٥ـ٨٦.

٢. ذيل تاريخ بغداد: ج٤ ص١٣٩، ترجمة علي بن موسى الرضاعليه السلام.

خواص شيعتهم ـ بها حمل، فادع الله أن يجعله ذكراً.

قال عليه السلام: هما اثنان.

فولّيت وقلت: أُسمّي واحداً محمداً، والآخر علياً.

فدعاني عليه السلام وردّني، فأتيته، فقال عليه السلام: سمّ واحداً علياً، والأُخرى: أُمّ عمرو.

فقدمت الكوفة، فولدت لي غلاماً وجارية، فسمّيت الذكر علياً، والأُنثى أُمّ عمرو، كما أمرني عليه السلام، وقلت لأُمّي: ما معنى أُمّ عمرو!؟

قالت: جدّتك كانت تسمّى أُمّ عمرو.[1]

ورواه العلامة الشبلنجي في نور الأبصار. والعلامة النبهاني في جامع كرامات الأولياء.[2]

الشفاء ببركته عليه السلام

روى الشيخ إبراهيم بن محمد الجويني في فرائد السمطين، قال: أنبأني الشيخ محيي الدين عبد الحميد بن أبي البركات الحربي، وأمين الدين أبو الفضل إسماعيل بن أبي عبد الله بن حمّاد العسقلاني، قالا: أنبأنا أبو أحمد عبد الوهاب بن علي بن علي، إجازة، أنبأنا زاهر بن طاهر بن محمد المستملي ـ إجازة ـ قال: أنبأنا أبو بكر الحسين بن علي، أنبأنا محمد بن عبد الله ـ الحافظ ـ قال: سمعت أبا القاسم بن علي المعمري يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبا النضر المؤذّن النيسابوري يقول:

أصابتني علّة شديدة ثقل فيها لساني فلم أقدر منها على الكلام، فخطر ببالي زيارة الرضا عليه السلام، والدعاء عنده، والتوسّل به إلى الله تعالى ليُعافيني، فخرجت

١. الفصول المهمّة: ص٢٢٨.

٢. نور الأبصار: ص١٤٢. وجامع كرامات الأولياء: ج٢ ص٣١٣.

زائراً، وزرت الرضاعليه السلام، وقمت عند رأسه، وصلّيت ركعتين، وكنت في الدعاء، والتضرّع مستشفعاً صاحب القبر الى الله عزوجل أن يُعافني من علّتي، ويُحلّ عقدة لساني؛ إذ ذهب بي النوم في سجودي، فرأيت في منامي كأنّ القمر قد انفرج فخرج منه رجل آدم كهل، شديد الأدمة، فدنا منّي، فقال: يا أبا النضر، قُل: «لا إله إلا الله».

قال: فأومأت إليه: كيف أقول ذلك ولساني منغلق!؟

فصاح علي صيحة، وقال: تنكر لله قدرة!؟ قُل: «لا إله إلا الله».

قال: فانطلق لساني، فقلت: لا إله إلا الله. ورجعت إلى منزلي راجلاً، وكنت أقول: لا إله إلا الله، ولم ينغلق لساني بعد ذلك.[1]

إنّه لا يتمّ

روى ابن الصبّاغ في الفصول المهمّة، قال: وذكر المدائني، قال: لمّا جلس الرضاعليه السلام ذلك المجلس ـ مجلس البيعة لهعليه السلام ـ وهو لابس تلك الخُلع، والخطباء يتكلّمون، وتلك الألوية تخفق على رأسه، نظرعليه السلام إلى بعض مواليه الحاضرين ممّن كان يختصّ بهعليه السلام وقد داخله من السرور ما لا عليه مزيد، وذلك لما رأى، فأشارعليه السلام إليه فدنا منه، وقالعليه السلام له في أُذنه سرّاً: لا تُشغل قلبك بشيء ممّا ترى من هذا الأمر، ولا تستبشر؛ فإنّه لا يتمّ.[2]

ورواه العلامة البدخشي في مفتاح النجا.[3]

---

١. فرائد السمطين: ج٢ ص٢١٧.

٢. الفصول المهمّة: ص٢٣٨.

٣. مفتاح النجا: ص١٧٨.

شعيرات من لحية الرسول صلى الله عليه وآله

روى الشيخ إبراهيم بن محمد الجويني في فرائد السمطين، قال: فلمّا كان بعد مدّة دخل الرضا عليه السلام على المأمون فوجد فيه همّاً، فقال له: أرى فيك همّاً!؟

فقال المأمون: نعم، بالباب بدوي قد دفع إلي منه سبع شعرات يزعم أنّهن من لحية رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد طلب الجائزة. فإن يك صادقاً ومنعته الجائزة، قد بخست شرفي، وإن يك كاذباً فأعطيته الجائزة، قد سخر بي، وما أدري ما أعمل!؟

قال الرضا عليه السلام: علي بالشعرات. فلمّا رآها، شمّها، وقال عليه السلام: هذه أربعة من لحية رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمّا الباقي فليس من لحيته صلى الله عليه وآله!

فقال المأمون: ومن أين هذا!؟

فقال عليه السلام: النار، والشعر. فألقى الشعر في النار، فاحترقت ثلاث شعرات، وبقيت الأربعة التي أخرجها علي بن موسى الرضا عليه السلام، ولم يكن للنار عليها سبيل.

فقال المأمون: علي بالبدوي. فلمّا مثل بين يديه أمر بضرب عنقه.

فقال البدوي: بماذا!؟

فقال: تُصدق عن الشعر.

قال: أربعة من لحية رسول الله صلى الله عليه وآله، وثلاث من لحيتي.

فتمكّن حسد المأمون في قلبه للرضا عليه السلام؛ فنفاه[1] إلى طوس، ثمّ سقاه سمّاً، فمات عليه السلام مسموماً.[2]

---

١. بل جاء به عليه السلام إلى طوس معه، وخبر النفي غير صحيح إلا إذا أريد به المعنى المجازي.

٢. فرائد السمطين: ج٢ ص٢٠٩.

تروني وهارون

روى العلامة ابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة، قال: روي عن مسافر قال: كنت مع أبي الحسن الرضاعليه السلام بمنى فمرّ يحيى بن خالد البرمكي وهو مُغطّي وجهه بمنديل من الغبار، فقال الرضاعليه السلام: مساكين هؤلاء لا يدرون ما يحلّ بهم في هذه السنة!! فكان من أمرهم ما كان. قالعليه السلام: وأعجب من هذا أنا وهارون كهاتين ـ وضمّ أصبعيه: السبّابة، والوسطى ـ .

قال مسافر: فوالله، ما عرفت معنى حديثه في هارون إلا بعد موت الرضاعليه السلام، ودفنه إلى جانبه.[1]

ورواه العلامة الشبلنجي في نور الأبصار. والعلامة النبهاني في جامع كرامات الأولياء.[2]

وروى العلامة الشبلنجي في نور الأبصار، قال: روي عن موسى بن عمران، قال: رأيت علياً الرضا بن موسىعليهما السلام في مسجد المدينة وهارون الرشيد يخطب، قالعليه السلام: تروني، وإياه نُدفن في بيت واحد.[3]

ورواه العلامة ابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة. والعلامة النبهاني في جامع كرامات الأولياء.[4]

وروى العلامة الشبلنجي في نور الأبصار، قال: روي عن حمزة بن جعفر الأرجاني، قال: خرج هارون الرشيد من المسجد الحرام من باب، وخرج علي بن موسى الرضا من باب، فقال الرضاعليه السلام ـ وهو يعني هارون الرشيد ـ : يا بعد

١. الفصول المهمّة: ص٢٢٧.
٢. نور الأبصار: ص١٤٧. وجامع كرامات الأولياء: ج٢ ص٣١٢.
٣. نور الأبصار: ص١٤٨.
٤. الفصول المهمّة: ص٢٢٨. وجامع كرامات الأولياء: ج٢ ص٣١٢.

الدار، وقرب المُلتقى. يا طوس، ستجمعيني وإياه.[١]

ورواه العلامة النبهاني في جامع كرامات الأولياء.[٢]

الإستسقاء به عليه السلام

روى الشيخ إبراهيم بن محمد الجويني في فرائد السمطين: بسنده عن الحاكم البيع، قال:

رأيت في كتب أهل البيت عليهم السلام: إنّ المأمون لمّا جعل علي بن موسى الرضا عليه السلام ولي عهده، احتبس المطر، فجعل بعض حاشية المأمون والمتعصّبين على الرضا عليه السلام يقولون: أُنظروا ما جاءنا علي بن موسى الرضا، ولي عهدنا؛ فحُبس عنّا المطر!

واتّصل ذلك بالمأمون، واشتدّ عليه، فقال للرضا عليه السلام: قد احتبس عنّا المطر، فلو دعوت الله تعالى أن يُمطر الناس؟!

قال الرضا عليه السلام: نعم.

قال: فمتى تفعل ذلك؟ وكان ذلك يوم الجمعة.

فقال عليه السلام: يوم الإثنين، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أتاني البارحة في منامي ومعه أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال صلى الله عليه وآله: يا بني، انتظر يوم الإثنين، فأبرز فيه إلى الصحراء، واستسق؛ فإنّ الله عزّ وجلّ يُسقيهم، وأخبرهم بما يُريك الله ممّا لا يعلمون، ليزداد علمهم بفضلك، ومكانك من ربّك عزّ وجلّ.

فلمّا كان يوم الإثنين غدا علي بن موسى الرضا عليه السلام إلى الصحراء، وخرج الخلائق ينظرون، فصعد عليه السلام المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثمّ قال:

---

١. نور الأبصار: ص١٤٨.

٢. جامع كرامات الأولياء: ج٢ ص٣١٢.

اللهمّ يا ربّ، أنت عظّمت حقّناً أهل البيت، فتوسلوا بنا كما أمرت، وأملوا فضلك ورحمتك، وتوقّعوا إحسانك ونعمتك، فاسقهم سقياً نافعاً، غير ضارّ، وليكن ابتداء مطرهم بعد انصرافهم من مشهدهم هذا إلى منازلهم، ومقارّهم.

قال: فوالذي بعث محمداًﷺ نبيّاً، لقد نسجت الرياح الغيوم، وأرعدت وأبرقت، وتحرّك الناس كأنّهم يُريدون التنحّي عن المطر.

فقال الرضاعليه السلام: على رسلكم أيّها الناس، فليس هذا الغيم لكم، إنّما هو لأهل بلد كذا.

فمضت السحابة وعبرت، ثمّ جاءت سحابة أُخرى تشتمل على رعد، وبرق، فتحرّكوا.

فقال الرضاعليه السلام على رسلكم، فما هذه لكم، إنّما هو لبلد كذا.

فما زالت حتّى جاءت عشرة سحائب وعبرت، ويقول علي بن موسى الرضاعليه السلام: على رسلكم، ليست هذه لكم، إنّما هي لبلد كذا.

ثمّ أقبلت سحابة حادية عشر، فقالعليه السلام: يا أيّها الناس، هذه بعثها الله لكم، فاشكروا الله على تفضّله عليكم، وقوموا إلى مقارّكم، ومنازلكم؛ فإنّها مُسامتة لرؤوسكم، مُمسكة عنكم إلى أن تدخلوا مقارّكم، ثمّ يأتيكم من الخير ما يليق بكرم الله عزّ وجلّ.

ونزل الرضاعليه السلام عن المنبر، وانصرف الناس، فما زالت السحابة مُمسكة إلى أن قربوا من منازلهم، ثمّ جاءت بوابل المطر، فملأت الأودية، والحياض، والغدران، والفلوات، فجعل الناس يقولون: هنيئاً لولد رسول اللهﷺ كرامات الله.

ثمّ برز إليهم الرضاعليه السلام، وحضرت الجماعة الكثيرة منهم، فقالعليه السلام: يا أيّها الناس، اتّقوا الله في نعم الله عليكم، فلا تُنفّروها عنكم بمعاصيه، بل استديموها

بطاعته وشكره على نعمه وأياديه، واعلموا أنّكم لا تشكرون الله عزّ وجلّ بشيء بعد الإيمان بالله، وبعد الإعتراف بحقوق أولياء الله من آل محمد رسول الله صلى الله عليه وآله أحبّ إليه من معاونتكم لإخوانكم المؤمنين على دنياهم التي هي معبر لهم، تعبر بهم إلى جنان ربّهم، فإنّ من فعل ذلك كان من خاصّة الله تعالى، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك قولاً ينبغي للعاقل أن يزيد في فضل الله عليه فيه أن يأمله، ويعمل عليه.

قيل: يا رسول الله، هلك فلان؛ يعمل من الذنوب كيت، وكيت.

فقال صلى الله عليه وآله: بل قد نجا، ولا يختم الله عمله إلا بالحسنى، وسيمحو الله عنه السيئات، ويُبدلها له حسنات؛ إنّه كان مرّة يمرّ في طريق، وعرض له مؤمن قد انكشفت عورته وهو لا يشعر؛ فسترها عليه ولم يُخبره بها؛ مخافة أن يخجل، ثمّ إنّ ذلك المؤمن عرفه في مهواة[1]، فقال له: أجزل الله لك الثواب، وأكرم لك المآب، ولا ناقشك الحساب. فهذا العبد لا يختم له إلا بخير بدعاء ذلك المؤمن.

فاتّصل قول رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا الرجل فتاب، وأناب، وأقبل على طاعة الله، فلم يأت عليه سبعة أيام حتّى أُغير على سرح المدينة، فوجّه رسول الله صلى الله عليه وآله في أثرهم جماعة، ذلك الرجل آخرهم، واستشهد فيهم.

فعظّم الله تعالى البركة من البلاد بدعاء الرضا عليه السلام.

وقد كان للمأمون من يُريد أن يكون ولي عهده دون الرضا عليه السلام، وحسّاد كانوا بحضرة المأمون للرضا عليه السلام، فقال للمأمون بعض أُولئك: يا أميرالمؤمنين، أُعيذك بالله أن يكون تاريخ الخلفاء في إخراجك هذا الشرف العميم، والفخر العظيم من بيت ولد العباس إلى بيت ولد علي عليه السلام، إعتب على نفسك وأهلك؛ جئت بهذا

---

١. المهواة: كناية عن الوقوع في الأمر الشديد.

الساحر من ولد السحرة، وقد كان خاملاً؛ فأظهرته، ووضيعاً؛ فرفعته، ومنسياً؛ فذكّرت به، ومستخفّاً به؛ فنوهت به، قد ملأ الدنيا مخرقة[١]. وتشرّفاً بهذا المطر الوارد عند دعائه، ما أخوفني أن يخرج هذا الأمر عن ولد العباس إلى ولد علي عليه السلام بل ما أخوفني أن يتوصّل بسحره إلى إزالة نعمتك، والتوثّب على مملكتك. هل جنا أحد على نفسه، وملكه مثل جنايتك؟!

فقال المأمون: قد كان هذا الرجل ـ الرضا عليه السلام ـ مستتراً عنّا يدعو إلى نفسه، فأردنا أن نجعله ولي عهدنا ليكون دعاؤه إلينا، ولنعرف ما يخالفه، والملك لنا، وليعتقد فيه المعترفون به أنّه ليس ممّا ادّعى في قليل ولا كثير، وإنّ هذا الأمر لنا من دونه، وقد خشينا إن تركناه على تلك الحالة أن ينفتق علينا منه ما لا نسدّه، ويأتي علينا ما لا نطيقه، والآن وإذ قد فعلنا به ما قد فعلنا، وأخطأنا في أمره ما أخطأنا، وأشرفنا من الهلاك على ما أشرفنا، فليس يجوز التهاون في أمره، ولكنّا نحتاج أن نضع منه قليلاً قليلاً حتّى نصوّره عند الرعايا بصورة من لا يستحقّ هذا الأمر، ثمّ ندبّر فيه بما يحسم عنّا موادّ بلائه.

قال الرجل: يا أميرالمؤمنين، فولّني مجادلته، فإنّي أُفحمه وأصحابه به، وأضع من قدره. فلولا هيبتك في صدري لأنزلته، وبيّنت للناس قصوره عمّا رشّحته له.

فقال المأمون: ما شيء أحبّ إلي من هذا.

قال: فاجمع جماعة وجوه أهل مملكتك من القواد، والقضاة، وخيار الفقهاء لأُبيّن نقصه بحضرتهم؛ فيكون تأخيرك له عن محلّه الذي أحللته فيه على علم منهم بصواب فعلك.

---

١. المُمَخرَق: المُموَّه، وهي المَخرقة، مأخوذة من مَخاريق الصبيان. لسان العرب لابن منظور: ج١٠ ص٣٣٩ «مادّة مخرق».

قال: فجمع المأمون الخلق الفاضلين من رعيته في مجلس واسع قعد فيه لهم، وأقعد الرضا عليه السلام بين يديه في مرتبته التي جعلها له.

فابتدأ الحاجب المتضمّن للوضع عن الرضا عليه السلام، وقال له: إنّ الناس قد أكثروا عليك الحكايات، وأسرفوا في وصفك، فما أرى أنّك إن وقفت عليه إلا برئت منه، رأوك دعوت الله تعالى في المطر المعتاد، فجئته؛ فجعلوه آية لك، ومعجزة أوجبوا لك بها أن لا نظير لك في الدنيا، وهذا أميرالمؤمنين أدام الله ملكه لا يوازي بأحد إلا رجح به، وقد أحلّك المحلّ الذي قد عُرفت به، فليس من حقّه أن تسوّغ للكذّابين لك وعليه ما يكذبونه.

فقال الرضا عليه السلام: ما أدفع عباد الله عن التحدّث بنعم الله علي، وإن كنت لا أبغي أشراً ولا بطراً. وأمّا ذكرك صاحبك الذي أحلّني؛ فما أحلّني إلا المحلّ الذي أحلّه ملك مصر يوسف الصدّيق عليه السلام، وكانت حالهما ما قد عرفت.

فغضب الحاجب عند ذلك، فقال: يا ابن موسى! لقد عدوت طورك، وتجاوزت قدرك أن بعث الله تعالى بمطر مقدور في وقته لا يتقدّم ولا يتأخّر، وجعلته آية تستطيل بها، وصولة تصول بها، كأنّك جئت بمثل آية الخليل إبراهيم عليه السلام لمّا أخذ رؤوس الطير بيده، ودعا أعضاءها التي كان فرّقها على الجبال، فأتته سعياً على الرؤوس، وخفقن وطرن بإذن الله تعالى! فإن كنت صادقاً فيما توهم فأحيّ هاتين الصورتين ـ وكان الحاجب أشار إلى أسدين مصوّرين على مسند المأمون الذي كان مُستنداً إليه، وكانا متقابلين على المسند ـ وسلّطهما عليّ، فإن ذلك يكون حينئذٍ آية معجزة، فأمّا المطر المعتاد فلست أنت أحقّ بأن يكون جاء بدعوتك من غيرك الذي دعى كما دعوت!!

فغضب علي بن موسى الرضا عليه السلام، وصاح بالصورتين: دونكما الفاجر فافترساه، ولا تُبقيان له عيناً، ولا أثراً.

فوثب الصورتان ـ وقد عادتا أسدين ـ فتناولا الحاجب ورضّضاه، وتهشّماه، وأكلاه، ولحسا دمه، والقوم ينظرون متحيّرين ممّا يُبصرون.

فلمّا فرغا منه أقبلا على الرضاعليه السلام، فقالا: يا ولي الله في أرضه، ماذا تأمُرنا أن نفعل بهذا ـ ويُشيران إلى المأمون ـ؟ فغُشي على المأمون ممّا سمع منهما.

فقال الرضاعليه السلام: قفا. فوقفا.

ثمّ قال عليه السلام: صبّوا عليه ماء ورد، وطيّبوه. ففُعل ذلك به.

وعاد الأسدان يقولان: أتأذن لنا أن نُلحقه بصاحبه الذي أفنيناه؟

قال عليه السلام: لا، فإنّ لله تعالى تدبيراً هو ممضيه.

فقالا: بماذا تأمرنا؟

قال عليه السلام: عودا إلى مقرّكما كما كُنتما. فعادا إلى المسند، وصارا صورتين كما كانتا.

فقال المأمون: الحمد لله الذي كفاني شرّ حميد بن مهران ـ يعني، الحاجب المفترَس ـ.

ثمّ قال للرضاعليه السلام: هذا الأمر لجدّكم صلى الله عليه وآله، ثمّ لكم، فلو شئت لنزلت ـ يعني، عن الملك ـ لك عنه.[1]

إنّه الحقّ

روى الشيخ إبراهيم بن محمد الجويني في فرائد السمطين: بإسناده عن الحاكم، قال: سمعت علي بن محمد بن يحيى المذكر يقول: سمعت أبا الفضل بن أبي نصر الصوفي يقول: سمعت محمد بن علي الصائغ يقول: سمعت رجلاً

١. فرائد السمطين: ج٢ ص٢١٢.

ذهب عنّي اسمه عند قبر الرضا عليه السلام يقول:

كنت أُفكّر في شرف القبر، وشرف من توارى فيه، فتخالج في قلبي الإنكار على بعض من بها، فضربت بيدي الى المصحف متفائلاً، فخرجت هذه الآية: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾[1]. حتّى ضربت ثلاث مرّات، فخرج في كلّها هذه الآية.[2]

التوسّل بقبره عليه السلام

روى الشيخ إبراهيم بن محمد الجويني في فرائد السمطين: بسنده عن الحاكم، عن علي بن محمد بن يحيى، قال: قال أبو الفضل ـ ابن أبي نصر الصوفي ـ : سمعت زيد الفارسي يقول:

كنت بمرو الرود[3] منقرساً[4] مدّة سنتين لا أقدر أن أقوم قائماً، ولا أن أُصلّي قائماً، فأُريت في المنام: ألا تمرّ بقبر الرضا عليه السلام، وتمسح رجليك، وتدعو الله تعالى عند القبر حتّى يذهب ما بك؟

قال: فاكتريت دابّة، وجئت إلى طوس، ومسحت رجلي بالقبر، ودعوت الله عزّ وجلّ، فذهب عنّي ذلك النقرس، والوجع. فأنا ها هنا منذ سنين وما ن ـ قرست.[5]

---

١. سورة يونس، الآية: ٥٣.

٢. فرائد السمطين: ج٢ ص٢١٨.

٣. مرو الرود: مدينة من نواحي خراسان.

٤. النقرس: ورم يحدث في مفاصل القدم، وإبهامها.

٥. فرائد السمطين: ج٢ ص٢١٩.

استجابة الدعاء تحت قبّته عليه السلام

روى الشيخ إبراهيم بن محمد الجويني في فرائد السمطين: بسنده عن الحاكم، قال: سمعت أبا الحسن بن أبي منصور العلوي يقول: سمعت عمّي أبا محمد يقول: سمعت أبا نصر بن أبي الفضل بن محمد يقول: سمعت حاجب حمويه بن علي يقول:

كنت مع حمويه ببلخ، فركب يوماً وأنا معه، فبينا نحن في سوق بلخ إذ رأى حمويه رجلاً فوكّل به، وقال: احملوه إلى الباب، ثمّ عند انصرافه أمر بإحضار حمار فاره، وسفرة، وجبنة، ومائتي درهم.

فلمّا أُحضر، قال: هاتوا الرجل. فجيء به، فلمّا وقف بين يديه، قال: قد صفعتني صفعة، وأنا أقتصّها منك اليوم! أتذكر اليوم الذي زرنا جميعاً قبر الرضا عليه السلام. فدعوت أنت، وقلت: اللهمّ، ارزقني حماراً، ومائتي درهم، وسفرة فيها جبنة، وخبزة. وقلت أنا: اللهمّ، ارزقني قيادة خراسان. فصفعتني، وقلت: لا تسأل ما لا يكون! فالآن قد بلغني الله عزّ وجلّ مأمولي، وبلغك مأمولك، والصفعة لي عليك.[١]

قبره عليه السلام مجرّب لقضاء الحوائج

روى الشيخ إبراهيم بن محمد الجويني في فرائد السمطين: بسنده عن الحاكم، قال: سمعت أبا الحسين محمد بن علي بن سهل الفقيه يقول: ما عرض لي مهمّ من أمر الدين والدنيا، فقصدت قبر الرضا عليه السلام لتلك الحاجة، ودعوت عند القبر إلا قضيت لي تلك الحاجة، وفرّج الله عنّي ذلك المهمّ. وقد صارت إلي هذه العادة أن أخرج إلى ذلك المشهد في جميع ما يعرض لي، فإنّه عندي

---

١. فرائد السمطين: ج٢ ص٢١٩.

مجرّب.[1]

من كرامات تربته الطاهرة

روى الشيخ إبراهيم بن محمد الجويني في فرائد السمطين: بسنده عن الحاكم، قال: وقد عرّفني الله من كرامات التربة خير كرامة؛ ومنها إنّي كنت منقرساً، لا أتحرّك إلا بجهد، فخرجت وزرت، وانصرفت إلى نوقان[2] بخفّين[3] من كرابيس[4]، فأصبحت من الغد بنوقان وقد ذهب ذلك الوجع، وانصرفت سالماً إلى نيسابور.[5]

رزق ولداً ببركته عليه السلام

روى الشيخ إبراهيم بن محمد الجويني في فرائد السمطين: بسنده عن الحاكم، قال: سمعت أبا الحسين بن أبي بكر الفقيه يقول:

قد أجاب الله لي في كلّ دعوة دعوته بها عند مشهد الرضا عليه السلام حتّى إنّي دعوت الله أن يرزقني ولداً؛ فرُزقت ولداً بعد الإياس منه.[6]

---

١. فرائد السمطين: ج٢ ص٢٢٠.
٢. نوقان ـ بالضم، والقاف، وآخره نون ـ: إحدى قصبتي طوس؛ لأنّ طوس ولاية، ولها مدينتان: إحداهما: طابران. والأُخرى: نوقان. معجم البلدان للحموي: ج٥ ص٣١١.
٣. الخفّ: ما يُلبس في الرجل.
٤. كَرابيس: هي جمع كِرْباس. وهو القُطْن. لسان العرب لابن منظور: ج٦ ص١٩٥«مادّة كربس».
٥. فرائد السمطين: ج٢ ص٢٢٠.
٦. فرائد السمطين: ج٢ ص٢٢٠.

من أحاديثه عليه السلام

النعيم موالاتنا

روى القندوزي في ينابيع المودّة لذوي القربى، قال: وأيضاً الحاكم بن أحمد البيهقي، قال: حدّثنا محمد بن يحيى الصوفي، قال: حدّثنا أبو ذكوان القاسم بن اسماعيل، قال: حدّثني إبراهيم بن العباس الصولي ـ الكاتب بالأهواز سنة سبع وعشرين ومائتين ـ قال: كُنّا يوماً بين يدي علي بن موسى الرضا عليه السلام، قال له بعض الفقهاء: إنّ النعيم في هذه الآية هو الماء البارد.

فقال عليه السلام له بارتفاع صوته: كذا فسّرتموه أنتم، وجعلتموه على ضروب؛ فقالت طائفة: هو الماء البارد. وقال آخرون: هو النوم. وقال غيرهم: هو الطعام الطيّب، ولقد حدّثني أبي، عن أبيه جعفر بن محمد عليه السلام إذ أقوالهم هذه ذُكرت عنده فغضب وقال: إنّ الله عزّ وجلّ لا يسأل عباده عمّا تفضّل عليهم به، ولا يمنّ بذلك عليهم؛ وهو مستقبح من المخلوقين كيف يُضاف إلى الخالق ـ جلّت عظمته ـ مالا يرضى للمخلوقين؟!

ولكنّ النعيم حبّنا أهل البيت، وموالاتنا. يسأل الله عنه بعد التوحيد لله، ونبوّة رسوله صلى الله عليه وآله، لأنّ العبد إذا وافى بذلك أدّاه إلى نعيم الجنّة الذي لا يزول.[١]

شهادة المأمون له عليه السلام

روى ابن النجّار البغدادي في ذيل تاريخ بغداد، قال: أخبرنا أبو الفتوح داود بن معمّر القرشي بإصبهان، أنبأنا أبو الحسن بن أبي القاسم بن أحمد الثقفي، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد الحافظ، قال: أخبرني حاتم بن أبي سعد

---

١. ينابيع المودّة لذوي القربى: ج١ ص٣٣٣ ب٣٧.

الحلواني، أنبأنا إسماعيل بن إبراهيم الواعظ، حدثّنا أبو سعيد محمد بن الفضل المعلّم، قال: سمعت الفضل بن فضالة النسوي يقول: قال يحيى بن أكثم: كنت يوماً عند المأمون أمير الـ... وعنده علي بن موسى الرضا عليه السلام، فدخل الفضل بن سهل، ذو الرئاستين، فقال للمأمون: قد وليت ثغر الفلاني فلاناً التركي. فسكت المأمون؛ فقال علي بن موسى عليه السلام: ما جعل الله لإمام المسلمين، وخليفة ربّ العلمين، والقائم بأمور الدين[1] أن يولي شيئاً من ثغور المسلمين أحداً من سبي ذلك الثغر؛ لأنّ الأنفس تحنّ إلى أوطانها، وتشفق على أجناسها وتُحبّ مصالحها وإن كانت مخالفة لأديانها.

فقال المأمون: اكتبوا هذا الكلام بماء الذهب.[2]

الشكّ في إسلام أبي طالب

روى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، قال: وروي: إنّ رجلاً من رجال الشيعة ـ وهو إبان بن محمود ـ كتب إلى علي بن موسى الرضا عليه السلام:

جُعلت فداك، إنّي قد شككت في إسلام أبي طالب!

فكتب إليه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[3]. وبعدها إنّك إن لم تُقرّ بإيمان أبي طالب كان

---

١. أقول: عبارة الإمام عليه السلام: «ما جعل الله لإمام المسلمين، وخليفة ربّ العلمين، والقائم بأمور الدين» لا دلالة فيها على الإشارة للمأمون، بل هي من قبيل أنّ الأمر في مثل هذا لو وقع في يد المستخلف من قبل الله تعالى لفعل بها كذا. بمعنى، إنّها إشارة توجيهيّة إرشاديّة تُنبّه على الإقتداء بفعل المعصوم؛ بدليل ما تواتر عن إمتناعه عليه السلام في بيعة الخلافة له من قبل المأمون نفسه، فضلاً عن ولاية العهد وإن قبل بها بعد ذلك على مضض.

٢. ذيل تاريخ بغداد: ج ٤ ص١٣٦، ترجمة علي بن موسى الرضا عليه السلام.

٣. سورة النساء، الآية: ١١٥.

مصيرك إلى النار.[١]

جواد المخلوق أم الخالق؟!

روى العلامة شيخ الإسلام الشيخ إبراهيم بن محمد بن المؤيد الجويني الخراساني في فرائد السمطين، قال: قال الحاكم: حدثني علي بن عمر المذكر، قال: أنبأنا محمد بن علي الفقيه، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا سعيد بن عبد الله، عن إبراهيم بن هاشم، عن أحمد بن سليمان، قال: سأل رجل أبا الحسن الرضاعليه السلام ـ وهو في الطواف ـ فقال له: أخبرني عن الجواد؟

فقالعليه السلام: إنّ لكلامك وجهين: فإن كنت تسأل عن المخلوق. فإنّ الجواد الذي يؤدّي ما افترض الله عليه، والبخيل مَن بخل بما افترض الله عليه. وإن كنت تعني الخالق. فهو الجواد إن أعطى، وهو الجواد إن منع، لأنّه إن أعطى عبداً أعطاه ما ليس له، وإن منع منه منعه ما ليس منه.[٢]

ورواه المعتزلي ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة.[٣]

زينة الله والطيّبات

روى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، قال: وروي أنّ قوماً من المتصوّفة دخلوا خراسان على علي بن موسى الرضاعليه السلام، فقالوا له: إنّ أمير الـ.. فكّر فيما ولاه الله من الأُمور فرأكم ـ أهل البيت ـ أولى الناس أن تؤمّوا الناس. ونظر فيك من أهل البيت؛ فرآك أولى الناس بالناس؛ فرأى أن يرد هذا الأمر إليك. والإمامة تحتاج إلى من يأكل الجشب، ويلبس الخشن، ويركب الحمار،

---

١. شرح نهج البلاغة: ج١٤ ص٦٨.

٢. فرائد السمطين: ج٢ ص٢٢٥.

٣. شرح نهج البلاغة: ج٦ ص٣٣٩ رقم ٩٠، ضمن شرح خطبة الأشباح.

ويعود المريض.

فقال لهم: إنّ يوسف عليه السلام كان نبيّاً يلبس أقبية الديباج المزرّرة بالذهب، ويجلس على متكآت آل فرعون، ويحكم؛ إنّما يُراد من الإمام قسطه، وعدله. إذا قال، صدق. وإذا حكم، عدل. وإذا وعد، أنجز؛ إنّ الله لم يُحرّم لبوساً، ولا مطعماً. ثمّ قرأ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾[1].[2]

ورواه الشبلنجي في نور الأبصار، وابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة.[3]

تقلّب القلوب

روى أبو المعالي بن حمدون في التذكرة الحمدونيّة، قال: روي عن علي الرضا عليه السلام، إنّه قال:

إنّ للقلوب إقبالاً، وإدباراً، ونشاطاً، وفتوراً؛ فإذا أقبلت، أبصرت وفهمت، وإذا انصرفت، كلّت وملّت. فخذوها عند إقبالها ونشاطها، واتركوها عند إدبارها وفتورها.[4]

التين، والزيتون

روى العمادي أبو السعود في تفسيره، قال: وعن علي بن موسى الرضا عليه السلام: التين؛ يُزيل نكهة الفم، ويُطوّل الشعر، وهو أمان من الفالج. وأمّا الزيتون؛ فهو فاكهة، وإدام، ودواء. ولو لم يكن له سوى اختصاصه بدهن كثير المنافع مع حصوله في بقاع لا دهنيّة فيها لكفى به فضلاً. وشجرته؛ هي الشجرة المباركة

---

١. سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

٢. شرح نهج البلاغة: ج١١ ص٣٤، ذكر بعض مقامات العارفين والزهّاد.

٣. نور الأبصار: ص٢١٠. الفصول المهمّة: ص٢٣٦.

٤. التذكرة الحمدونيّة: ص٧٠.

المشهود لها في التنزيل.[١]

المُبارز لله تعالى

روى الراغب الاصفهاني في مفردات غريب القرآن، قال: وقوله تعـالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[٢]. أي، أغضبونا.

قال أبو عبد الله الرضا عليه السلام: إنّ الله لا يأسف كأسفنا، ولكنّ له أوليـاء يأسـفون ويرضون؛ فجعل رضاهم رضاه، وغضبهم غضبه.

قال: وعلى ذلك، قال عليه السلام: من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة.[٣]

الإستعانة في الطاعات

روى الآلوسي في تفسيره، قال: فقد قال الراغب في المحاضرات: إنّ علي بن موسى الرضا عليه السلام كان عند المأمون؛ فلمّا حضر وقت الصلاة رأى الخـدم يأتونـه بالماء، والطست، فقال الرضا عليه السلام:

لو تولّيت هذا بنفسك، فإنّ الله تعالى يقول: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[٤].[٥]

---

١. تفسير أبو السعود: ج٩ ص١٧٤، مورد تفسير سورة التين، الآية: ١ـ٢.

٢. سورة الزخرف، الآية: ٥٥.

٣. مفردات غريب القرآن: ص١٧«مادّة أسف».

٤. سورة الكهف، الآية: ١١٠.

٥. روح المعاني: ج١٦ ص٥٥، مورد تفسير سورة الكهف، الآية: ١١٠.

في بعض كلماته عليه السلام الدرّيّة

المالك المطلق

قال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: إنّ الله هو المالك لما ملّكهم، والقادر على ما أقدرهم، فإن ائتمر العباد بطاعته، لم يكن الله عنها صاداً، وإن ائتمروا بمعصيته، فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل.[1]

المشي المذموم

وقال عليه السلام: إنّ مشي الرجال مع الرجل فتنة للمتبوع، ومذلّة للتابع.[2]

الأقرب إلى الله

وقال عليه السلام: أقرب ما يكون العبد من الله سبحانه وتعالى وهو ساجد، وذلك قوله عز اسمه: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾[3].[4]

أعظم الرزايا

وقال عليه السلام: أعظم الرزايا موت العلماء.[5]

منزلة الصلاة

وقال عليه السلام: الصلاة قربان كلّ تقي.[6]

---

١. حديث الإسلام لأبي العلاء المالكي: ج١ ص١٩٨.
٢. تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٤٥٣، وفاة الرضا عليه السلام.
٣. سورة العلق، الآية: ١٩.
٤. فرائد السمطين للجويني: ج٢ ص٢٢١.
٥. طهارة القلوب للديريني: ص٢١٨.
٦. فرائد السمطين للجويني: ج٢ ص٢٢١.

الملك المغرور

وقال عليه السلام: إنّ في صحف ابراهيم عليه السلام: أيّها الملك المغرور! إنّي لم أبعثك لتبني البناء، ولا لتجمع الدنيا؛ ولكن بعثتك لتردّ عنّي دعوة المظلوم، فإنّي لا أردّها ولو كانت من كافر.[1]

اذا كنت في خير

وكان عليه السلام ينشد كثيراً:

إذا كنت في خير فلا تغترر به ... ولكن قل اللهم سلم وتمم[2]

حقّ آل محمد عليهم السلام

وقال عليه السلام: أيّها الناس، إنّ لنا عليكم حقّاً برسول الله صلى الله عليه وآله، ولكم علينا حقّ به صلى الله عليه وآله، فإذا أدّيتم إلينا ذلك، وجب لكم علينا الحُكم. والسلام.[3]

الأعظم عفواً

وقال عليه السلام للمأمون: ما التقت فئتان قطّ إلا نصر الله أعظمهما عفواً.[4]

من صفات السخي

وقال عليه السلام: السخي يأكل من طعام الناس ليأكلوا من طعامه.[5]

---

١. تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٤٥٣، وفاة الرضا عليه السلام.
٢. فرائد السمطين للجويني: ج٢ ص٢٢١.
٣. الفصول المهمّة للمالكي: ص٢٣٨.
٤. تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٤٥٣، وفاة الرضا عليه السلام.
٥. فرائد السمطين للجويني: ج٢ ص٢٢١.

صوم رجب

وقال عليه السلام: من صام أوّل يوم من رجب رغبة في ثواب الله، وجبت لـه الجنّـة. ومن صام يوماً من وسطه، شفع في مثل ربيعة، ومضر. ومن صام يوماً في آخره، جعله الله من أملاك الجنّـة، وشـفّعه الله فـي أُمّـه، وأبيـه، وإخوانـه، وأعمامـه، وأخواله، وخالاته، ومعارفه، وجيرانه وإن كان فيهم مَن هو مستوجب النار.[١]

انظروا الى عبدي

وقال عليه السلام: إذا نام العبد وهو ساجد، قال الله سـبحانه للملائكـة: انظـروا إلـى عبدي قبضت روحه وهو في طاعتي.[٢]

الأمر بالمعروف

وقال عليه السلام: إنّما يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر مؤمن فيتّعظ، فأمّا صـاحب سيف وسوط، فلا.[٣]

صديق المرء

وقال عليه السلام: صديق كلّ امرء عقله، وعدوه جهله.[٤]

مواطن الوحشة

وقال عليه السلام: أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاث مواطن: يوم يولـد المولـود، ويخرج من بطن أُمّه فيرى الدنيا. ويوم يمـوت فيُعـاين الآخـرة وأهلهـا. ويـوم يُبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا. وقد سلّم الله على يحيى عليه السلام في هـذه

---

١. نور الأبصار للشبلنجي: ص١٤٣.

٢. فرائد السمطين للجويني: ج٢ ص٢٢١.

٣. تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٤٥٣، وفاة الرضا عليه السلام.

٤. فرائد السمطين للجويني: ج٢ ص٢٢١.

الثلاثة المواطن، وآمن روعته، فقال: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾[1]، وقد سلّم عيسى بن مريمعليهما السلام على نفسه في هذه الثلاثة المواطن أيضاً، فقال: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[2].[3]

التعرّض للسلطان

وقالعليه السلام: إنّ مَن تعرّض لسلطان جائر فأصابته منه بليّة؛ لم يؤجر عليها، ولم يُرزق الصبر فيها.[4]

منجيات الصحبة

وقالعليه السلام: أصحب السلطان بالحذر، والصديق بالتواضع، والعدو بالتحرّز، والعامّة بالبِشر.[5]

العبّاس بن عبد المطّلب

قال المأمون للرضاعليه السلام: ما يقول بنو أبيك في جدّنا العبّاس؟

قالعليه السلام: ما يقولون في رجل فرض الله طاعة نبيّه على خلقه، وفرض طاعته على نبيّه ـ وهذا يوهم في البديهة أنّ الضمير في طاعته للعباس؛ وإنّما هو لله ـ فأمر له المأمون بألف ألف درهم.[6]

---

١. سورة مريم، الآية: ١٥.

٢. سورة مريم، الآية: ٣٣.

٣. الفصول المهمّة للمالكي: ص٢٣٥.

٤. تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٤٥٣، وفاة الرضاعليه السلام.

أقول: إنّما يؤكّدعليه السلام على وجوب التقيّة في مواطن عدم استجلاب الثمرة في الدين عند التعرّض لسلاطين الظلم، والجور.

٥. التذكرة الحمدونيّة لأبي المعالي: ص٣٧٧.

٦. سير أعلام النبلاء للذهبي: ج٩ ص٣٩١، ترجمة علي بن موسىعليهما السلام.

إنّما الدنيا كظلّ زائل

وقال عليه السلام شعراً:

كلّنـــا نأمــل مــدّاً في الأجــل ... والمنايــا هــنّ آفــات الأمــل

لا يغرنّـــك أباطيـــل المنـــا ... والزم القصد ودع عنك العلل

إنّمـــا الـــدنيا كظـــلّ زائـــل ... حـلّ فيـه راكـب ثـمّ رحـل[1]

خصال لا بدّ منها للمؤمن

وقال عليه السلام: لا يكون المؤمن مؤمناً حتّى يكون فيه ثلاث خصال: سنّة من ربّـه، وسنّة من نبيّه، وسنّة من وليّه. فأمّا السنّة من ربّه: فكتمان سرّه؛ قـال الله تعـالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۞ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾[2].

وأمّا السنّة من نبيّه: فمداراة الناس؛ فإنّ الله عزّ وجلّ أمر نبيّه بمداراة الناس، فقـال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[3].

وأمّا السنّة من وليه: فالصبر على البأساء، والضرّاء؛ قال الله تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء﴾[4].[5]

كرامة الأمير

روى ابن النجّار البغدادي في ذيل تاريخ بغداد، قال: قرأت علـى أبـي غـانم محمد بن الحسين بن زينة بإصبهان، عن القاسم بن الفضل بن عبد الواحـد: إنّ

---

١. تهذيب الكمال للمزّي: ج٢١ص١٥٢، ترجمة علي بن موسى الرضا عليه السلام. والبداية والنهاية لابن كـثير: ج١٠ ص٢٧٣.

٢. سورة الجنّ، الآية: ٢٦ـ٢٧.

٣. سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

٤. سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

٥. فرائد السمطين للجويني: ج٢ ص٢٢١.

أحمد بن عبد الرحمن الهمداني أخبره: أنبأنا أبو الربيع الإستراباذي، أنبأنا أبو بكر اليشكري، حدثني علي بن محمد مولى بني هاشم، حدثني الحسن بن محمد بن يونس، قال: سمعت علي بن موسى الرضاعليه السلام يقول:

لاتغتر بكرامة الأمير إذا غشّك الوزير.[1]

من هو الجواد؟

روى الجويني في فرائد السمطين: بسنده عن أحمد بن سليمان، قال: سأل رجل أبا الحسن الرضاعليه السلام وهو في الطواف، فقال له: أخبرني عن الجواد؟

فقالعليه السلام: إنّ لكلامك وجهين: فإن كُنت تسأل عن المخلوق؛ فإنّ الجواد الذي يؤدّي ما افترض الله عليه، والبخيل من بخل بما افترض الله عليه.

وإن كُنت تعني الخالق؛ فهو الجواد إن أعطى، وهو الجواد إن منع، لأنّه إن أعطى عبداً؛ أعطاه ما ليس له، وإن منع منه؛ منعه ما ليس منه.[2]

من شعرهعليه السلام

روى ابن النجّار البغدادي في ذيل تاريخ بغداد، قال: أخبرنا القاضي عبد المجير[3] بن محمد بن عشاير الشافعي بحلب، أنبأنا عبد الله بن أحمد الطوسي، أنبأنا علي بن عبد الرحمن بن الجرّاح، حدثنا عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشران إملاء، قال: وجدت في كتاب والدي، قال: حدثني أحمد بن محمد بن موسى، حدثنا إبراهيم بن محمد الأهوازي، حدثني محمد بن أحمد بن الحسن، حدثني أبو الحسين بن أبي مسعود الشعراني، عن أبي الحسين كاتب

---

١. ذيل تاريخ بغداد: ج٤ ص١٣٦، ترجمة علي بن موسى الرضاعليه السلام.

٢. فرائد السمطين للجويني: ج٢ ص٢٢٥.

٣. في الأصل: المحبر.

الفيّاض[1]، عن أبيه، قال: حضرنا مجلس الرضا، فشكى رجل أخاه؛ فأنشأ الرضا عليه السلام يقول:

إعذر أخاك على ذنوبه ... واستر وغطّ على عيوبه
واصبر على بهت السفيه ... وللزمان على خطوبه
ودع الجواب تفضّلاً ... وكل الظلوم إلى حسيبه

وفيه أيضاً: أخبرنا ضياء بن أحمد، أنبأنا محمد بن عبد الباقي الشاهد، أنبأنا القاضي هناد بن محمد بن علي بن الإمام، أنشدني محمد بن أحمد بن أبي الثلج الكاتب، أنشدني النوفلي لعلي بن موسى الرضا عليه السلام:

رأيت الشيب مكروها وفيه ... وقار لا يليق به الذنوب
إذا ركب أخو مشيب ... فما أحد يقول متى يتوب
لئن كان الشباب لي حبيباً ... فإنّ الشيب أيضاً لي حبيب
سأصحبه بتقوى الله حتّى ... يفرق بيننا الأجل القريب[2]

إلى آخر ما رووه في كتبهم عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام بما يؤكّد مدى إقرارهم بعظيم فضل الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، وكثير علمه، وتقواه.

قيل فيه

وروى ابن النجّار البغدادي في ذيل تاريخ بغداد، قال: أنبأنا أبو أحمد الصوفي، قال: كتب إلي أبو الغنائم العلوي، أنبأنا أبو عبد الرحمن الشاذياخي قراءة عليه، حدّثنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ، قال: حدّثني الزبير بن عبد الله بن موسى البغدادي، حدّثنا محمد بن يحيى الصولي، حدّثنا أحمد بن يحيى بإسناد ذكره عن الشعبي، إنّه قال: أفخر بيت قيل في الإسلام قول الأنصار يوم بدر:

---

١. في الأصل: القاض.

٢. ذيل تاريخ بغداد: ج٤ ص١٣٧، ترجمة علي بن موسى الرضا عليه السلام.

ويُـنير بـدر إذ نـرد وجـوههم جبريـل تحـت لوائنـا ومحمـد

قال الصولي: أقول: أفخر من هذا قول الحسن بن هانئ[١] في علي بن موسى الرضا عليه السلام:

قيـل لـي أنـت واحـد النـاس في كـلّ كـلام مـن المقـام بديـه
لـك في جـوهر الكـلام بـديع يثمـر الـدرّ في يـدي مجتبيـه
فعلى ما تركت مدح ابن موسى كـان جبريـل خادمـاً لأبيـه[٢]

في أدعيته عليه السلام

روى ابن النجّار البغدادي في ذيل تاريخ بغداد، قال: حدّثنا الحاكم أبو عبد الله، قال: أخبرني أبو تراب أحمد بن محمد بن الحسين بن مهدي المذكر بالنوقان، حدّثنا أحمد بن محمد بن إسماعيل البغدادي، حدّثنا مذكور بن سليمان، قال: سمعت أبا الصلت عبد السلام بن صالح الهروي يقول: حججت مع علي بن موسى الرضا عليه السلام فسمعته يقول يدعو بالموقف بهذا الدعاء:

اللهمّ، كما سترت عليّ ما أعلم، فاغفر لي ما تعلم، وكما وسعني علمك فليسعني عفوك، وكما ابتدأتني بالإحسان فأتمّ نعمتك بالغفران، وكما أكرمتني بمعرفتك فاشفعها بمغفرتك، وكما عرّفتني وحدانيتك فألزمني طواعيتك، وكما عصمتني ممّا لم أكن أعتصم منه إلا بعصمتك فاغفر لي مالو شئت لعصمتني منه، يا جواد يا كريم يا ذا الجلال والإكرام.[٣]

---

١. هو: أبو نواس الحسن بن هانئ الحكمي.

٢. ذيل تاريخ بغداد: ج٤ ص١٣٨، ترجمة علي بن موسى الرضا عليه السلام.

٣. ذيل تاريخ بغداد: ج٤ ص١٣٩، ترجمة علي بن موسى الرضا عليه السلام.

فصل في

ولاية العهد

تقدّم البحث في بيان أمر الحكومة، وموقف آل البيت عليهم السلام منها، وبيّنا من خلاله أنّها لم تعني لهم عليهم السلام شيئاً مالم تقترن برضى الله سبحانه، ودوام طاعته، فضلاً عن العزيمة في الحكم بما أنزل الله، وشمول كلّ نفس ما يوافقها من حكم السماء بما لا يترك المجال لهوى النفس في حرف حكم الحقّ بين الناس.[1]

وبما أنّ الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أحد أوصياء جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله الشرعيين، وخُلفائه الصادقين ـ كما هو منصوص عليهم من قبل النبي صلى الله عليه وآله[2]، وآبائه الطاهرين عليهم السلام[3] ـ مضافاً لاستكماله شرائط الخلافة النبويّة، وإمامة الأُمّة شرعاً، وعقلاً، وعرفاً. لكنّه عليه السلام ورغم ذلك لم يكن طالباً للمشاركة في خلافة قهريّة متوارثة عن طغاة.

ثمّ إنّ أوصياء النبي صلى الله عليه وآله، وخلفاءه ينبغي أن يكونوا مماثلين له صلى الله عليه وآله شرعاً، وعقلاً، وعرفاً، مظهرين لكامل خصاله، وصفاته، سائرون في الناس وفق سيرته صلى الله عليه وآله، يتلون على الناس آيات الله سبحانه، ويُزكّونهم، ويُعلمونهم الكتاب والحكمة، ويأمرونهم بالمعروف، وينهونهم عن المنكر، ويهدونهم إلى صراط الله الحميد، ويُرشدونهم إلى ما فيه صلاحهم، أُسوة لهم برسول الله صلى الله عليه وآله.

---

١. راجع الجزء الخامس، فصل: صلح الإمام الحسن عليه السلام.

٢. راجع ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي: ج٣ ص٢٨١ ب٧٦، في بيان الأئمّة الإثني عشر بأسمائهم، وفرائد السمطين للحمويني: ج٢ ص١٣٢ رقم٤٣١.

٣. على ما مر بعض ذلك وسيأتي بعضها.

فالخلافة وأشباهها من مسمّيات الحكم، والسلطة لم تكن تُمثّل لآل البيت عليهم السلام سوى قنطرة حقّ بها يوصلون الناس إلى ما أنزل الله على رسوله من دين الحقّ، ليحيى من حي عن بيّنة، ويهلك من هلك عن بينة، لا ليكونوا سلاطين، أوملوكاً قاهرين متّخذين عباد الله خولاً، ومال الله دولاً، يذلّوا الناس باستعبادهم، ويعبثوا بأموال بيت مال المسلمين حسب أهوائهم، فيصرفوها بما تهوى أنفسهم، وكيفما شاؤوا؛ فيبدّدوها في الخمر والميسر بغير حساب، ويفرّقوها على الشعراء الغاوين، والمغنيين الماجنين، وأهل العبث والمجون، متناسين الأُمّة الإسلاميّة ومصالحها، وما أوجبته عليهم حقوقها.

لذلك وبعد الضغوط القاهرة التي قد مارسها المأمون على الإمام الرضا عليه السلام ليُنزله على إرادته، لم يكن أمام الإمام عليه السلام سوى قبول بيعته لولاية العهد مُملياً على المأمون شروطاً تُخرجه من كلّ تبعة، أو ذنب يُخلان بمقامه السامي، فضلاً عن علمه عليه السلام بأنّ الأمر لم يتمّ إلا بقدر ما به يفتضح المأمون بشهادته لآل البيت عليهم السلام بخلافة النبي صلى الله عليه وآله، مُفصحاً عن حقيقة أمر أسلافه، نظير عزم ابن عبد العزيز الأُموي بردّه لهم فدكاً من قبل؛ ما تجلّي بسببهما وضوح صورة حكم السياسة الفاسدة لغاصبي الخلافة، وفدك من قبل سادتهم الماضين، وانكشافها على يدي حاكمي بيتين يُفرّقهما كرسي الملك، ويجمعهما بغض آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

كلام الخواجة بارسا

روى الشيخ سليمان القندوزي عن فصل الخطاب لمحمد خواجة بارسا البخاري، قال:

لمّا أراد المأمون أن يتقرّب إلى الله، وإلى رسوله صلى الله عليه وآله بالبيعة لعلي الرضا عليه السلام كتب إليه أن يقدم إلى مرو، فاعتلّ عليه السلام بعلل كثيرة، فما زال المأمون يُكاتبه، حتّى

علم الرضاعليه السلام أنّه لا يكفّ عنه، فخرج من المدينة وسار على طريق البصرة، والأهواز، وفارس، ونيسابور حتّى دخل مرو شاهجان[١]، فعرض عليه المأمون الخلافة، فأبىعليه السلام. وجرت في ذلك مخاطبات كثيرة، وألحّ عليه المأمون مرّة بعد أُخرى، وفي كلّها يأبىعليه السلام، وقالعليه السلام: بالعبودية لله افتخر، وبالزهد في الدنيا أرجو الرفعة عند الله تعالى. وكلّما ألحّ عليه المأمون يقولعليه السلام: اللهمّ، لا عهد إلا عهدك، ولا ولاية إلا من قبلك، فوفّقني لإقامة دينك، وإحياء سنّة نبيّكصلى الله عليه وآله، فإنّك نعم المولى، ونعم النصير.

فقال المأمون: إن لم تقبل الخلافة فكن ولي عهدي. فأبىعليه السلام أيضاً، وقال: والله، لقد حدّثني أبي، عن آبائهعليهم السلام، عن رسول اللهصلى الله عليه وآله: إنّي أخرج من الدنيا قبلك مظلوماً، تبكي علي ملائكة السماء والأرض، وأُدفن في أرض الغربة.

ثمّ ألحّ المأمون إلحاحاً كثيراً، فقبلعليه السلام ولاية العهد وهو باك حزين، على شرط أن لا يُنصّب أحداً معزولاً، ولا يعزل أحداً منصوباً. فرضي المأمون بذلك الشرط، وجعله ولي عهده، وأمر الناس بالبيعة لهعليه السلام، وأمر الجنود أن يرزق من خزائنه، وضربت الدراهم والدنانير بإسمهعليه السلام، وأمر الناس بلبس الخضرة وترك السواد... إلخ.[٢]

تعجّب ذو الياستين!

روى المزّي في تهذيبه، قال: حدّثني موسى بن سلمة، قال: كنت بخراسان مع محمّد بن جعفر فسمعت أنّ ذا الرياستين خرج ذات يوم وهو يقول: واعجباً، وقد رأيت عجباً! سلوني ما رأيت.

---

١. مرو الشاهجان: هذه مرو العظمى، أشهر مدن خراسان وقصبتها. معجم البلدان للحموي: ج٥ ص١١٢.

٢. ينابيع المودة: ج٣ ص١٦٧ ب٦٥.

قالوا: ما رأيت، أصلحك الله!؟

قال: رأيت أميرالمؤمنين المأمون يقول لعلي بن موسى: قد رأيت أن أُقلّدك أمر المسلمين، وأفسخ ما في رقبتي وأجعله في رقبتك. ورأيت علي بن موسى يقول: يا أمير... لا طاقة لي بذلك، ولا قوّة.

فما رأيت خلافة قطّ أضيع منها؛ أميرالمؤمنين يتقضّى منها، ويعرضها على علي بن موسى، وعلي بن موسى يرفضها، ويأباها!![1]

كتاب العهد

وقد كتب المأمون كتاب العهد بخطه، وهذا نصّه:

بسم الله الرحمن الرحيم.

هذا كتاب كتبه عبد الله بن هارون الرشيد لعلي بن موسى بن جعفر، ولي عهده.

أمّا بعد، فإنّ الله عزّ وجلّ اصطفى الإسلام ديناً، واختار له من عباده رسلاً دالّين عليه، وهادين إليه، يُبشّر أوّلهم بآخرهم، ويصدق تاليهم ماضيهم، حتّى انتهت نبوّة الله تعالى إلى محمد صلى الله عليه وآله على فترة من الرسل، ودروس من العلم، وانقطاع من الوحي، واقتراب من الساعة، فختم الله به النبيين، وجعله شاهداً عليهم ومهيمناً، وأنزل عليه كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

فلمّا انقضت النبوّة، وختم الله بمحمد صلى الله عليه وآله الرسالة، جعل قوام الدين، ونظام المسلمين في الخلافة ونظامها، والقيام بشرائعها وأحكامها، ولم يزل

---

١. تهذيب الكمال: ج٢١ ص١٥٠ ترجمة علي بن موسى الرضا عليه السلام، رقم ٤١٤١.

أميرالمؤمنين منذ أفضت إليه الخلافة، وحمل مشاقّها، وتجرّع طعمها ومذاقها، مُسهراً لعينه، مُضنياً لبدنه، مُطيلاً لفكره فيما فيه عزّ الدين، وقمع المشركين، وصلاح الأُمّة، وجمع الكلمة، ونشر العدل، وإقامة الكتاب والسنّة، وما بعد ذلك من الخفض والدعة، ومهنأ العيش؛ محبّة أن يلقى الله سبحانه وتعالى مُناصحاً له في دينه وعباده، ومختاراً لولاية عهده، ورعاية الأُمّة من بعده أفضل من يقدر عليه في دينه، وورعه، وعلمه، وأقدرهم للقيام في أمر الله وحقّه، مُناجياً لله تعالى بالإستخارة في ذلك، وسائله إلهامه لما فيه رضاه وطاعته، في آناء ليله ونهاره، مُعملاً فكره، ونظره في طلبه، والتماسه في أهل بيته من ولد عبد الله بن عباس، وعلي بن أبي طالب عليه السلام، مقتصراً ممّن علم حاله ومذهبه منهم على علمه، وبالغاً في المسألة ممّن خفي عليه منهم جهده وطاقته، حتّى استقصى أمورهم معرفةً، وابتلى أخبارهم مشاهدةً، واستبرأ أحوالهم معاينةً، وكشف ما عندهم مُسائلةً، وكانت خيرته بعد استخارة الله تعالى، وإجهاده نفسه في قضاء حقّه في عباده، وبلاده في الفئتين: العباسيّة، والعلويّة جميعاً، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام لما رأى من فضله البارع، وعلمه الذائع، وورعه الظاهر الشائع، وزهده الخالص النافع، وتخلّيه عن الدنيا، وتفرّده من الناس، وقد استبان له ـ أي، للخليفة ـ من لم يزل الأخبار عليه منطبقة، والألسنة عليه متّفقة، والكلمة فيه جامعة، والأخبار واسعة، ولمّا لم يزل يُعرف به الفضل يافعاً، وناشئاً، وحدثاً، وكهلاً؛ فلذلك عقد له بالعهد والخلافة من بعده، واثقاً بخيرة الله في ذلك، إذ علم الله تعالى أنّه فعله إيثاراً له وللدين، ونظراً للإسلام والمسلمين، وطلباً للسلامة وثبات الحجّة، والنجاة في اليوم الذي تقوم به الناس لربّ العالمين.

ودعا أميرالمؤمنين ولده، وأهل بيته، وخاصّته، وقوّاده، وخدمه، فبايعه الكلّ مطيعين مسارعين، عالمين بإيثار أميرالمؤمنين طاعة الله على الهوى في ولده،

وغيره ممّن هو أشبك رحماً، وأقرب قرابة... والحمد لله ربّ العالمين.

كتبه الخليفة المأمون بيده في يوم الإثنين لسبع خلون من شهر رمضان المعظّم سنة إحدى ومائتين.[١]

ردّ الإمام عليه السلام

وقد كتب الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام على ظهر كتاب العهد:

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله الفعّال لما يشاء، لا معقّب لحكمه، ولا رادّ لقضائه، يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، وصلواته على نبيّه محمد خاتم النبيين، وآله الطيبين الطاهرين.

أقول، وأنا علي بن موسى بن جعفر: إنّ الأمير... جعل إلي عهده، والإمرة الكبرى إن بقيت بعده، فمن حلّ عقدةً أمر الله بشدّها، وفصم عروة أحبّ الله اتّساقها، فقد أباح حريمه، وأحلّ حُرمه، إذ كان بذلك زارياً على الإمام، منتهكاً حرمة الإسلام. وخوفاً من شتات الدين، واضطراب أمر المسلمين، وحذر فرصة تُنتهز، وعُلقة تُبتدر، جعلت لله تعالى على نفسي عهداً إن استرعاني أمر المسلمين، وقلّدني خلافة العمل فيهم عامّة، وفي بني العباس بن عبد المطّلب خاصّة أن أعمل فيهم بطاعة الله، وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله، ولا أسفك دماً، ولا أُبيح فرجاً، ولا مالاً، إلا ما سفكته حدوده، وأباحته فرائضه، وأن أتحرّى جهدي وطاقتي.

---

١. الفصول المهمّة للمالكي: ص٢٩٣، ونور الأبصار للشبلنجي: ص١٤٣، والإتحاف بحبّ الأشراف للشبراوي: ص١٦٥، والمنتظم في تاريخ الملوك والأُمم لابن الجوزي: ج١٠ ص٩٣.

وجعلت بذلك على نفسي عهداً مؤكّداً يسألني الله عنه، فإنّه عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾[1]. وإن أحدثت، أو غيّرت، أو بدّلت كنت للعزل مستحقّاً، وللنكال متعرّضاً، وأعوذ بالله من سخطه، والله أرغب في التوفيق لطاعته، والحول بيني وبين معصيته في عافية لي وللمسلمين. والجامعة، والجفر يدلان على ضدّ ذلك، وما أدري ما يفعل الله بي ولا بكم، إن الحكم إلا لله، يقصّ الحقّ وهو خير الفاصلين... إلخ.[2]

وشهد على ما كتبه المأمون القاضي يحيى بن أكثم، وعبد الله بن طاهر، وحمّاد بن النعمان، وبشر بن المعتمر.

كلام الإصفهاني

قال الإصفهاني أبو الفرج في مقاتل الطالبيين: أخبرني ببعضه الحسن بن علي بن حمزة، عن عمّه محمد بن علي، وأخبرني بأشياء منهم: أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدّثنا يحيى بن الحسن العلوي، وجمعت أخبارهم:

إنّ المأمون بن الرشيد هارون وجّه إلى جماعة من آل أبي طالب، فحُملوا إليه من المدينة وفيهم أبو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام، فأُخذ بهم على طريق البصرة مع قائد من أهل خراسان، فقدم بهم على المأمون، فأنزلهم داراً، وأنزل علي بن موسى عليهما السلام داراً، ووجّه إليه الفضل بن سهل، فأعلمه أنّه يُريد العقد له بالبيعة، وأمره بالإجتماع مع أخيه الحسن على ذلك. ففعل، واجتمعا بحضرته، فجعل الحسن يُعظّم ذلك عليه، ويُعرّفه ما في إخراج الأمر من أهله عليه.

---

١. سورة الإسراء، الآية: ٣٤.

٢. نور الأبصار للشبلنجي: ص١٤٤، والفصول المهمّة للمالكي: ص٢٩٣، وتذكرة الخواصّ لابن الجوزي: ص٣٦١.

فقال له: إنّي عاهدت الله أن أُخرجها إلى آل أبي طالب إن ظفرت بالمخلوع، وما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل.

فاجتمعا معه على ما أراده، فأرسلهما إلى الرضاعليه السلام، فعرضا ذلك عليه؛ فأباه. فلم يزالا به وهو يأبى ذلك، ويمتنع منه، إلى أن قال أحدهما: إن فعلت وإلا فعلنا بك وصنعنا. وتهدّده، ثمّ قال له: والله، لو أمرني المأمون لضربت عنقك إذا خالفت ما يُريد.

ثمّ دعا به المأمون فخاطبه في ذلك، فامتنععليه السلام، فقال له المأمون مثل ما قال الأوّل وتهدّده، وقال له: إنّ عمر جعل الأمر شورى في ستّة أحدهم أبوك، وقال: من خالف فاضربوا عنقه، ولابدّ من قبول ذلك. فأجابه الرضاعليه السلام إلى ما إلتمس.

ثمّ إنّ المأمون جلس في يوم خميس، وخرج الفضل بن سهل فأعلم الناس برأي المأمون في علي بن موسىعليهما السلام، وأنّه ولاه عهده... وأمرهم بلبس الثياب الخضر، والعود لبيعته في الخميس الآخر على أن يأخذوا رزق سنة.

فلمّا كان الخميس ركب الجيش، والقوّاد، والقُضاة، وغيرهم من الناس، وهم لابسون الثياب الخضر، وجلس المأمون بعد أن وضع للرضاعليه السلام وسادتين عظيمتين، وجلس الرضاعليه السلام بأثوابه الخضر، وعليه عمامته، وسيفه، ثمّ أمر المأمون ابنه العباس؛ فبايع له أوّل الناس...

فرفع الرضاعليه السلام بيده، وتلقى بظهرها وجه نفسه، وبطنها وجوههم، فقال له المأمون: ابسط يدك للبيعة.

فقال الرضاعليه السلام: إنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله هكذا كان يبايع. فبايعه الناس...

وقام الخطباء والشعراء؛ فجعلوا يذكرون فضل علي بن موسى الرضاعليه السلام...

ثمّ قال المأمون للرضاعليه السلام: قمّ فاخطب الناس، وتكلّم فيهم. فقالعليه السلام بعد حمد الله والثناء عليه:

إنّ لنا عليكم حقّاً برسول الله صلى الله عليه وآله، ولكم علينا حقّ به صلى الله عليه وآله، فإذا أدّيتم إلينا ذلك؛ وجب علينا الحقّ لكم. ولم يُذكر عنه عليه السلام غير هذا في ذلك المجلس...

وقد اختُلف في أمر وفاته عليه السلام، وكيف كان سبب السمّ الذي سُقيه، فذكر محمد بن علي بن حمزة: إنّ منصور بن بشير ذكر عن أخيه عبد الله: إنّ المأمون أمره أن يطوّل أظفاره، ففعل، ثمّ أخرج إليه شيئاً يشبه التمر الهندي، وقال له: امرسه بيديك جميعاً! ففعل، ثمّ دخل علي الرضا عليه السلام، فقال له: ما خبرك؟

قال عليه السلام: أرجو أن أكون صالحاً.

قال: هل جاءك أحد من المترفّقين اليوم؟

قال عليه السلام: لا.

فغضب المأمون، وصاح على غلمانه، وقال للرضا عليه السلام: خُذ ماء الرمان اليوم؛ فإنّه ممّا لا يُستغنى عنه! ثمّ دعا برمان، فأعطاه عبد الله بن بشير، وقال له: اعصر ماءه بيديك، ففعل، وسقاه الرضا عليه السلام بيده، فشربه، فكان سبب وفاته، ما لبث بعد شرب ماء الرمان إلا يومين حتّى مات عليه السلام.

قال محمد بن علي بن حمزة: فبلغني عن أبي الصلت الهروي: إنّه دخل على الرضا عليه السلام بعد ذلك، فقال عليه السلام: يا أبا الصلت، قد فعلوها بي؛ قد سقوني السمّ...

ولمّا توفّي عليه السلام لم يظهر المأمون موته في وقته، وتركه يوماً وليلة، ثمّ وجّه إلى محمد بن جعفر، وجماعة من آل أبي طالب، فلمّا حضروا أراهم إياه صحيح الجسد، لا أثر به، وبكى، وقال: عزّ علي يا أخي أن أراك في هذه الحالة، وقد كنت أؤمل أن أقدم قبلك فأبى الله إلا ما أراد، وأظهر جزعاً شديداً، وحُزناً كثيراً، وخرج مع جنازته يحملها حتّى أتى الموضع الذي هو مدفون فيه الآن،

فدفنه هناك إلى جانب هارون الرشيد.[1]

كلام اليعقوبي

قال اليعقوبي في تاريخه: وأشخص المأمون الرضا، علي بن موسى بن جعفرعليه السلام من المدينة إلى خراسان، وكان رسوله إليه رجاء بن الضحّاك قرابة الفضل بن سهل، فقدم بغداد، ثمّ أخذ به على طريق البصرة حتّى صار إلى مرو.

وبايع لهعليه السلام المأمون بولاية العهد من بعده، وكان ذلك يوم الإثنين لسبع خلون من شهر رمضان سنة ٢٠١، وألبس الناس الأخضر مكان السواد، وكتب بذلك إلى الآفاق، وأخذت البيعة للرضاعليه السلام ودعي على المنابر، وضُربت الدنانير، والدراهم بإسمه، ولم يبق أحد إلا لبس الخضرة إلا إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي الهاشمي، فإنّه كان عاملاً للمأمون على البصرة، فامتنع من لبس الخضرة، وقال: هذا نقض لله، وله. وأظهر الخلع...

ووجّه بيعة الرضاعليه السلام إلى مكّة، وإبراهيم موسى بن جعفر بها مقيم... فقدم الجلودي ومعه الخضرة، وبيعة الرضاعليه السلام فخرج إبراهيم فتلقّاه، وبايع الناس للرضاعليه السلام بمكّة، ولبسوا الأخضر.

فكتب المأمون إلى إبراهيم بن موسى ولاية اليمن... ووثب محمد بن أبي خالد، وأهل الحربيّة بالحسن بن سهل حتّى أخرجوه من بغداد، وأسروا زهير بن المسيّب الضبّي... وأتوا محمد بن صالح بن منصور، فقالوا: نحن أنصار دولتكم، وقد خشينا أن تذهب هذه الدولة بما حدث فيها من تدبير المجوس. وقد أخذ المأمون البيعة لعلي بن موسى الرضاعليه السلام فهلم نبايعك، فإنّا نخاف أن

---

١. راجع مقاتل الطالبيين: ص٣٧٥ـ٣٧٨، أيام المأمون.

يخرج هذا الأمر عنكم. فقال لهم: قد بايعت المأمون ـ وكان محمد بن صالح أوّل هاشمي بايع المأمون ببغداد ـ وقال: لست بصاحبكم... فاجتمع قواد الحربيّة فبايعوا لإبراهيم بن المهدي المعروف بـ(ابن شكلة) ودُعي له بالخلافة...

وخرج المأمون من مرو متوجّهاً الى العراق سنة٢٠٢، ومعه الرضاعليه السلام وهو ولي عهده، وذو الرياستين الفضل بن سهل وزيره... ولما صار إلى طوس توفّي الرضا علي بن موسى بن جعفرعليهما السلام بقرية يُقال لها (النوقان) أوّل سنة٢٠٣، ولم تكن علّتهعليه السلام غير ثلاثة أيام، فقيل: إنّ علي بن هشام أطعمه رمّاناً فيه سمّ... إلخ.[1]

---

١. راجع تاريخ اليعقوبي: ج٣ ص١٨٣.

في شهادته عليه السلام مسموماً

إخبار النبي صلى الله عليه وآله

روى السيّد علي بن شهاب الدين الهمداني في مودة القربى، قال: روي عن الإمام علي الرضا عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ستُدفن بضعة منّي بخراسان؛ ما زاره مكروب إلا نفّس الله كربه، ولا مذنب إلا غفر الله له.[1]

ورواه القندوزي الحنفي في ينابيع المودّة، والجويني في فرائد السمطين.[2]

وروى الحمويني الجويني في فرائد السمطين، قال: وقال الحاكم الحافظ: أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد العبسي، قال: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي، قال: حدثنا جعفر بن محمد ـ ابن عمّار ـ عن أبيه، عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، عن أبيه ـ محمد بن علي، عن أبيه ـ علي بن الحسين، عن أبيه ـ الحسين بن علي ـ عن أبيه علي عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ستُدفن بضعة منّي بخراسان؛ لا يزورها مؤمن إلا أوجب الله له الجنّة، وحرّم جسده على النار.[3]

كلام ابن حبّان

قال ابن حبّان: ومات علي بن موسى الرضا عليه السلام بطوس من شربة سقاه إياها المأمون، فمات من ساعته، وذلك في يوم السبت آخر يوم سنة ثلاث ومائتين. وقبره بسناباذ خارج النوقان، مشهور يُزار.[4]

---

١. مودّة القربى: ص١٤٠.

٢. ينابيع المودّة: ج٢ ص٣٤١ ب٥٦. فرائد السمطين: ج٢ ص١٩٠.

٣. فرائد السمطين: ج٢ ص١٨٨.

٤. الثقات: ج٨ ص٤٥٦، تتمّة حديث رقم١٤٤١١.

كلام السمعاني

قال السمعاني في الأنساب: ومات علي بن موسى الرضاعليه السلام بطوس، يوم السبت، آخر يوم من سنة ثلاث ومائتين. وقد سُمّ في ماء الرمّان، وأُسقي.

قلت: والرضاعليه السلام كان من أهل العلم، والفضل مع شرف النسب.[١]

إخباره عليه السلام عن شهادته، وموضع دفنه

روى ابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة، قال: قال هرثمة بن أعين ـ وكان من خدم عبد الله المأمون إلا أنه كان محباً لأهل البيت عليهم السلام إلى الغاية ويعد نفسه من شيعتهم، وكان قائماً بخدمة الرضاعليه السلام وجميع مصالحه، مؤثراً لذلك على جميع أصحابه، مع تقدّمه عند المأمون، وقربه منه ـ : قال: طلبني سيّدي أبو الحسن الرضاعليه السلام في يوم من الأيام، فقال لي: يا هرثمة، إنّي مُطلعك على أمر يكون سرّاً عندك، لا تُظهره لأحد مدّة حياتي، فإن أظهرته حال حياتي كنت خصيماً لك عند الله.

فحلفت له عليه السلام: إنّي لا أتفوّه بما يقوله لي مدّة حياته.

فقال عليه السلام لي: إعلم يا هرثمة، إنّه قد دنى رحيلي، ولحوقي بجدّي وآبائي، وقد بلغ الكتاب أجله؛ إنّي أُطعم عنباً، ورمّاناً مفتوناً، فأموت، ويقصد الخليفة أن يجعل قبري خلف قبر أبيه الرشيد، وإنّ الله لا يُقدره على ذلك، وإنّ الأرض تشتدّ عليهم؛ فلا تعمل فيها المعاول، ولا يستطيعون حفر شيء منها، فتكون تعلم يا هرثمة، إنّما مدفني في الجهة الفلانية من الحدّ الفلاني بموضع عيّنه له عنده.

فإذا أنا متّ، وجُهّزت فأعلمه ـ يعني، المأمون ـ بجميع ما قلته لك ليكونوا

---

١. الأنساب: ج٣ ص٧٤، باب الراء والضاد.

على بصيرة من أمري، وقُلّ له إن أُوضعت في نعشي، وأرادوا الصلاة علي: فلا يُصلّي ـ المأمون ـ علي، وليتأنّ بي قليلاً؛ فإنّه يأتيكم رجل عربي مُلثّم على ناقة له، مُسرع من جهة الصحراء، عليه وعثاء السفر، فينيخ راحلته وينزل عنها، فيُصلّي علي، وصلّوا معه علي، فإذا فرغتم من الصلاة علي، وحملتموني إلى مدفني الذي عيّنته لك، فاحفر شيئاً يسيراً من وجه الأرض تجد قبراً مُطبقاً معموراً، في قعره ماء أبيض، إذا كشفت عنه الطبقات نضب الماء؛ هذا مدفني فادفنوني فيه. والله الله يا هرثمة أن تُخبر بهذا أو بشيء منه قبل موتي.

قال هرثمة: فو الله، ما طالت الأناة حتّى أكل الرضاعليه السلام عندالخليفة عنباً، ورمّاناً مفتوناً، فمات...

قال هرثمة: فدخلت على عبد الله المأمون لمّا رُفع إليه موت أبي الحسن الرضاعليه السلام، فوجدت المنديل في يده وهو يبكي عليه، فقلت: يا أمير الـ... ثَمّ كلام، أتأذن لي أن أقوله لك؟

قال: قُل.

قلت: إنّ الرضاعليه السلام أسرّ إلي في حياته بأمر، وعاهدني أن لا أبوح به لأحد إلا لك عند موته. وقصصت عليه القصّة التي قالهاعليه السلام لي من أوّلها إلى آخرها، وهو متعجّب من ذلك، ثمّ أمر بتجهيزه، وخرجنا بجنازته إلى المُصلّى، وتأنّينا بالصلاة عليه قليلاً، فاذا بالرجل قد أقبل على بعير من جهة الصحراء كما قالعليه السلام، ونزل ولم يُكلّم أحداً، فصلّى عليه، وصلّى الناس معه، وأمر الخليفة بطلب الرجل، فلم يروا له أثراً، ولا لبعيره.

ثمّ إنّ الخليفة قال: نحفر له من خلف قبر الرشيد.

فقلت له: يا أمير الـ... ألم نُخبرك بمقالتهعليه السلام؟!

قال: نُريد ننظر إلى ما قلته.

فعجز الحافرون، فكانت الأرض أصلب من الصخر الصوان، وعجزوا على حفرها، وتعجّب الحاضرون من ذلك، وتبيّن للمأمون صدق ما قلته له عنه، فقال: أرني الموضع الذي أشار إليه.

فجئت بهم إليه، فما كان إلا أن كُشف التراب عن وجه الأرض فظهرت الأطباق، فرفعناها فظهر من تحتها قبر معمول، وإذا في قعره ماء أبيض، وعلمت الخليفة، فحفروا قبره على الصفة التي ذكرتها له ـ أي، للمأمون ـ وأشرف عليه المأمون وأبصره، ثمّ إنّ ذلك الماء نشف من وقته، فواريناه عليه السلام...

ولم يزل الخليفة المأمون يتعجّب بما رأى، وممّا سمعه منّي، ويتأسّف عليه ويندم، وكلّما خلوت في خدمته يقول لي: يا هرثمة، كيف قال لك أبو الحسن الرضا عليه السلام؟ فأُعيد عليه الحديث، فيتلهّف ويتأسّف، ويقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون!![1]

وروى قريب منه الشبلنجي في نور الأبصار، وابن طلحة الشافعي في مطالب السؤول، والسيّد عبد الغفّار الأفغاني في أئمّة الهدى، والمناوي في الكواكب الدرّيّة.[2]

وروى الجويني في فرائد السمطين، قال: عن الحاكم البيع، قال: حدّثنا أبو الحسين أحمد بن جعفر بن البزّار العلوي بالكوفة، قال: حدّثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الحافظ، قال: حدّثنا علي بن الحسين بن علي بن فضّال، قال: حدّثنا أبي، قال: سمعت علي بن موسى الرضا عليه السلام وجاءه رجل، فقال له: يا ابن رسول الله، رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام كأنّه يقول لي: كيف أنتم إذا دُفن

---

١. الفصول المهمّة: ص٢٤٣.

٢. نور الأبصار: ص١٤٧، ومطالب السؤول: ج٢ ص١٦، وأئمّة الهدى: ص١٢٧، والكواكب الدرّيّة: ج١ ص٢٥٦.

في أرضكم بعضي، واستحفظتم وديعتي، وغُيّب في ثراكم نجمي.

فقال الرضاعليه السلام: أنا المدفون في أرضكم، وأنا بضعة من نبيّكم، وأنا الوديعة، والنجم. ومن زارني وهو يعرف ما أوجب الله من حقّي وطاعتي؛ فأنا وآبائي شفعاؤه يوم القيامة، ومن كنّا شفعاؤه نجا ولو كان عليه مثل وزر الثقلين ـ الجنّ والإنس.[1]

فضل زيارته عليه السلام

روى الجويني في فرائد السمطين، قال: وبه عن الحاكم ـ البيع النيسابوري ـ قال: حدّثني أبو سعيد أحمد بن عمرو بن رميح الحافظ، قال: حدّثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الحافظ، قال: حدّثنا علي بن الحسين بن فضّال، عن أبيه، قال:

سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضاعليه السلام يقول: إنّي مقتول مسموم، مدفون بأرض غربة. أعلم ذلك بعهد عهده إليّ أبي، عن أبيه، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله. ألا من زارني في غربتي كنت أنا وآبائي شفعاؤه يوم القيامة، ومن كنّا شفعاؤه نجا لو كان عليه مثل وزر الثقلين.[2]

وفيه أيضاً: وبه عن الحاكم، قال: أخبرني أبو القاسم بن أبي سعيد الصيدلاني، قال: حدّثنا محمد بن علي بن الحسين الرازي، قال: حدّثنا أحمد ابن علي بن إبراهيم بن هاشم، قال: حدّثني أبي، عن جدّي، عن الصقر بن دلف، قال:

سمعت علي بن محمد بن علي الرضاعليه السلام يقول: من كانت له إلى الله حاجة

---

١. فرائد السمطين: ج٢ ص١٩١.

٢. فرائد السمطين: ج٢ ص١٩٢.

فليُزر قبر جدّي الرضاعليه السلام بطوس، وهو على غسل، وليُصلّ عند رأسه ركعتين، ويسأل الله تعالى حاجته في قنوته، فإنّه يُستجاب له ما لم يسأل في مأثم، أو قطيعة رحم. وإنّ موضع قبره عليه السلام لبقعة من بقاع الجنّة، لا يزوره مؤمن إلا أعتقه الله من النار، وأدخله دار القرار.[١]

وفيه أيضاً: وبالسند المتقدّم عن الحاكم، عن محمد بن علي بن الحسين الرازي، قال: وحدّثنا جعفر بن محمد بن مسرور، قال: حدّثنا الحسين بن محمد ابن عامر، عن عمّه عبد الله بن عامر، عن سليمان بن حفص المروزي، قال:

سمعت أبا الحسن موسى بن جعفرعليهما السلام يقول: من زار قبر ولدي علي كان له عند الله سبعين حجّة. ثمّ قال: ورُبّ حجّة لا تُقبل. ومن زاره، أو بات عنده ليلة كان كمن زار أهل السماوات، وإذا كان يوم القيامة، وجد معنا. زوّار أئمّتنا أهل البيت، وأعلاهم درجة، وأقربهم حياة زوّار ولدي علي.[٢]

وفيه أيضاً: وبه قال الحاكم: أخبرني أبو القاسم بن أبي سعيد الصيدلاني، عن أحمد بن محمد بن صالح الرازي، عن حمدان الديواني، قال: قال الرضاعليه السلام:

من زارني على بُعد داري أتيته يوم القيامة في ثلاثة مواطن حتّى أُخلّصه من أهوالها إذا تطايرت الكتب يميناً وشمالاً، وعند الصراط، وعند الميزان.[٣]

وفيه أيضاً عن الحاكم، قال: حدّثنا أبو القاسم بن سعيد الصيدلاني، قال: أخبرني علي بن أحمد البيع، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني سعيد بن عبد الله، عن أيوب بن نوح، قال:

---

١. فرائد السمطين: ج٢ ص١٩٣.
٢. فرائد السمطين: ج٢ ص١٩٤.
٣. فرائد السمطين: ج٢ ص١٩٥.

سمعت أبا جعفر محمد بن علي بن موسى عليه السلام يقول: من زار قبر أبي بطوس غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، وإذا كان يوم القيامة يُنصب له منبراً بحذاء منبر رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى يفرغ الله من حساب عباده.[١]

في الحثّ على زيارته عليه السلام

روى الحمويني في فرائد السمطين، قال: وبه عن الحاكم، قال: حدّثني علي بن محمد بن يحيى المذكر، قال: حدّثني محمد بن علي بن الحسين الفقيه، قال: حدّثنا محمد بن أبي القاسم التميمي، قال: سمعت أبا الحسن علي بن الحسن القهستاني يقول:

كنت بمرو الرود، فلقيت بها رجلاً من أهل مصر مجتازاً، اسمه حمزة، وقد ذكر أنّه خرج من مصر زائراً لمشهد الرضا عليه السلام بطوس، وذكر أنّه لمّا دخل المشهد كان قرب غروب الشمس، فزار الإمام، وصلّى، ولم يكن في ذلك اليوم زائر غيره، فلمّا صلى العتمة أراد خادم القبر أن يُخرجه، أو يغلق عليه الباب، فسأله أن يغلق عليه الباب، ويدعه في المسجد ليُصلّي فيه، فإنّه جاء من بلد شاسع، ولا يُخرجه، فإنّه لا حاجة له في الخروج، فتركه وغلّق عليه الباب، فإنّه كان يُصلّي وحده إلى أن أعيى، فجلس ووضع رأسه على ركتبيه ليستريح ساعة، فلمّا رفع رأسه رأى في الجدار مواجه وجهه رقعة عليها هذان البيتان:

من سرّه أن يرى قبراً برؤيته ... يُفرّج الله عمّن زاره كربه
فليأت ذا القبر إنّ الله أسكنه ... سلالة من رسول الله منتجبه

قال: فقمت وأخذت في الصلاة إلى وقت السحر، ثمّ جلست كجلستي الأولى، ووضعت رأسي على ركبتيّ، فلمّا رفعت رأسي لم أر على الجدار شيئاً،

١. فرائد السمطين: ج٢ ص١٩٥.

فانفلق الصبح... إلخ.[١]

وفيه أيضاً: أورد الإمام شهاب الدين أبو سعيد عبد الملك بن سعد بن عمرو ابن محمد بن عمر بن إبراهيم في مُصنّفه الموسوم بكتاب «نزهة الأخيار» أنّه سمع من الشيخ الزكي أبي الفتوح محمد بن عبد الكريم بن منصور بن غلان، قلا: سمعت الشيخ أبا الحسن محمد بن القاسم الفارسي بنيسابور، قال:

كنت أنكر على من قصد المشهد بطوس للزيارة، وأصررت على هذا الإنكار، فاتّفق إنّي رأيت ليلة فيما يرى النائم كأنّي كنت بطوس في المشهد، ورأيت رسول الله صلى الله عليه وآله قائماً وراء صندوق القبر يُصلّي، فسمعت هاتفاً من فوق وهو ينشد ويقول:

من سرّه أن يرى قبراً برؤيته ... يُفرّج الله عمّن زاره كربه

فليأت ذا القبر إنّ الله أسكنه ... سلالة من رسول الله منتجبه

وكان يشير في الخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: فاستيقظت من نومي كأنّي غريق في العرق، فناديت غُلامي يُسرج دابّتي في الحال، فركبتها وقصدت الزيارة، وتعودت في كلّ سنة مرّتين.

فقال الجويني: قلت: أروي هذا الرؤيا، وجميع مرويات السلار أبي الحسن مكّي بن منصور بن علان الكرجي، عن الشيخ يحيى الدين عبد المحيي بن أبي البركات الحربي إجازة بروايته، عن الإمام مجد الدين يحيى بن الربيع بن سليمان بن حراز الواسطي إجازة، عن أبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر بن علي المقدسي عنه إجازة.[٢]

---

١. فرائد السمطين: ج٢ ص١٩٦.

٢. فرائد السمطين: ج٢ ص١٩٦.

وفيه أيضاً: ولقد أنشدنا الإمام الفاضل، الحسن الأخلاق والشمائل، فخر الدين هبة الله بن محمد بن محمود الأديب الجندي، لنفسه في المشهد المقدّس الرضوي ـ على مُشرّفه السلام ـ في زيارتنا الأولى له ـ جعلها الله مبرورة، وفي صحائف الأعمال المقبولة مسطورة ـ :

أيا من مناه رضى ربّه | تهيأ وأنّ منكر الحسن لام
فزُر مشهداً للإمام الرضا | علي بن موسى عليه السلام[1]

أعلام علماء السنّة يزورونه عليه السلام

روى الحمويني في فرائد السمطين، قال: عن الحاكم الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، قال: سمعت أبا بكر محمد بن المؤمّل بن الحسين بن عيسى يقول: خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، وعديله في العمّاريّة أبي علي الثقفي، وجماعة من مشايخنا، وهم إذ ذاك متوافرون إلى المشهد لزيارة قبر علي بن موسى الرضا عليه السلام، فرأيت من تعظيمه ـ يعني، ابن خزيمة ـ لتلك التربة، وتواضعه لها، وتضرّعه عند الوصول إليها ما تحيّرنا فيه، وذلك بمشهد من عدّة من آل السلطان، وآل شاذان بن نعيم، وآل الشنقشين، وبحضرة جماعة من العلوية من أهل نيسابور، وهرات، وطوس، وسرخس، فدوّنوا شمائل أبي بكر محمد بن إسحاق عند الزيارة، وفرحوا، وتصدّقوا شكراً لله على ما ظهر من إمام العلماء عند ذلك الإمام عليه السلام، والمشهد، وقالوا بأجمعهم: لو لم يعلم هذا الإمام ـ ابن خزيمة ـ أنّه سنّة، وفضيلة لما فعل هذا. قال: ثمّ انصرفنا من الزيارة في ربيع الآخر سنة تسع وثلاثمائة.[2]

---

١. فرائد السمطين: ج ٢ ص ١٩٦.

٢. فرائد السمطين: ج ٢ ص ١٩٦.

ورواه باختصار ابن حجر في تهذيب التهذيب، قال: وقال الحاكم في تاريخ نيسابور... وسمعت أبا بكر محمد بن المؤمّل بن الحسن بن عيسى يقول: خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر بن خزيمة، وعديله أبي علي الثقفي، مع جماعة من مشائخنا وهم إذ ذاك متوافرون إلى زيارة قبر علي بن موسى الرضا عليه السلام بطوس، قال: فرأيت من تعظيمه ـ يعني، بن خزيمة ـ لتلك البقعة، وتواضعه لها، وتضرّعه عندها ما تحيّرنا.[1]

وروى ابن كثير في تاريخه، قال: السلطان ملكشاه جلال الدين والدولة أبو الفتح ملكشاه بن أبي شجاع إلب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق تقاق التركي... ولما توجّه لقتال أخيه تتش اجتاز بطوس فدخلها لزيارة قبر علي بن موسى الرضا عليه السلام ومعه نظام الملك، فلمّا خرجا قال للنظام: بم دعوت الله؟

قال: دعوت الله أن يُظفرك على أخيك.

قال: لكنّي قلت: اللهمّ، إن كان أخي أصلح للمسلمين فظفّره بي، وإن كنت أنا أصلح لهم فظفّرني به.[2]

وقال ابن حبّان: وما حلّت بي شدّة في وقت مقامي بطوس فزرت قبر علي بن موسى الرضا عليه السلام ودعوت الله إزالتها عنّي إلا أستُجيب لي وزالت عنّي تلك الشدّة، وهذا شيء جرّبته مراراً فوجدّته كذلك. أماتنا الله على محبّة المصطفى وأهل بيته عليهم السلام.[3]

وبعدما تيّسر لنا إيراده من ذكر بعض أقوال أعلام علماء أهل السنّة، وبيان مدى إطباقهم جميعاً على الإعتراف بعظيم شأن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام،

١. تهذيب التهذيب: ج٧ ص٣٣٩ رقم٦٤٨، ترجمة علي بن موسى عليهما السلام.
٢. البداية والنهايّة: ج١٢ ص١٤٢، ترجمة
٣. الثقات: ج٨ ص٤٥٧، تتمّة حديث رقم١٤٤١١.

فضلاً عن آبائه الأئمّة المعصومين عليهم السلام، فهل يبقى بعد ذلك مجال للجدل في حقّ الإمامة، واكتمال نصاب الخلافة لهؤلاء الأئمّة الأطهار من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله مع علو مرتبتهم، وشدّة تقواهم، واستغنائهم بعلومهم عن الغير، وافتقار الغير لهم.

فما لكم كيف تحكمون؟

فصل في

بعض ما قاله علماء الشيعة

في حقّه عليه السلام

عنيت كتب الشيعة، ومصنّفاتهم بوافر من المرويات والأثار الحاكية لسيرة الأئمّة المعصومين من آل بيت النبي‌صلى‌الله‌عليه‌وآله، كضرورة من ضرورات المذهب القاضية بمتابعة جميع النصوص الروائية المُشبعة الدلالة لما تحكيه من سيرة آل البيت النبوي‌عليهم‌السلام ليتسنّى من خلالها، ولكلّ فرد من أفراد الجنس البشري الإطلاع عليها ليقرّر بعد ذلك العنوان الأمثل لخواتيم حياته، ويُحدّد بمقتضاها لمن يليه منهاج هدايته، خصوصاً وأنّ تلك الصفحات المجيدة في حياة آل بيت الوحي والنبوّة أُكُلها مباح لكلّ من يستسيغ الحياة، ويبني لخواتيمها؛ تماما كالشمس مع من يتطلّع للإستفادة من ضوئها براً كان أم فاجراً.

وعليه، فلا بأس بالمرور على بعض كتب الشيعة المعنيّة لنستطلع من خلالها على نُخبة ممّا ورد فيها من المرويات، والآثار الخاصّة بالإمام علي بن موسى الرضاعليه‌السلام.

كلام الشيخ المفيد

قال الشيخ المفيد في الإرشاد: وكان الإمام بعد أبي الحسن موسى‌عليه‌السلام ابنه أبا الحسن علي بن موسى الرضاعليه‌السلام، لفضله على جماعة أُخوته وأهل بيته، وظهور علمه، وحلمه، وورعه، واجتماع الخاصّة والعامّة على غير ذلك فيه، ومعرفتهم به منه، ولنصّ أبيه‌عليه‌السلام على إمامته من بعده، وإشارته إليه بذلك دون جماعة أُخوته وأهل بيته.

وكان مولده‌عليه‌السلام بالمدينة سنة١٤٨، وقُبض بطوس من أرض خراسان في صفر سنة٢٠٣هـ . وأُمّه أُمّ ولد، يُقال لها: أُمّ البنين. وكانت مدّة إمامته، وقيامه بعد أبيه في خلافته عشرين سنة.

فممّن روى النصَّ على الرضا علي بن موسى عليهما السلام بالإمامة عن أبيه عليه السلام، والإشارة بذلك إليه من خاصّته وثقاته، وأهل الورع والعلم والفقه من شيعته: داود بن كثير الرقي، ومحمد بن إسحاق بن عمّار، وعلي بن يقطين، ونعيم القابوسي، والحسين بن المختار، وزياد بن مروان، والمخزومي داود بن سليمان، ونصير بن قابوس، وداود بن زربي، ويزيد بن سُليط، ومحمد بن سنان:

فعن داود بن كثير الرقّي، قال: قلت لأبي إبراهيم موسى عليه السلام: جُعلت فداك، إنّي قد كبرت سنّي، فخُذ بيدي وأنقذني من النار؛ من صاحبنا بعدك!؟ قال: فأشار عليه السلام إلى إبنه أبي الحسن علي عليه السلام، فقال: هذا صاحبكم من بعدي.

وعن أحمد بن محمد بن عبد الله، عن الحسن بن أبي عُمير، عن محمد بن إسحاق بن عمّار، قال: قُلت لأبي الحسن الأوّل عليه السلام: ألا تدلّني على من آخذ عنه ديني!؟ فقال عليه السلام: هذا ابني علي، إنّ أبي ـ الصادق عليه السلام ـ أخذ بيدي فأدخلني إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا بُني، إنّ الله جلّ وعلا قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1]. وإنّ الله إذا قال قولاً وفى به.

وعن علي بن يقطين، قال: كنت عند العبد الصالح عليه السلام، فقال لي: يا علي بن يقطين، هذا علي سيّد ولدي، أما إنّي قد نحلته كُنيتي.

فضرب هشام براحته جبهته؛ ثمّ قال: ويحك كيف قلت!؟

فقال علي بن يقطين: سمعته والله منه كما قُلت. فقال هشام: إنّ الأمر فيه والله من بعده.

وعن نعيم القابوس، عن أبي الحسن موسى عليه السلام، قال: ابني علي أكبر ولدي، وآثرهم عندي، وأحبّهم إلي، وهو ينظر معي في الجفر، ولم ينظر فيه إلا نبي، أو

---

١. سورة البقرة، الآية: ٣٠.

وصيّ نبي.

وعن الحسين بن المختار، قال: خرجت إلينا ألواح من أبي الحسن موسى عليه السلام وهو في الحبس: عهدي إلىَ أكبر ولدي أن يفعل كذا ويفعل كذا، وفلان لا تنله شيئاً حتّى ألقاك أو يقضي الله عليّ الموت.

وعن زياد بن مروان القندي، قال: دخلت على أبي ابراهيم، وعنده أبو الحسن ابنه عليه السلام، فقال لي: يا زياد، هذا ابني فلان، كتابه كتابي، وكلامه كلامي، ورسوله رسولي، وما قال فالقول قوله.

وعن المخزومي ـ وكانت أُمّه من ولد جعفر بن أبي طالب عليه السلام ـ قال: بعث إلينا أبو الحسن موسى عليه السلام فجمعنا، ثمّ قال عليه السلام: أتدرون لمَ جمعتكم؟

فقلنا: لا.

فقال عليه السلام: اشهدوا بأنّ ابني هذا وصييّ، والقيّم بأمري، وخليفتي من بعدي. من كانت له عندي عِدّة فلينجزها منه، ومن لم يكن له بدّ من لقائي فلا يلقني الا بكتابه.

وعن داود بن سليمان، قال: قلت لأبي ابراهيم عليه السلام: إنّي أخاف أن يحدث حدث ولا ألقاك؛ فأخبرني من الإمام بعدك!؟

فقال عليه السلام: ابني فلان. يعني، أبا الحسن عليه السلام ـ الرضا عليه السلام ـ.

وعن نصر بن قابوس، قال: قلت لأبي إبراهيم عليه السلام: إنّي سألت أباك عليه السلام: مَن الذي يكون بعدك؟ فأخبرني إنّك أنت هو، فلمّا توفّي أبو عبد الله عليه السلام، ذهب الناس يميناً وشمالاً، وقُلت بك أنا وأصحابي؛ فأخبرني من الذي يكون بعدك من ولدك!؟

قال عليه السلام: ابني فلان ـ يعني، علياً الرضا عليه السلام ـ.

وعن داود بن زربي، قال: جئت إلى أبي إبراهيم عليه السلام بمال، فأخذ بعضه وترك

بعضه، فقلت: أصلحك الله، لأي شيء تركته عندي!؟

فقال عليه السلام: إنّ صاحب هذا الأمر يطلبه منك. فلمّا جاء نعيه عليه السلام بعث إلـي أبـو الحسن الرضا عليه السلام فسألني ذلك المال؛ فدفعته إليه.

وعن يزيد بن سُليط في حديث طويل عن أبي إبراهيم عليه السلام أنّه قال في الـسنة التي قبض عليه السلام فيها: إنّي أُوخذ في هذه السنة، ثمّ الأمر إلى ابني علي، سمي علي وعلي، فأمّـا الأوّل: فعلـي بـن أبـي طالـب عليه السلام، وأمّـا علـيّ الآخـر: فعلـي بـن الحسين عليهما السلام. وأعطي فهم الأوّل، وحلمه، ونصره، وورده، ودينه. ومحنـة الآخـر، وصبره على ما يكره... الحديث.

وعن ابن سنان، قال: دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام مـن قبـل أن يقـدم العراق بسنة، وعلي عليه السلام ابنه جالس بين يديه؛ فنظر إلـي، فقـال: يـا محمـد، إنّـه سيكون في هذه السنة حركة، فلا تجزَع لذلك! قال: فقلت: ومـا يكـون جُعلـت فداك؟ فقد أقلقتني!؟

قال عليه السلام: اصبر إلى هذا الطاغية، أما أنّه لا ينداني[1] منـه سـوء، ولا مـن الـذي يكون من بعده.

قال: قلت: وما يكون، جعلني الله فداك!؟

قال عليه السلام: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[2].

قال: قلت: وما ذاك، جعلني الله فداك!؟

قال عليه السلام: من ظلم ابني هذا حقّه، وجحده إمامته من بعدي، كـان كمـن ظلـم علي بن أبي طالب عليه السلام إمامته، وجحده حقّه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

١. أي، لا يُصيبني. وهو من حرّ الكلام.

٢. سورة إبراهيم الآية: ٢٧.

قال: قلت: والله، لئن مدّ الله لي في العمر لأُسلّمن له حقّه، ولأُقرّن بامامته.

قال عليه السلام: صدقت ـ يا محمد ـ يمدّ الله في عُمُرك، وتُسلّم له حقّه، وتُقرّ له بإمامته، وإمامة من يكون من بعده.

قال: قلت: ومن ذاك!؟

قال عليه السلام: ابنه محمد.

قال: قلت: له الرضى والتسليم.[١]

والأخير رواه الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام، وفيه: عن محمد بن سنان، قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام قبل أن يُحمل إلى العراق بسنة، وعلي ابنه عليه السلام بين يديه، فقال لي: يا محمد. قلت: لبيك. قال عليه السلام: إنّه سيكون في هذه السنة حركةً؛ فلا تجزع منها! ثمّ أطرق عليه السلام، ونكت بيده في الأرض، ورفع رأسه إلي وهو يقول: ﴿وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاء﴾.

قلت: وما ذاك جُعلت فداك!؟

قال عليه السلام: من ظلم ابني هذا حقّه، وجحد إمامته من بعدي كان كمن ظلم علي بن أبي طالب عليه السلام حقّه، وجحد إمامته من بعد محمد صلى الله عليه وآله.

فعلمت أنّه عليه السلام قد نعى إلي نفسه، ودلّ على ابنه عليهما السلام.

فقلت: والله، لئن مدّ الله في عمري لأُسلّمن إليه حقّه، ولأُقرّن له عليه السلام بالإمامة، وأشهد أنّه عليه السلام من بعدك حجّة الله على خلقه، والداعي إلى دينه.

فقال عليه السلام لي: يا محمد، يمدّ الله في عمرك، وتدعو إلى إمامته، وإماة من يقوم

---

١. راجع الإرشاد: ج٢ ص٢٤٧ـ٢٥٣، باب ذكر الإمام القائم بعد أبي الحسن موسى عليه السلام، وتاريخ مولده، ودلائل إمامته، ومبلغ سنّه، ومدّة خلافته، ووقت وفاته، وسببها، وموضع قبره، وعدد أولاده، ومختصر من أخباره عليه السلام.

مقامه من بعده.

قلت: من ذا جُعلت فداك!؟

قال عليه السلام: محمد ابنه.

قال: قلت: فالرضا والتسليم.

قال عليه السلام: نعم، كذلك وجدتك في كتاب أميرالمؤمنين عليه السلام؛ أما أنّك في شيعتنا أبين من البرق في الليلة الظلماء.

ثمّ قال عليه السلام: يا محمد، إن المُفضّل[1] كان أُنسي ومستراحي، وأنت أُنسهما ومستراحهما ـ يعني الرضا والجواد عليهما السلام ـ حرام على النار أن تمسّك أبداً.[2]

كلام ابن شهر آشوب

قال ابن شهر آشوب في مناقبه: علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، يُكنّى: أبو الحسن...

وألقابه: سراج الله، ونور الهدى، وقرّة عين المؤمنين، ومكيدة الملحدين، وكفو الملك، وكافي الخلق، وربّ السرير، ورئاب التدبير، والفاضل، والصابر، والوفي، والصدّيق، والرضي.

قال: وقال أحمد البزنطي: وإنّما سُمّي الرضا لأنّه عليه السلام كان رضىً لله تعالى في سمائه، ورضىً لرسوله صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام بعده في أرضه...

وأُمّه أُمّ ولد يُقال لها: سكن النوبيّة، ويُقال: خيزران المرسيّة، ويُقال: نجمة ـ رواه ميثم ـ ويُقال: صقر، وتُسمّى: أروى أُمّ البنين، ولمّا ولدت الرضا عليه السلام سمّاها

---

١. يعني، المُفضّل بن عمر الجعفي، من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١ ص٤٠، ح٢٩.

ـ أبو الحسن الكاظم عليه السلام ـ الطاهرة.

وقال: فكان في سني إمامته عليه السلام بقية ملك الرشيد، ثمّ ملك الأمين ثلاث سنين وثماني عشر يوماً، وملك المأمون عشرين سنة وثلاثة وعشرين يوماً، وأخذ ـ المأمون ـ البيعة في ملكه للرضا عليه السلام بعهد المسلمين من غير رضى في الخامس من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين، وزوّجه ابنته أُمّ حبيب... وقام عليه السلام بالأمر وله تسع وعشرون سنة وشهران، وعاش مع أبيه عليه السلام تسعاً وعشرين سنة، وأشهراً، وبعد أبيه عليه السلام أيام إمامته عشرين سنة...

ثمّ قال: ومن ثقاته عليه السلام: أحمد بن أبي نصر البزنطي، ومحمد بن الفضل الكوفي الأزدي، وعبد الله بن جندب البجلي، وإسماعيل بن سعد الأخوص الأشعري، وأحمد بن محمد الأشعري.

ومن أصحابه عليه السلام: الحسن بن علي الخزّاز ـ ويُعرف بالوشّاء ـ ومحمد بن سليمان الديلمي البصري، وعلي بن الحكم الأنباري، وعبد الله بن المبارك، وحمّاد بن عثمان الباب، وسعد بن سعد، والحسن بن سعيد الأهوازي، ومحمد ابن الفرج الرخجي، وخلف البصري، ومحمد بن سنان، وبكر بن محمد الأزدي، وإبراهيم بن محمد الهمداني، ومحمد بن أحمد بن قيس بن غيلان، وإسحاق بن محمد الحضيني.

وقال: قال محمد بن سنان: كان المأمون يجلس في ديوان المظالم يوم الإثنين، ويوم الخميس، ويُقعد الرضا عليه السلام على يمينه، فرُفع إليه أنّ صوفياً من أهل الكوفة سرق، فأمر بإحضاره، فرأى عليه سيماء الخير، فقال: سوءً لهذه الآثار الجميلة بهذا الفعل القبيح!

فقال الرجل: فعلت ذلك اضطراراً، لا اختياراً، وقال الله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِى

﴿مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾[١]. وقد مُنعت من الخمس، والغنائم.

فقال ـ المأمون ـ: وما حقّك منها!؟

فقال: قال الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[٢]. فمنعتني حقّي وأنا مسكين، وابن السبيل، وأنا من حملة القرآن. وقد منعت كلّ سنة منّي مائتي دينار بقول النبي صلى الله عليه وآله.

فقال المأمون: لا أُعطّل حداً من حدود الله، وحكماً من أحكامه في السارق من أجل أساطيرك هذه.

قال ـ الرجل ـ: أبدأ أولاً بنفسك فطهّرها، ثمّ طهّر غيرك، وأقم حدود الله عليها، ثمّ على غيرك!

قال: فالتفت المأمون إلى الرضا عليه السلام فقال: ما تقول؟

قال عليه السلام: إنّه يقول: سرقت. فسرق.

قال: فغضب المأمون، ثمّ قال: والله، لأُقطّعنك.

قال ـ الرجل ـ: أتقطّعني وأنت عبدي؟

فقال: ويلك أيش تقول؟!

قال: أليس أُمّك اشتريت من مال الفيء، ولا تقسمها بالحقّ؟ وأنت عبد لمن في المشرق والمغرب من المسلمين حتّى يعتقوك، وأنا منهم، وما أعتقتك، والأحرى: إنّ النجس لا يطهر نجساً، إنما يطهره طاهر، ومن في جنبه حدّ لا يقيم الحدود على غيره حتّى يبدأ بنفسه، أما سمعت الله يقول: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[٣].

---

١. سورة المائدة، الآية: ٣.

٢. سورة الأنفال، الآية: ٤١.

٣. سورة البقرة، الآية: ٤٤.

فالتفت المأمون إلى الرضا عليه السلام، فقال: ما تقول؟

قال عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ قال لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾[1]. وهي التي تبلغ الجاهل فيعلمها بجهله كما يعلمها العالم بعلمه، والدنيا والآخرة قائمتان بالحجّة، وقد احتجّ الرجل.

قال: فأمر ـ المأمون ـ بإطلاق الرجل الصوفي، وغضب على الرضا عليه السلام في السر.

وقال علي بن محمد بن سيّار، عن آبائه، قال: لمّا بويع الرضا عليه السلام قلّ المطر؛ فقالوا: هذا من نكده! فسأله المأمون أن يستقي، فقبل عليه السلام وقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي يقول: يا بني، انتظر يوم الإثنين وأبرز إلى الصحراء واستسق فإنّ الله يُسقيهم... فبرز عليه السلام يوم الإثنين، وصعد المنبر، وحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: اللهمّ يا ربّ أنت عظّمت حقّنا أهل البيت، فتوسّلوا بنا كما أمرت، وأملوا فضلك ورحمتك، وتوقّعوا إحسانك ونعمتك، فاسقهم سقياً نافعاً عامّاً... وقال عليه السلام: لم تمطر عليهم ما لم تبلغوا منازلكم، ونزل المنبر، فكان كما قال عليه السلام.[2]

كلام الصدوق

روى الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام، قال: حدّثنا الحاكم أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي، قال: حدّثنا الصولي، قال: حدّثني عون بن محمد الكندي، قال: سمعت أبي الحسن علي بن ميثم يقول ـ وما رايت أحداً قطّ أعرف بأمور الأئمّه عليهم السلام، وأخبارهم، ومناكحهم منه ـ : اشترت حميدة المصفّاة ـ وهي أُمّ أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام، وكانت من أشراف العجم ـ جارية

---

١. سورة الأنعام، الآية: ١٤٩.

٢. مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٣٦٧.

مولدة[١]، واسمها: تكتم. وكانت من أفضل النساء في عقلها، ودينها، وإعظافها لمولاتها حميدة المصفّاة، حتّى أنّها ما جلست بين يديها منذ ملكتها؛ إجلالاً لها، فقالت لابنها موسى عليه السلام: يا بُني، إنّ تكتم جارية ما رأيت جارية قطّ أفضل منها، ولست أشكّ أنّ الله تعالى سيُظهر نسلها إن كان لها نسل، وقد وهبتها لك، فاستوصي بها خيراً... فلمّا ولدت له الرضا عليه السلام، سمّاها: الطاهرة.

قال: فكان الرضا عليه السلام يرتضع كثيراً، وكان عليه السلام تامّ الخلق، فقالت: أعينوني بمرضعة. فقيل لها: أنقص الدرّ؟ فقالت: لا أكذب؛ والله ما نقص، ولكن عليّ ورد من صلاتي وتسبيحي، وقد نقص منذ ولدته.

قال: قال الحاكم أبو علي: قال الصولي: والدليل على أنّ اسمها «تكتم» قول الشاعر يمدح الرضا عليه السلام:

ألا إنّ خير الناس نفساً ووالداً ورهطاً وأجداداً على المعظّم
أتتنا به للعلم والحلم ثامناً إماماً يؤدّي حجّة الله تكتم

قال: وقد نسب قوم هذا الشعر إلى عمّ أبي إبراهيم بن العبّاس، ولم أروه له، وما لم يقع لي رواية وسماعاً فإنّي لا أُحقّقه، ولا أُبطله، بل الذي لا أشكّ فيه أنّه لعمّ أبي إبراهيم بن العبّاس هذا:

كفى بفعال امرئ عالم على أهله عادلاً شاهدا
أرى لهم طارفاً مونقاً ولا يشبه الطارق التالدا
يمنّ عليكم بأموالكم وتعطون من مائة واحدا
فلا يحمد الله مستبصر يكون لأعدائكم حامدا
فضّلت قسيمك في قعدد كما فضّل الوالد الوالدا

قال الصولي: وجدت هذه الأبيات بخطّ أبي على ظهر دفتر له يقول فيه:

---

١. التي ولدت بين العرب، ونشأت مع أولادهم، وتأدّبت بآدابهم.

أنشدني أخي لعمّه في علي الرضا عليه السلام تعليق متوق، فنظرت فإذا هو بقسيمه في القعدد المأمون؛ لأنّ عبد المطّلب هو الثامن من آبائهما ـ يعني، الإمام الرضا عليه السلام، والمأمون ـ جميعاً[١]...

قال الصولي: وكان لإبراهيم بن العبّاس الصولي عمّ أبي في الرضا عليه السلام مدائح كثيرة أظهرها، ثمّ اضطر إلى أن سترها وتتبّعها فأخذها في كلّ مكان.

وفيه أيضاً: حدّثنا تميم بن عبد الله بن عبد الله بن تميم القرشي، قال: حدّثني أبي، عن أحمد بن علي الأنصاري، قال: حدّثني علي بن ميثم، عن أبيه: قال: لمّا اشترت حميدة أُمّ موسى بن جعفر عليهما السلام أُمّ الرضا عليه السلام نجمة؛ ذكرت حميدة أنّها رأت في المنام رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لها: يا حميدة، هبي نجمة لابنك موسى، فإنّه سيولد منها خير أهل الأرض. فوهبتها له، فلمّا ولدت له الرضا عليه السلام، سمّاها: الطاهرة. وكانت لها أسماء، منها: نجمة، وأروى، وسكن، وسمان، وتكتم.[٢]

---

١. وفي بيان الشيخ المجلسي بعد إيراده لهذا النصّ، قال: ويمنّ عليكم. على البناء للمجهول، والخطاب للرضا عليه السلام، وكذا قوله: تعطون. على بناء المجهول. أي، يمنّ المخالفون عليكم من أموالكم التي في أيديهم، من مائة واحداً. أي، قليلاً من كثير. وقال الجوهري: رجل قعدد، وقَعدد: إذا كان قريب الآباء إلى الجدّ الأكبر، وكان يُقال لعبد الصمد بن علي بن عبد الله ابن عباس: قعَدد بني هاشم.

وقال الفيروزآبادي ـ في القاموس ـ : قعيد النسب، وقعدد، وقعدد، وأقعد، وقعدود: قريب الآباء من الجدّ الأكبر. والقعدد: البعيد الآباء منه، ضدّ ـ أي، من الأضداد ـ أي، فضلت المأمون الذي هو قسيمك في قرب الإنتساب إلى عبد المطّلب، وشريكك فيه كما فُضّل والدك والده. أي، كلّ من آبائك أبائه.

قوله: تعليق متوق ـ من التوي ـ أي، وجدت في تلك الورقة تعليقاً. أي، حاشية علّقها عليها، مغشوشة، لم يوضّحها تقيّة، ففسّر فيها قسمه في القعدد بالمأمون، والأصوب: فقسيمه كما في بعض النسخ، وعلى ما في أكثر النسخ الحمل على المجاز. وصحّح الفيروزآبادي: «تكنى، وتكتم» على بناء المجهول، وقال: كلّ منهما اسم لامرأة. إنتهى البيان. بحار الأنوار: ج٤٩ ص٦، الباب الأوّل.

٢. راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١ ص٢٤ـ٢٦، باب ماجاء في أمّ الرضا عليه السلام ح٢و٣.

فصل في

بعض كراماته عليه السلام وغرائب شأنه

على ما رواه علماء الشيعة

هذا كان قوله!

روى الحميري في قُرب الإسناد، قال: وحدّثني الريّان بن الصلت، قال: كنت بباب الرضا عليه السلام بخراسان، فقلت لمعمّر: إن رأيت أن تسأل سيدي ـ الرضا عليه السلام ـ أن يكسوني ثوباً من ثيابه، ويهب لي من الدراهم التي ضُربت بإسمه.

فأخبرني معمّر: إنّه دخل على أبي الحسن الرضا عليه السلام من فوره ذلك، قال: فابتدأني أبو الحسن عليه السلام، فقال: يا معمّر، ألا يُريد الريّان أن نكسوه من ثيابنا، أو نهب له من دراهمنا؟ قال: فقلت: سبحان الله، هذا كان قوله لي الساعة بالباب. قال: فضحك عليه السلام، ثمّ قال: إنّ المؤمن موفّق. قُل له فليجئني.

فأدخلني عليه، فسلّمت، فردّ علي السلام، ودعا لي بثوبين من ثيابه، فدفعهما إلي، فلمّا قمت وضع في يدي ثلاثين درهماً.[1]

تلد غلاماً أشبه الناس بأمه

روى الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام، قال: حدّثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني، قال: حدّثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن عبد الله بن محمد الهاشمي، قال: دخلت على المأمون يوماً فأجلسني وأخرج من كان عنده، ثمّ دعا بالطعام، فطعمنا، ثمّ طيّبنا، ثمّ أمر بستارة فضُربت، ثمّ أقبل على بعض من كان في الستارة، فقال: بالله لمّا رثيت لنا: مَن بطوس. فأخذت تقول:

سقيا بطوس ومن أضحى بها قطنا   من عترة المصطفى أبقى لنا حزنا

قال: ثمّ بكى، وقال لي: يا عبد الله، أيلومني أهل بيتي وأهل بيتك أن نصبت أبا الحسن الرضا عليه السلام علماً؟! فو الله، لأُحدّثنك بحديث تتعجّب منه؛ جئته يوماً

---

١. قُرب الإسناد: ص٣٤٢ رقم١٢٥١.

فقلت له: جُعلت فداك، إنّ آباءك موسى، وجعفر، ومحمد، وعلي بن الحسين عليهم السلام كان عندهم علم ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، وأنت وصي القوم ووارثهم، وعندك علمهم، وقد بدت لي إليك حاجة.

قال عليه السلام: هاتها.

فقلت: هذه الزاهريّة حظيتي، ولا أقدم عليها أحداً من جواري، وقد حملت غير مرّة وأسقطت، وهي الآن حامل، فدلّني على ما تتعالج به فيسلم.

فقال عليه السلام: لا تخف من إسقاطها، فإنّها تسلم، وتلد غلاماً أشبه الناس بأُمّه، وتكون له خنصرة زائدة.

فقلت في نفسي: أشهد أنّ الله على كلّ شيء قدير. فولدت الزاهرية غلاماً أشبه الناس بأُمّه... إلخ.[١]

إنّه يموت قبله

روى الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام، قال: حدّثنا محمد بن علي ماجيلويه، قال: حدّثنا محمد بن يحيى العطّار، عن محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري، عن محمد بن حسّان الرازي، عن محمد بن علي الكوفي، عن الحسن بن هارون الحارثي، عن محمد بن داود، قال: كنت أنا وأخي عند الرضا عليه السلام فأتاه مَن أخبره: إنّه قد رُبط ذقن محمد بن جعفر. فمضى أبو الحسن عليه السلام، ومضينا معه، وإذا لحياه قد رُبطا، وإذا إسحاق بن جعفر وولده وجماعة آل أبي طالب يبكون، فجلس أبو الحسن عليه السلام عند رأسه، ونظر في وجهه فتبسّم؛ فنقم من كان في المجلس عليه، فقال بعضهم: إنّما تبسّم شامتاً

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص٢٤١، ح٤٣.

بعمّه! قال: وخرج ليُصلّي في المسجد، فقلنا له: جُعلت فداك، قد سمعنا فيك من هؤلاء ما نكره حين تبسّمت!؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: إنّما تعجّبت من بكاء إسحاق وهو يموت والله قبله ويبكيه محمد!

قال: فبرأ، ومات إسحاق.[1]

وروى المازندراني في المناقب، قال: وعن يحيى بن محمد بن جعفر، قال: مرض أبي مرضاً شديداً، فأتاه أبو الحسن الرضا عليه السلام يعوده، وعمّي إسحاق جالس يبكي، وقد جزع عليه جزعاً شديداً، قال يحيى: فالتفت إلي أبو الحسن عليه السلام فقال: ما يبكي عمّك!؟

قلت: يخاف عليه ما ترى.

قال: فالتفت إلي أبو الحسن عليه السلام، فقال: لا تغمن؛ فإنّ إسحاق سيموت قبله.

قال يحيى: فبرأ أبي محمد، ومات عمّي إسحاق.[2]

لا يتمّ هذا الأمر

روى ابن أبي الفتح الإربلي في كشف الغمّة، قال: ولمّا خرج محمد بن جعفر[3] بمكّة ودعا لنفسه، وي، سمّى بأميرالمؤمنين، وبويع له بالخلافة، ودخل عليه أبو الحسن الرضا عليه السلام، فقال: يا عمّ، لا تُكذب أباك وأخاك؛ فإنّ هذا الأمر لا يتمّ.

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص٢٢٣، ح٦.

٢. مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٣٤٠.

٣. هو: محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام، يلقّب بـ«الديباجة». رجال النجاشي: ص٣٦٧ رقم٩٩٣، ترجمة محمد بن جعفر.

قال الراوي: فخرج وخرجت معه إلى المدينة، فلم يلبث إلا قليلاً حتّى قدم الجلودي فلقيه فهزمه، واستأمن إليه محمد بن جعفر، فلبس السواد، وصعد المنبر فخلع نفسه، وأكذب مقالته، وقال: إنّ هذا الأمر للمأمون، وليس لي فيه حق.[١]

لا تذهبنّ نفسك إلى الفخر

روى الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام، قال: حدّثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، قال: حدّثني محمد بن الحسن الصفّار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن محمد بن يحيى بن أبي نصر البزنطي، قال: بعث الرضا عليه السلام إليّ بحمار فركبته وأتيته فاقمت عنده بالليل إلى أن مضى منه ما شاء الله، فلمّا أراد أن ينهض، قال لي: لا أراك تقدر على الرجوع إلى المدينة! قلت: أجل، جعلت فداك. قال عليه السلام: فبت عندنا الليلة واغد على بركة الله عزّ وجلّ. قلت: أفعل جُعلت فداك. قال عليه السلام: يا جاريد، إفرشي له فراشي، واطرحي عليه ملحفتي التي أنام فيها، وضعي تحت رأسه مخدّتي. قال: فقلت في نفسي: مَن أصاب ما أصبت في ليلتي هذه؛ لقد جعل الله لي من المنزلة عنده، وأعطاني من الفخر ما لم يُعطه أحداً من أصحابنا؛ بعث إلي بحماره فركبته، وفرش لي فراشه وبتّ في ملحفته، ووضعت لي مخدّته. ما أصاب مثل هذا أحد من أصحابنا! قال وهو قاعد معي وأنا أُحدّث نفسي، فقال عليه السلام لي: يا أحمد، إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام أتى زيد بن صوحان في مرضه يعود، فافتخر على الناس بذلك؛ فلا تذهبنّ نفسك إلى الفخر، وتذلّل لله عزّ وجلّ. واعتمد على يده، فقام عليه السلام.[٢]

---

١. كشف الغمّة: ج٣ ص٩٣.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص ٢٢٩، ح ١٩.

من يجب اتّباعه

روى الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام، قال: حدّثنا محمد بن أحمد السناني، قال: حدّثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، قال: حدّثني سعيد بن ملك، عن أبي حمزة، عن ابن أبي كثير، قال: لمّا توفّي موسى عليه السلام وقف الناس في أمره، فحججت تلك السنة، فإذا أنا بالرضا عليه السلام؛ فأضمرت في قلبي أمراً، فقلت: ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ﴾[1].

فمرّ عليه السلام عليّ كالبرق الخاطف، فقال: أنا والله البشر الذي يجب عليك أن تتّبعني.

فقلت: معذرة إلى الله وإليك.

فقال عليه السلام: مغفور لك.

فقال الصدوق: وحدّثني بهذا الحديث غير واحد من المشايخ عن محمد بن أبي عبد الله الكوفي بهذا الإسناد.[2]

يولد لك غلام وجارية

روى الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام، قال: حدّثنا أحمد بن الهارون الفامي، قال: حدّثنا محمد بن جعفر بن بطّة، قال: حدّثنا محمد بن الحسن الصفّار، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن موسى بن عمر بزيع، قال: كان عندي جاريتان حاملتان، فكتبت إلى الرضا عليه السلام أُعلمه ذلك، وأسأله أن يدعو الله أن يجعل ما في بطونهما ذكرين، وأن يهب لي ذلك، قال: فوقع عليه السلام: أفعل إن شاء الله.

---

١. سورة القمر، الآية: ٢٤.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص ٢٣٥، ح ٢٧.

ثمّ ابتدأني بكتاب ـ مفرد ـ نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم، عافانا الله وإياك بأحسن عافية في الدنيا والآخرة برحمته. الأُمور بيد الله عزّ وجلّ، يُمضي فيها مقاديره على ما يُحبّ. يولد لك غلام، وجارية إن شاء الله. فسمّ الغلام محمداً، والجارية فاطمة على بركة الله عزّ وجلّ.

قال: فولد لي غلام، وجارية على ما قال عليه السلام.[١]

قد أجاب الله دعوتك

روى الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام، قال: حدّثنا علي بن الحسين بن شاذويه المؤدّب، قال: حدّثنا محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن محمد بن عيسى، عن الحسن بن علي بن فضّال، قال: قال لنا عبد الله بن المغيرة: كنت واقفياً، وحججت على ذلك، فلمّا صرت بمكّة اختلج في صدري شيء، فتعلّقت بالملتزم[٢]، ثمّ قلت: اللهمّ، قد علمت طلبتي، وإرادتي، فأرشدني إلى خير الأديان.

فوقع في نفسي أن آتي الرضا عليه السلام، فأتيت المدينة، فوقفت ببابه، فقلت للغلام: قلّ لمولاك رجل من أهل العراق بالباب.

فسمعت نداءه عليه السلام وهو يقول: أُدخل يا عبد الله بن المغيرة. فدخلت، فلمّا نظر عليه السلام إلي قال: قد أجاب الله دعوتك، وهداك لدينه.

فقلت: أشهد أنّك حجّة الله، وأمين الله على خلقه.[٣]

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص٢٣٦، ح٣٠.

٢. الملتزم، ويقال له: المدعىّ والمتعوّذ. سمّي بذلك لالتزامه الدعاء والتعوّذ. وهو ما بين الحجر الأسود والباب. معجم البلدان للحموي: ج٥ ص١٩٠ «الملتزم».

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص٢٣٦، ح٣١.

ورواه المفيد في الإختصاص، والراوندي في الخرائج والجرائح، والإربلي في كشف الغمّة، والكليني في الكافي، وابن حمزة الطوسي في ثاقب المناقب.[١]

علمه عليه السلام بالنوايا

روى الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام، قال: حدّثنا محمد بن علي ماجيلويه، قال: حدّثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن محمد بن عيسى اليقطيني، قال: سمعت هشام العبّاسي يقول: دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام وأنا أُريد أن أسأله أن يُعوّذني لصداع أصابني، وأن يهبني ثوبين من ثيابه أحرم فيهما، فلمّا دخلت سألت عن مسائل فأجابني، ونسيت حوائجي، فلمّا قمت لأخرج، وأردت أن أُودعه، قال عليه السلام لي: اجلس. فجلست بين يديه عليه السلام، فوضع يديه عليه السلام على رأسي وعوّذني، ثمّ دعا بثوبين من ثيابه فدفعهما إلي، وقال عليه السلام لي: أحرم فيهما.

وقال العبّاسي: وطلبت بمكّة ثوبين سعيديين[٢] أهديهما لإبني، فلم أصب بمكّة فيها شيئاً على ما أردت، فمررت بالمدينة في منصرفي، فدخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام، فلمّا ودّعته وأردت الخروج، دعا بثوبين سعيديين على عمل الموشي الذي كنت طلبته، فدفعها إلي.[٣]

ورواه الراوندي في الخرائج، والإربلي في كشف الغمّة.[٤]

---

١. الإختصاص: ص٨٤، والخرائج والجرائح: ج١ ص٣٦٠ ح١٥، وكشف الغمّة: ج٢ ص١٣٥، والكافي: ج١ ص٣٥٥ ح١٣، والثاقب في المناقب: ص٤٧٥ ح٣٩٨.

٢. السعيدية: ضرب من برود اليمن. تاج العروس للزبيدي: ج٢ ص٣٧٨ «مادّة سعيد».

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص٢٣٨ ح٣٦.

٤. الخرائج والجرائح: ج٢ ص٣٥٦ ح٩، وكشف الغمّة: ج٢ ص١٣٨.

سترزق ولدين

روى الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام، قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن يحيى العطّار، قال: حدّثني أبي عن محمد بن إسحاق الكوفي عن عمّه أحمد بن عبد الله بن حارثة الكرخي، قال: كان لا يعيش لي ولد؛ وتوفّي لي بضعة عشر من الولد، فحججت ودخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام فخرج إلي وهو متّزر بازار مورّد، فسلّمت عليه وقبّلت يده وسألته عن مسائل، ثمّ شكوت إليه بعد ذلك ما ألقى من قلّة بقاء الولد. فأطرق طويلاً، ودعا ملياً، ثمّ قال لي: إنّي لارجو أن تنصرف ولك حمل، وأن يُولد لك ولد بعد ولد، وتمتّع بهم أيام حياتك، فإنّ الله تعالى إذا أراد أن يستجيب الدعاء فعل، وهو على كلّ شيء قدير. قال: فانصرفت من الحجّ إلى منزلي فأصبت أهلي ابنة خالي حاملاً، فولدت لي غلاماً سمّيته «إبراهيم» ثمّ حملت بعد ذلك فولدت لي غلاماً سمّيته «محمداً» وكنّيته بـ«أبي الحسن» فعاش إبراهيم نيّفاً وثلاثين سنة، وعاش أبو الحسن أربع وعشرين سنة، ثمّ إنّهما إعتّلا جميعاً، وخرجت حاجّاً، وانصرفت وهما عليلان، فمكثا بعد قدومي شهرين، ثمّ توفّي إبراهيم في أوّل الشهر، وتوفّي محمد في آخر الشهر، ثمّ مات بعدهما بسنة ونصف، ولم يكن يعيش له قبل ذلك ولد إلا أشهر.[١]

كرامته عليه السلام في نيسابور

روى الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام، قال: حدّثنا أبو واسع محمّد بن أحمد بن إسحاق النيسابوري، قال: سمعت جدّتي خديجة بنت حمدان بن

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص٢٤٠ ح٤٢.

بسنده، قالت: لمّا دخل الرضاعليه السلام بنيسابور نزل محلّة الغربي ناحية تُعرف «بلاشاباد» في دار جدّي «بسنده» وإنّما سُمّي «بسنده» لأن الرضاعليه السلام ارتضاه من بين الناس. و«بسنده» إنّما هي كلمة فارسية معناها: مرضي. فلماً نزل عليه السلام دارنا، زرع لوزة في جانب من جوانب الدار؛ فنبتت وصارت شجرة، وأثمرت في سنة، فعلم الناس بذلك، فكانوا يستشفون بلوز تلك الشجرة، فمن أصابته علّة تبرّك بالتناول من ذلك اللوز مستشفياً؛ فعوفي به، ومن أصابه رمد جعل ذلك اللوز على عينيه؛ فعوفي، وكانت الحامل إذا عسر عليها ولادتها تناولت من ذلك اللوز؛ فتخفّ عليها الولادة، وتضع من ساعتها، وكان إذا أخذ دابة من دواب القولنج أخذ من قضبان تلك الشجرة فأمر على بطنها؛ فتعافى، ويذهب عنها ريح القولنج ببركة الرضاعليه السلام.[1]

حمام الرضاعليه السلام

روى الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضاعليه السلام، قال: إنّ الرضاعليه السلام لمّا دخل نيسابور نزل في محلّة يُقال لها: الفرويني فيها حمام ـ وهو الحمام العروف اليوم بـ«حمام الرضاعليه السلام» ـ وكانت هناك عين قد قلّ ماؤها، فأقام عليها من أخرج ماءها حتّى توفّر وكثر، واتّخذ خارج الدرب حوضاً ينزل إليه بالمراقي إلى هذه العين، فدخله الرضاعليه السلام واغتسل فيه، ثمّ خرج منه فصلّى على ظهره.

والناس ينتابون ذلك الحوض ويغتسلون فيه، ويشربون منه إلتماساً للبركة، ويصلوّن على ظهره، ويدعون الله عزّ وجلّ في حوائجهم فتقضى لهم، وهي العين المعروفة بـ«عين كهلان» يقصدها الناس إلى يومنا هذا.[2]

---

١. عيون أخبار الرضاعليه السلام: ج٢ ص١٤١ح١.
٢. عيون أخبار الرضاعليه السلام: ج٢ ص١٤٥.

القرية الحمراء

روى ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب، قال: أبو الصلت الهروي: لمّا بلغ الرضا عليه السلام من نيسابور إلى القرية الحمراء، قيل له: قد زالت الشمس؛ أفلا تُصلّي!؟ فنزل ودعا بماء، فقيل له: ما معنا ماء. فبحث بيده عليه السلام الارض؛ فنبع من الأرض ماء توضأ به هو، ومن معه. وأثره باق إلى اليوم، يُقال له: چشمه[١] رضا.[٢]

دخوله عليه السلام سناباد

روى الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام، قال: فلمّا دخل عليه السلام سناباد استند إلى الجبل الذي تُنحت منه القدور، فقال: اللهمّ، انفع به وبارك فيما يُجعل فيه، وفيما يُنحت منه.

ثمّ أمر عليه السلام؛ فنُحت له قدور من الجبل، وقال عليه السلام: لا يُطبخ ما آكله إلا فيها. وكان عليه السلام خفيف الأكل، قليل الطعم. فاهتدى الناس إليه من ذلك اليوم، فظهرت بركة دعائه عليه السلام فيه. ثمّ دخل عليه السلام دار حميد بن قحطبة الطائي، ودخل القبّة التي فيها قبر هارون الرشيد، ثمّ خطّ بيده عليه السلام إلى جانبه، ثمّ قال: هذه تربتي، وفيها أُدفن، وسيجعل الله هذا المكان مختلف شيعتي، وأهل محبّتي، ولا يزورني منهم زائر، ولا يسلم عليّ منهم مُسلّم إلا وجب له غفران الله، ورحمته بشفاعتنا أهل البيت. ثمّ استقبل القبلة، وصلّى ركعات، ودعا بدعوات، فلمّا فرغ؛ سجد سجدة طال مكثه، فأحصيت له فيها خمسمائة تسبيحة، ثمّ انصرف.[٣]

---

١. چشمه: كلمة فارسيّة معناها: عين.

٢. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٤٥٥، فصل في خروق العادات منه عليه السلام.

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص١٤٧ ح١.

أيّكم الحسن بن علي الوشّاء

روى الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضاعليه السلام، قال: حدّثنا أبي، قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، قال: حدّثنا أبو الخير صالح بن أبي حمّاد، عن الحسن بن علي الوشّاء، قال: كنت كتبت معي مسائل كثيرة قبل أن أقطع على أبي الحسنعليه السلام، وجمعتها في كتاب ممّا روي عن آبائهعليهم السلام وغير ذلك، وأحببت أن أثّبت في أمره، وأختبره.

فحملت الكتاب في كمّي، وصرت إلى منزلهعليه السلام، وأردت أن آخذ منه خلوة فأُناوله الكتاب، فجلست ناحية وأنا متفكّر في طلب الإذن عليه، وبالباب جماعة جلوس يتحدّثون، فبينا أنا كذلك في الفكرة والإحتيال في الدخول عليه، إذا أنا بغلام قد خرج من الدار في يده كتاب فنادى: أيّكم الحسن بن علي الوشّاء، ابن بنت إلياس البغدادي؟

فقمت إليه، وقلت: أنا الحسن بن علي الوشّاء، فما حاجتك!؟

قال: هذا الكتاب أُمرت بدفعه إليك، فهاك خُذه.

فأخذته وتنحيّت ناحية، فقرأت، فإذا والله، فيه جواب مسألة، مسألة. فعند ذلك قطعت عليه، وتركت الوقف.[1]

ارتكب ما ارتكب

روى محمد بن الحسن الصفّار في بصائر الدرجات، قال: حدّثنا معاوية بن حكم، عن سليمان بن جعفر الجعفري، قال: كنت عند أبي الحسنعليه السلام بالحمراء في مشربة مشرفة على البردة، والمائدة بين أيدينا، إذ رفع رأسه فرأى رجلاً

---

١. عيون أخبار الرضاعليه السلام: ج٢ ص٢٥٢ ح١.

مُسرعاً، فرفع يده من الطعام، فما لبث أن جاء فصعد إليه، فقال: البُشرى؛ جُعلت فداك، مات الزُبيري! فاطرق إلى الأرض، وتغيّر لونه واصفر وجهه، ثمّ رفع رأسه، فقال: إنّي أصبته قد ارتكب في ليلته هذه ذنباً ليس بأكبر ذنوبه، قال الله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾[1]. ثمّ مدّ يده فأكل، فلم يلبث أن جاء رجل مولى له فقال له: جُعلت فداك، مات الزبيري. فقال عليه السلام: وما كان سبب موته!؟ فقال: شرب الخمر البارحة فغرق فيه فمات.[2]

اكتم ما رأيت

روى الراوندي في الخرائج، قال: عن إبراهيم بن موسى القزّاز، قال: كنت يوماً بمسجد الرضا عليه السلام بخراسان، فألححت على الرضا عليه السلام في طلبتي منه، فخرج عليه السلام يستقبل بعض الطالبيين، فجاء وقت الصلاة، فمال عليه السلام إلى قصر هناك، فنزل تحت شجرة بقرب القصر وأنا معه، وليس معنا ثالث، فقال عليه السلام: أذّن.

فقلت: ننتظر يلحق بنا أصحابنا.

فقال عليه السلام: غفر الله لك، لا تؤخّرن صلاة عن أوّل وقتها إلى آخر وقتها من غير علّة عليك، إبدأ بأوّل الوقت. فأذنت وصلينا.

فقلت: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله، قد طالت المدّة في العدّة[3] التي وعدتنيها، وأنا محتاج، وأنت كثير الإشتغال، لا أظفر بمسألتك كلّ وقتك.

قال: فحكّ بسوطه الأرض حكّاً شديداً، ثمّ ضرب بيده عليه السلام إلى موضع الحكّ، فأخرج سبيكة ذهب، فقال عليه السلام: خُذها إليك بارك الله لك فيها، وانتفع بها، وأكتم

---

١. سورة نوح، الآية: ٢٥.

٢. بصائر الدرجات: ص٢٦٧ رقم١٢.

٣. العدّة: الوعد.

ما رأيت.

قال: فبورك لي فيها حتّى اشتريت بخراسان ما كان قيمته سبعين ألف دينار، فصرت أغنى الناس من أمثالي هناك.[١]

ورواه المفيد في الإختصاص، والصفّار في بصائر الدرجات باختلاف يسير في اللفظ.[٢]

أنت حجّة الله على خلقه

روى ابن حمزة الطوسي في الثاقب، قال: عن عبد الله بن سوقة، قال: مرّ بنا الرضا عليه السلام فاختصمنا في إمامته، فلما خرج خرجت أنا وتميم بن يعقوب السراج ـ من أهل الرقّة ـ ونحن مخالفون له عليه السلام نرى رأي الزيديّة. فلمّا صرنا في الصحراء فإذا نحن بظباء، فأومأ أبو الحسن عليه السلام إلى خشف[٣] منها؛ فإذا هو قد جاء حتّى وقف بين يديه عليه السلام، فأخذ أبو الحسن عليه السلام فمسح رأسه، ودفعه إلى غلامه، وجعل الخشف يضطرب لكي يرجع إلى مرعاه، فكلّمه الرضا عليه السلام بكلام لا نفهمه، فسكن، ثمّ قال عليه السلام لي: يا عبد الله! أو لم تؤمن؟

قلت: بلى يا سيّدي، أنت حجّة الله على خلقه، وأنا تائب إلى الله.

ثمّ قال عليه السلام للظبي: اذهب. فجاء الظبي وعيناه تدمعان، فتمسّح بأبي الحسن عليه السلام، ورغا[٤].

فقال أبو الحسن عليه السلام: أتدري ما يقول؟!

---

١. الخرائج والجرائح: ج١ ص٣٣٧ ب٩ ح٢.

٢. الإختصاص: ص٢٦٤، وبصائر الدرجات: ص٣٧٤ ح٢.

٣. الخشف: ـ بتثليث الخاء ـ ولد الظبي أوّل ما يولد.

٤. رغا: صوت ذات الخفّ. لسان العرب لابن منظور: ج١٤ ص٣٢٩ «مادّة رغا».

قلت: الله، ورسوله، وابن رسوله أعلم.

قال عليه السلام: يقول: دعوتني فرجوت أن تأكل من لحمي، فأجبتك؛ وأحزنتني حين أمرتني بالذهاب.[1]

ورواه الراوندي في الخرائج والجرائح. والحرّ العاملي في إثبات الهداة. والنباطي في الصراط المستقيم، مختصراً.[2]

مع الرجل الواقفي

روى الراوندي في الخرائج، قال: وروي عن الحسن بن علي الوشّاء، قال: كنّا عند رجل بمرو، وكان معنا رجل واقفي، فقلت له: اتّق الله، قد كنت مثلك ثمّ نوّر الله قلبي؛ فصم الأربعاء، والخميس، والجمعة، واغتسل، وصلّ ركعتين، وسل الله أن يُريك في منامك ما تستدلّ على هذا الأمر.

فرجعت إلى البيت، وقد سبقني كتاب أبي الحسن عليه السلام يأمرني فيه أن أدعو إلى هذا الأمر ذلك الرجل، فانطلقت إليه، وأخبرته، وقلت: إحمد الله، واستخره مائة مرّة، وقلت له: إنّي وجدت كتاب أبي الحسن عليه السلام قد سبقني إلى الدار أن أقول لك ما كنّا فيه، وإنّي لأرجو أن ينوّر الله قلبك. فافعل ما قلت لك من الصوم، والدعاء.

فأتاني يوم السبت في السحر، فقال لي: أشهد أنّه عليه السلام الإمام المفترض الطاعة.

قلت: وكيف ذلك؟!

قال: أتاني أبو الحسن عليه السلام البارحة في النوم.

---

١. الثاقب في المناقب: ص١٧٦ رقم١٦١.

٢. الخرائج والجرائح: ج١ ص٣٦٤ ب٩ ح٢١، وإثبات الهداة: ج٦ ص١٣٢ ح١٤٠، والصراط المستقيم: ج٢ ص١٩٧ ح١٥.

فقال: يا إبراهيم، والله، لترجعنّ إلى الحقّ.

وزعم ـ الرجل ـ أنّه لم يطّلع عليه إلا الله.[١]

المدية المسمومة

روي عن محمد بن زيد الرازمي[٢]، قال:

كنت في خدمة الرضا عليه السلام لمّا جعله المأمون ولي عهده، فأتاه رجل من الخوارج في كمّه مدية مسمومة[٣] وقد قال لأصحابنه: والله، لآتين هذا الذي يزعم أنّه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ـ وقد دخل لهذا الطاغية فيما دخل ـ فأسأله عن حجّته، فإن كانت له حجّة، وإلا أرحت الناس منه.

فأتاه واستأذن عليه، فأذن عليه السلام له، فقال له أبو الحسن عليه السلام: أُجيبك عن مسألتك على شريطة تفي لي بها.

فقال: وما هي الشريطة؟

قال عليه السلام: إن أجبتك بجواب يقنعك وترضاه تكسر الذي في كمّك، وترمي به.

فبقي الخارجي متحيّراً، وأخرج المدية وكسرها.

ثمّ قال: أخبرني عن دخولك لهذا الطاغية فيما دخلت له، وهم عندك كفّار!؟ وأنت ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ما حملك على هذا!؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: أرأيتك هؤلاء أكفر عندك أم عزيز مصر وأهل مملكته؟ أليس هؤلاء على حال يزعمون أنّهم موحّدون، وأُولئك لم يوحّدوا الله، ولم

---

١. الخرائج والجرائح: ج١ ص٣٦٦ ب٩ ح٢٣.

٢. خادم الإمام الرضا عليه السلام. راجع رجال النجاشي: ص٣٦٨ رقم ١٠٠٠.

٣. المدية ـ بكسر الميم ـ : الشفرة الكبيرة. سُميت بذلك لأنّ بها انقضاء المدى.

يعرفوه؟ يوسف بن يعقوب عليه السلام نبي ابن نبي، قال للعزيز وهو كافر: ﴿قَالَ اجْعَلْنِى عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[1]. وأنا رجل من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله أجبرني على هذا الأمر، وأكرهني عليه، فما الذي أنكرت ونقمت علي!؟

فقال: لا عتب عليك، إنّي أشهد أنّك ابن نبي الله، وإنّك صادق.[2]

نعم إن كرامات وغرائب شأنه عليه السلام تفوق الحصر والإستقصاء، فضلاً عنها مستمرة وإلى يومنا هذا، وما ذكرناه في هذه العجالة سوى نموذج لغيض من فيض كراماته عليه السلام، لعلّ الله يهدي بها من يبغي الحقّ ويرنو إليه.

هكذا خُلُق الأولياء

روى الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام، قال: حدّثنا الحاكم أبو جعفر بن نعيم بن شاذان، قال: حدّثنا أحمد بن إدريس، عن إبراهيم بن هاشم، عن إبراهيم بن العباس، قال:

ما رأيت، ولا سمعت بأحد أفضل من أبي الحسن الرضا عليه السلام، وشهدت منه ما لم أشهد من أحد؛ ما رأيته جفا أحداً بكلام قطّ، ولا رأيته قطع على أحد كلامه، حتّى يفرغ منه، وما ردّ أحداً عن حاجة يقدر عليها، ولا مدّ رجليه بين يدي جليس له قطّ، ولا أكل بين يدي جليس له قطّ، ولا رأيته يشتم أحداً من مواليه ومماليكه، ولا رأيته تفل قطّ، ولا رأيته يقهقه في ضحكه، بل كان ضحكه التبسّم، وكان عليه السلام إذا خلا، ونُصبت الموائد أجلس على مائدته مماليكه ومواليه، حتّى البوّاب والسائس، وكان عليه السلام قليل النوم بالليل، وكثير الصوم، ولا يفوته صيام ثلاثة أيّام في الشهر، ويقول عليه السلام: إنّ ذلك يُعادل صيام الدهر. وكان عليه السلام كثير

---

١. سورة يوسف، الآية: ٥٥.

٢. الخرائج والجرائح: ج٢ ص٧٦٦ ب١٥ ح٨٦.

المعروف والصدقة في السرّ، وأكثر ذلك يكون منه في الليالي المظلمة. فمن زعم أنّه رأى مثله في فضله؛ فلا تُصدّقوه.[١]

منتهى التواضع

روى الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضاعليه السلام، قال: حدّثنا الحاكم أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي، قال: حدّثني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدّثني أبو عبد الله محمد بن موسى بن نصر الرازي، قال: سمعت أبي يقول: قال رجل للرضاعليه السلام: والله، ما على وجه الأرض أشرف منك آباءً.

فقالعليه السلام: التقوى شرّفتهم، وطاعة الله أحظتهم.

فقال له آخر: أنت والله، خير الناس.

فقالعليه السلام له: لا تحلف يا هذا! خير منّي من كان اتقى للهعزّ وجلّ، وأطوع له، والله، ما نُسخت هذه الآية: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٢].[٣]

إطعام المساكين

روى البرقي في المحاسن، بسنده: عن معمّر بن خلّاد، قال:

كان أبو الحسن الرضاعليه السلام إذا أكل أُتي بصفحة فتوضع قرب مائدته، فيعمد إلى أطيب الطعام ممّا يؤتى به، فيأخذ من كلّ شيء شيئاً، فيوضع في تلك الصفحة، ثمّ يأمر بهما للمساكين، ثمّ يتلوعليه السلام هذه الآية: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾[٤]، ثمّ

---

١. عيون أخبار الرضاعليه السلام: ج٢ ص١٩٧، ح٧.

٢. سورة الحجرات، الآية: ١٣.

٣. عيون أخبار الرضاعليه السلام: ج٢ ص٢٦١، ح١٠.

٤. سورة البلد، الآية: ١١.

يقول عليه السلام: علم الله عزّ وجلّ أن ليس كلّ إنسان يقدر على عِتق رقبة؛ فجعل لهم السبيل إلى الجنّة بإطعام الطعام.[١]

قضاء الديون

روى الشيخ الكليني في الكافي، قال: علي بن محمد، عن ابن جمهور، عن إبراهيم بن عبد الله، عن أحمد بن عبد الله، عن الغفاري، قال: كان لرجل من آل أبي رافع مولى النبي صلى الله عليه وآله يُقال له: طيّس عليّ حقّ له؛ فتقاضاني، وألحّ عليّ وأعانه الناس، فلمّا رأيت ذلك صلّيت الصبح في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله، ثمّ توجّهت نحو الرضا عليه السلام وهو يومئذ بالعريض[٢]، فلمّا قربت من بابه إذا هو قد طلع على حمار وعليه قميص ورداء، فلمّا نظرت إليه استحييت منه، فلمّا لحقني وقف ونظر إليّ، فسلّمت عليه ـ وكان شهر رمضان ـ فقلت: جعلني الله فداك، إنّ لمولاك طيّس عليّ حقّاً وقد والله، شهرني. وأنا أظنّ في نفسي أنّه عليه السلام يأمره بالكفّ عنّي. ووالله، ما قلت له كم له عليّ، ولا سمّيت له شيئاً، فأمرني بالجلوس إلى رجوعه، فلم أزل حتّى صلّيت المغرب وأنا صائم، فضاق صدري وأردت أن أنصرف، فإذا هو قد طلع عليّ وحوله الناس وقد قعد له السؤال، وهو يتصدّق عليهم، فمضى ودخل بيته، ثمّ خرج ودعانيّ، فقمت إليه ودخلت معه، فجلس وجلست، فجعلت أُحدثّه عن ابن المسيّب ـ وكان أمير المدينة ـ وكان كثيراً ما أُحدثّه عنه، فلمّا فرغت، قال: لا أظنّك أفطرت بعد؟

فقلت: لا. فدعا لي بطعام، فوضع بين يدي، وأمر الغلام أن يأكل معيّ، فاصبت والغلام من الطعام، فلمّا فرغنا قال لي: إرفع الوسادة، وخُذ ما تحتها.

---

١. المحاسن: ج٢ ص٣٩٢ باب الأطعمة، ح٣٩.

٢. العريض: موضع بالجزيرة قريب من البشر. معجم البلدان للحموي: ج٣ ص٢٤٢ «مادّة عريض».

فرفعتها، وإذا دنانير، فأخذتها ووضعتها في كمّي، وأمر أربعة من عبيده أن يكونوا معي حتّى يبلغوني منزلي، فقلت: جُعلت فداك، إنّ طائف ابن المسيّب يدور، وأكره أن يلقاني ومعي عبيدك.

فقال لي: أصبت، أصاب الله بك الرشاد. وأمرهم أن ينصرفوا إذا رددتهم، فلمّا قربت من منزلي، وآنست؛ رددتهم، فصرت إلى منزلي، ودعوت بالسراج، ونظرت إلى الدنانير؛ وإذا هي ثمانية وأربعون دينار، وكان حقّ الرجل عليّ ثمانية وعشرين ديناراً، وكان فيها دينار يلوح فأعجبني حُسنه، فأخذته وقرّبته من السراج، فإذا عليه نقش واضح: حقّ الرجل ثمانية وعشرون ديناراً، وما بقي فهو لك. ولا والله، ما عرّفت ما له عليّ، والحمد لله ربّ العالمين الذي أعزّ وليه.[١]

في موت شيعتهم

روى ابن شهرآشوب في المناقب، قال: موسى بن سيّار، قال: كنت مع الرضا عليه السلام وقد أشرف على حيطان طوس، وسمعت واعية فأتبعتها، فإذا نحن بجنازة، فلمّا بصرت بها رأيت سيّدي وقد ثنى رجله عن فرسه، ثمّ أقبل نحو الجنازة، فرفعها، ثمّ أقبل يلوذ بها، كما تلوذ السخلة بأُمّها، ثمّ أقبل عليه السلام عليّ وقال: يا موسى بن سيّار، مَن شيّع جنازة ولي من أوليائنا، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمّه، لا ذنب عليه. حتّى إذا وضع الرجل على شفير قبره، رأيت سيّدي قد أقبل فأفرج الناس عن الجنازة حتّى بدا له عليه السلام الميّت، فوضع يده على صدره، ثمّ قال عليه السلام: يا فلان بن فلان، أبشر بالجنّة، فلا خوف عليك بعد هذه الساعة.

---

١. الكافي: ج١ ص٤٨٧ باب مولد أبي الحسن الرضا عليه السلام، ح٤.

فقلت: جُعلت فداك، هل تعرف الرجل؛ فوالله، إنّها بقعة لم تطأها قبل يومك هذا!؟

فقال لي: يا موسى بن سيّار، أما علمت إنّا معاشر الأئمّة تُعرض علينا أعمال شيعتنا صباحاً ومساءاً؟ فما كان من التقصير في أعمالهم؛ سألنا الله تعالى الصفح لصاحبه، وما كان من العلو؛ سألنا الله الشكر لصاحبه.[١]

من فيض علمه عليه السلام

كان الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام على غرار آبائه الطاهرين عليهم السلام في كثير علمه، وفضله، وعبقريّاته، ومواهبه، وقد أفتى الناس بمسجد جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عليه السلام ابن نيّف وعشرين سنة،[٢] وكان المأمون يختبره بالسؤال عن كلّ شيء، فيجيب عليه السلام فيه، وكان كلامه عليه السلام وجوابه وتمثيله من آيات كتاب الله الحكيم.

قال إبراهيم بن العباس: ما رأيته سُئل عن شيء قطّ إلاّ علمه.[٣]

وقال عبد السلام بن صالح الهروي: ما رأيت أعلم من علي بن موسى الرضا عليه السلام ولا رآه عالم إلاّ شهد له عليه السلام بمثل شهادتي.

ولقد جمع المأمون له في مجالس له ذات عدد من علماء الأديان، وفقهاء الشريعة، والمتكلّمين، فغلبهم عن آخرهم حتّى ما بقي منهم أحد إلاّ أقرّ له عليه السلام بالفضل، وأقرّ على نفسه بالقصور.[٤]

---

١. مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٣٤١، باب إمامة علي بن موسى الرضا عليه السلام.

٢. تهذيب التهذيب: ج٧ ص٣٨٨.

٣. راجع الأمالي للصدوق: ص٧٥٨ المجلس٩٤، ح١٤.

٤. إعلام الورى بأعلام الهدى للطبرسي: ج٢ ص٦٤، الفصل الرابع.

عالم آل محمّد عليه السلام

روى الإربلي في كشف الغمّة، قال: قال أبو الصلت: ولقد حدّثني محمد بن إسحاق بن موسى بن جعفر عليه السلام، عن أبيه: إنّ موسى بن جعفر عليهما السلام كان يقول لبنيه: هذا أخوكم علي بن موسى؛ عالم آل محمّد، فسلوه عن أديانكم، واحفظوا ما يقول لكم، فإنّي سمعت أبي، جعفر بن محمد عليهما السلام يقول لي: إنّ عالم آل محمّد عليه السلام لفي صُلبك، وليتني أدركته، فإنّه سمي أميرالمؤمنين عليه السلام.[1]

النهار أم الليل

روى ابن شهرآشوب في المناقب، قال: الأشعث بن حاتم سأل الرضا عليه السلام بمرو على مائدة عليها المأمون، والفضل: النهار خُلق قبل أم الليل؟

قال عليه السلام: أمن القرآن، أم من الحساب؟

فقال الفضل: من كليهما.

فقال عليه السلام: قد علمت أنّ طالع الدنيا السرطان، والكواكب في موضع شرفها؛ فزحل في الميزان، والمشتري في السرطان، والشمس في الحمل، والقمر في الثور، فذلك يدل على كينونة الشمس في الحمل في العاشرة في وسط السماء، ويوجب ذلك أنّ النهار خلق قبل الليل. وأمّا دليل ذلك من القرآن، فقوله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾[2].[3]

---

١. كشف الغمّة: ج٢ ص١١١.

٢. سورة يس، الآية: ٤٠.

٣. مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٣٥٢.

مع علماء الملل

روى الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام، بسنده: عن الحسن بن محمد النوفلي ثمّ الهاشمي، قال: لمّا قدم علي بن موسى الرضا عليه السلام على المأمون أمر ـ أي، المأمون ـ الفضل بن سهل أنّ يجمع له مثل الجاثليق[١]، ورأس الجالوت[٢]، ورؤساء الصابئين[٣]، منهم عمران الصابئي، والهربذ الأكبر[٤]، وأصحاب زردهشت[٥]، ونسطاس[٦] الرومي، والمتكلّمين، منهم: سليمان المروزي، ثمّ أُحضر الرضا عليه السلام فسألوه، فقطع الرضا عليه السلام واحداً بعد واحد.[٧]

مع الجاثليق

روى ابن شهرآشوب في المناقب، قال: وكان الجاثليق يُناظر المتكلّمين فيقول: نحن نتّفق على نبوّة عيسى عليه السلام وكتابه، وإنّه حيّ في السماء، ونختلف في بعثة محمّد، ونتّفق في موته. فما الذي يدلّ على نبوّته؟ فيحيّرهم.

---

١. الجاثليق، والجثليق: رئيس الأساقفة.

٢. هو عالم من اليهود.

٣. الصابئة: قوم دينهم التعبّد للروحانيات ـ أي، الملائكة ـ وضدّ الحنفاء الذين دعوتهم الفطرة.
مؤدّى مذهبهم: إنّ للعالم صانعاً، فاطراً، حكيماً، مقدّساً من سمات الحدثان. والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله، وانّما يُتقرّب إليه بالمتوسّطات المقرّبين لديه؛ وهم الروحانيون، المطهّرون، المقدّسون جوهراً، وفعلاً، وحالةً.

٤. الهرابذة: خدم نار المجوس. وقيل: إنّهم عظماء الهنود، وعلمائهم.

٥. زرادشت ـ زردشت: وفي أمره كان اختلافاً شديداً بين أرباب الملل والنحل، وكلمات المؤرّخين. ويظهر من بعض: إنّ زرداشت كان تلميذاً لنبي. وبعض أهل الكتاب يقولون: إنّه هو «منوجهر». وقال بعض: إنّه مُرسل من قبل بعض أنبياء بني إسرائيل. وبعض المؤرّخين جعل وجوده موهوماً محضاً.

٦. النسطاس ـ بالكسر ـ : علم. وبالروميّة: عالم بالطب.

٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١ ص١٣٩ باب ١٢، ح١.

فأُحضر عند الرضاعليه السلام والمأمون، فقال: ما تقول في نبوّة عيسى، وكتابه، هل تُنكر منهما شيئاً؟

فقال الرضاعليه السلام: أنا مقرّ بنبوّة عيسى وكتابه، وما بشّر به أُمّته، وأقرّ به الحواريون، وكافر بنبوّة كلّ عيسى لم يُقرّ بنبوّة محمّد، وكتابه، ولم يُبشر أُمّته. فانقطع.

ثمّ قال الرضاعليه السلام: يا نصراني، والله، إنّا لنؤمن بعيسى الذي آمن بمحمدصلى الله عليه وآله، وما ننقم على عيساكم إلا ضعفه، وقلّة صيامه وصلاته!

فقال: والله، ما زال عيسى صائم النهار، وقائم الليل.

قالعليه السلام: لمن يُصلّي، ويصوم؟

فخرس.

وقال: من أحيى الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص مستحقّ أن يُعبد.

فقال الرضاعليه السلام: فإنّ اليسع صنع ما صنع؛ مشى على الماء، وأبرأ الأكمه والأبرص، وحزقيل أحيى خمسة وثلاثين ألف رجل من بعد موتهم بستّين سنة، وقوم من بني إسرائيل خرجوا من بلادهم من الطاعون، وهم ألوف حذر الموت، فأماتهم الله في ساعة واحدة، فأوحى الله إلى نبيّ: مرّ على عظامهم بعد سنين أن نادهم. فقال: أيتّها العظام البالية، قومي بإذن الله. فقاموا.

وذكرعليه السلام حديث إبراهيم خليل اللهعليه السلام والطير: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾[1]، وحديث موسىعليه السلام: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۞ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ

١. سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

﴿تَشْكُرُونَ﴾[١]، وكان موسى عليه السلام اختار من بني إسرائيل سبعين رجلاً لميقات الله، ولمّا قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾[٢]، فاحترقوا، فأحياهم الله من بعد قول موسى عليه السلام: ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ...﴾[٣].

ثمّ قال عليه السلام: فإن كان من أحيى الموتى يُتخذ ربّاً من دون الله فاتخذوا هؤلاء كلّهم أرباباً!

فأسلم النصراني.[٤]

مع رأس الجالوت

روى الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام، بسنده: عن الحسن بن محمد النوفلي ثمّ الهاشمي، قال: فقال له ـ أي، لرأس الجالوت ـ الرضا عليه السلام: هل تنكر أن التوراة تقول لكم: جاء النور من قبل طور سيناء، وأضاء لنا من جبل ساعير، واستعلن علينا من جبل فاران؟

قال رأس الجالوت: أعرف هذه الكلمات، وما أعرف تفسيرها.

قال الرضا عليه السلام: أنا أُخبرك به؛ أما قوله: جاء النور من قبل طور سيناء. فذلك وحي الله تبارك وتعالى الذي أنزله على موسى عليه السلام على جبل طور سيناء، وأمّا قوله: وأضاء لنا من جبل ساعير. فهو الجبل الذي أوحى الله عزّ وجلّ إلى عيسى بن مريم عليهما السلام وهو عليه، وأمّا قوله: واستعلن علينا من جبل فاران. فذلك جبل من جبال مكّة بينه وبينها يوم.

---

١. سورة البقرة، الآية: ٥٥ـ٥٦.

٢. سورة البقرة، الآية: ٥٥.

٣. سورة الأعراف، الآية: ١٥٥.

٤. مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٣٥٢.

وقال شعياء النبيعليه السلام ـ فيما تقول أنت واصحابك في التوراة ـ : رايت راكبين أضاء لهم الأرض؛ أحدهما على حمار، والآخر على جمل. فمَن راكب الحمار، ومن راكب الجمل؟

قال راس الجالوت: لا أعرفهما، فخبّرني بهما.

قالعليه السلام: أمّا راكب الحمار؛ فعيسىعليه السلام، وأمّا راكب الجمل؛ فمحمدصلى الله عليه وآله. أتُنكر هذا من التوراة؟!

قال: لا، ما أنكره.[1]

مع الصابي

روى الشيخ الطبرسي في الإحتجاج، قال: فقال الرضاعليه السلام: يا قوم! إن كان فيكم أحد يُخالف الإسلام واراد أن يسأل فليسأل غير محتشم.

فقام إليه عمران الصابي ـ وكان واحداً من المتكلّمين ـ فقال: يا عالم الناس، لولا أنّك دعوت إلى مسألتك لم أقدم عليك بالمسائل، ولقد دخلت الكوفة والبصرة والشام والجزيرة، ولقيت المتكلّمين فلم أقع على أحد يُثبت لي واحداً ليس غيره، قائماً بوحدانيته؛ أفتأذن أن أسألك؟

قال الرضاعليه السلام: إن كان في الجماعة عمران الصابي، فانت هو.

قال: أنا هو.

قالعليه السلام: سل يا عمران، وعليك بالنصفة، إياك والخطل، والجور!

قال: والله، يا سيّدي ما أُريد إلا أن تُثبت لي شيئاً أتعلّق به، فلا أجوزه.

قالعليه السلام: سل عمّا بدا لك.

---

١. عيون أخبار الرضاعليه السلام: ج١ ص١٤٨ باب ١٢، ضمن ح١.

فازدحم الناس، وضمّ بعضهم إلى بعض. فقال: أخبرني عن الكائن الأوّل، وعمّا خلق؟

قالعليه السلام: سألت، فافهم الجواب. أمّا الواحد؛ فلم يزل كائناً واحداً، لا شئ معه، بلا حدود، ولا أعراض، ولا يزال كذلك. ثمّ خلق خلقاً مُبتدعاً، مختلفاً بأعراض وحدود مختلفة، لا في شئ أقامه، ولا في شئ حدّه، ولا على شئ حذاه، ومثّله. فجعل الخلق من بعد ذلك صفوة، وغير صفوة لله، واختلافاً، وايتلافاً، والواناً، وذوقاً، وطعماً، لا لحاجة كانت منه إلى ذلك، ولا لفضل منزلة لم يبلغها إلا به، ولا رأى لنفسه فيما خلق زيادة، ولا نقصاناً. تعقل هذا يا عمران؟!

قال: نعم والله، يا سيّدي.

قالعليه السلام: واعلم يا عمران! إنّه لو كان خلق ما خلق لحاجة، لم يخلق إلا من يستعين به على حاجته، ولكان ينبغي أن يخلق أضعاف ما خلق، لأنّ الأعوان كلّما كثروا كان صاحبهم أقوى.

ثمّ طال السؤال والجواب بين الرضاعليه السلام وبين عمران الصابي، وألزمهعليه السلام في أكثر مسائله، حتّى انتهت الحال إلى أن قال: أشهد أنّه يا سيّدي كما وصفت، ولكن بقيت مسألة!

قالعليه السلام: سلّ عمّا أردت.

قال: اسألك عن «الحكيم» في أي شئ، وهل يُحيط به شئ، وهل يتحول من شئ إلى شئ، أو هل به حاجة إلى شئ؟

قال الرضاعليه السلام: أُخبرك يا عمران! فاعقل ما سألت عنه؛ فإنّه مَن أغمض ما يرد على المخلوقين في مسائلهم، وليس يفهمه المتقارب عقله، العازب حلمه، ولا يعجز عن فهمه أولو العقل المنصفون.

أمّا أوّل ذلك: فلو كان خَلَق ما خَلَق لحاجة منه لجاز لقائل أن يقول: يتحوّل

إلى ما خَلَق لحاجته إلى ذلك. ولكنّه عَزَّ وَجَلَّ لم يخلق شيئاً لحاجة، ولم يزل ثابتاً لا في شئ، إلا أنّ الخلق يمسك بعضه بعضاً، ويدخل بعضه في بعض، ويخرج منه. والله جلّ وتقدّس بقدرته يُمسك ذلك كلّه، وليس يدخل في شئ، ولا يخرج منه، ولا يؤده حفظه، ولا يعجز عن إمساكه، ولا يعرف أحد من الخَلق كيف ذلك إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، ومن أطلعه عليه من رُسُله، وأهل سرّه، والمستحفظين لأمره، وخُزّانه القائمين بشريعته. وإنّما أمره كلمح البصر، أو هو أقرب، إذا شاء شيئاً؛ فإنّما يقول له: «كُن» فيكون بمشيته، وإرادته. وليس شئ من خلقه أقرب إليه من شئ، ولا شئ أبعد منه من شئ. أفهمت يا عمران؟

قال: نعم يا سيّدي، فهمت، وأشهد أنّ الله على ما وصفت، ووحدّت، وأنّ محمداً عبده المبعوث بالهدى، ودين الحقّ. ثمّ خرّ ساجداً نحو القبلة، وأسلم.

قال الحسن بن محمد النوفلي: فلمّا نظر المتكلّمون إلى كلام عمران الصابي ـ وكان جدلاً لم يقطعه عن حجّته أحد قطّ ـ لم يدن من الرضا عليه السلام أحد، ولم يسألوه عن شئ. وأمسينا، فنهض المأمون، والرضا عليه السلام فدخلا، وانصرف الناس.[١]

مع الهربذ

روى الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام، قال: ثمّ دعا عليه السلام بالهربذ الأكبر، فقال له الرضا عليه السلام: أخبرني عن زردهشت الذي تزعم أنّه نبيّ؛ ما حجّتك على نبوّته؟

قال: إنّه أتى بما لم يأتنا به أحد قبله، ولم نشهده، ولكنّ الأخبار من أسلافنا وردت علينا: بأنه أحلّ لنا ما لم يُحلّه لنا غيره؛ فاتّبعناه!

---

١. الإحتجاج: ج٢ ص٢١٢.

قال عليه السلام: أفليس إنّما أتتكم الأخبار فاتبعتموه؟

قال: بلى.

قال عليه السلام: فكذلك سائر الأُمم السالفة أتتهم الأخبار بما أتى به النبيّون، وأتى به موسى وعيسى، ومحمد صلى الله عليه وآله. فما عذركم في ترك الإقرار لهم إذ كُنتم إنّما أقررتم بزردهشت من قبل الأخبار الواردة: بأنّه جاء بما لم يجئ به غيره!؟

فانقطع الهربذ مكانه.[١]

مع ابن قرّة

روى ابن شهرآشوب في المناقب، قال: وفي كتاب الصفواني: قال الرضا عليه السلام لابن قرّة النصراني: ما تقول في المسيح؟

قال: يا سيّدي إنّه من الله.

فقال له عليه السلام: ما تريد بقولك: «من »؟ و«من» على أربعة أوجه لا خامس لها:

أتريد بقولك: «من» كالبعض من الكلّ، فيكون مُبعّضاً؟

أو كالخلّ من الخمر، فيكون على سبيل الإستحالة؟

أو كالولد من الوالد، فيكون على سبيل المناكحة؟

أو كالصنعة من الصانع، فيكون على سبيل المخلوق من الخالق؟

أو عليك وجه آخر فتُعرّفناه؟

فانقطع.[٢]

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١ ص١٤٨ باب ١٢، ضمن ح١.

٢. مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٣٥١.

مع السمرقندي

روى الشيخ الطبرسي في الإحتجاج، قال: وروي: إنّ المأمون كان يُحبّ في الباطن سقطات أبي الحسن الرضاﷺ وأن يغلبه المحتجّ، ويَظهره غيره. فاجتمع يوماً عنده الفقهاء، والمتكلّمون، فدسّ إليهم أن ناظروه في الإمامة.

فقال لهم الرضاﷺ: اقتصروا على واحد منكم يُلزمكم ما يَلزمه.

فرضوا برجل يُعرف بـ«يحيى بن الضحّاك السمرقندي» ولم يكن بخراسان مثله.

فقال له الرضاﷺ: يا يحيى! أخبرني عمّن صدّق كاذباً على نفسه، أو كذّب صادقاً على نفسه؛ أيكون مُحقّاً مُصيباً، أم مُبطلاً مُخطياً؟

فسكت يحيى. فقال له المأمون: أجبه!

فقال: يعفيني أميرالمؤمنين عن جوابه. فقال المأمون: يا أبا الحسن، عرّفنا الغرض في هذه المسألة!

فقالﷺ: لا بدّ ليحيى من أن يُخبرني عن أئمّته؛ إنّهم كذبوا على أنفسهم، أو صدقوا. فإن زعم أنّهم كذبوا، فلا إمامة للكاذب، وإن زعم أنّهم صدقوا، فقد قال أوّلهم: «أقيلوني؛ وليتكم ولست بخيركم» وقال ثانيهم: «بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرّها، فمن عاد لمثلها فاقتلوه» فوالله، ما رضي لمن فعل مثل فعله إلا بالقتل، فمن لم يكن بخير الناس ـ والخيرية لا تقع إلا بنعوت، منها: العلم، ومنها: الجهاد، ومنها: ساير الفضائل، وليست فيه ـ ومن كانت بيعته فلتة يجب القتل على من فعل مثلها، كيف يُقبل عهده إلى غيره، وهذه صفته؟! ثمّ يقول على المنبر: إنّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا مال بي فقوموني، وإذا أخطأت فأرشدوني. فليسوا أئمّة إن صدقوا، وإن كذبوا. فما عند يحيى شئ في هذا.

فعجب المأمون من كلامه، وقال: يا أبا الحسن، ما في الأرض من يُحسن

هذا سواك.[١]

وبعد هذا فلا مجال هنا لإيراد جميع محاججات الإمام عليه السلام، وكفى بما أوردناه في هذه العجالة نموذجاً حيّاً على غزير علمه عليه السلام بالقرآن الكريم، وبجميع أحكام الشريعة المُطهّرة.

١. الإحتجاج: ج٢ ص٢٣٤.

فصل من

فيوض كلامه عليه السلام

شاع عن الإمام علي بن موسى الرضاعليه السلام: إنّه قد واجه جمهرة من أصحاب الآراء، والأهواء من مختلف المذاهب والنحل، فضلاً عن كمّ هائل من المسائل المُبتلى بها عموم المسلمين، حتّى قال محمد بن عيسى اليقطيني: لمّا اختلف الناس في أمر أبي الحسن الرضاعليه السلام جمعت من مسائله ممّا سُئل عليه السلام عنه وأجاب فيه، ثمانية عشر ألف مسألة.[1] نستعرض لفئ شعاع منها:

في التوحيد ولوازمه

روي بالسند عن محمد بن زيد، قال: جئت إلى الرضاعليه السلام أسأله عن التوحيد، فأملى عليّ:

الحمد لله فاطر الأشياء إنشاءً، ومبتدعها ابتداعاً بقدرته وحكمته، لا من شيء فيبطل الإختراع، ولا لعلّة فلا يصح الإبتداع. خلق ما شاء كيف شاء، متوّحداً بذلك لإظهار حكمته، وحقيقة ربوبيّته، لا تضبطه العقول، ولا تبلغه الأوهام، ولا تُدركه الأبصار، ولا يُحيط به مقدار. عجزت دونه العبارة، وكلّت دونه الأبصار، وضلّ فيه تصاريف الصفات. احتجب بغير حجاب محجوب، واستتر بغير ستر مستور، عُرف بغير رؤية، ووصِف بغير صورة، ونُعت بغير جسم. لا إله إلا الله الكبير المتعال.[2]

وروي بالسند عن محمد بن عبد الله الخراساني ـ خادم الرضاعليه السلام ـ قال: دخل رجل من الزنادقة على الإمام أبي الحسنعليه السلام وعنده جماعة، فقال أبو

---

١. مناقب آل أبي طالب للمازندراني: ج٣ ص٤٦١، باب إمامة علي بن موسى الرضاعليه السلام.

٢. الكافي للكليني: ج١ ص١٠٥باب النهي عن الجسم والصورة، ح٣، والتوحيد للصدوق: ص٩٨ ب٦ ح٥.

الحسن عليه السلام: أيّها الرجل أرأيت إن كان القول قولكم. وليس هو كما تقولون؛ ألسنا وإيّاكم شرعاً سواء، لا يضرّنا ما صلّينا، وصمنا، وزكيّنا، وأقررنا؟

فسكت الرجل.

ثمّ قال أبو الحسن عليه السلام: وإن كان القول، وهو قولنا؛ ألستم قد هلكتم، ونجونا؟

فقال الرجل: رحمك الله، أوجدني ـ اظفرني، أفدني ـ كيف هو، وأين هو!؟

فقال عليه السلام: ويلك! إنّ الذي ذهبت إليه غلط، هو أيّن الأين بلا أين، وكيّف الكيف بلا كيف، فلا يُعرف بالكيفوفية، ولا بأينونيّة، ولا يدرك بحاسّة، ولا يُقاس بشيء.

فقال الرجل: فإذن، إنّه لا شيء إذا لم يدرك بحاسّة من الحواس!

فقال أبو الحسن عليه السلام: ويلك! لمّا عجزت حواسّك عن إدراكه أنكرت ربوبيته؟! ونحن إذا عجزت حواسّنا عن إدراكه أيقنّا أنّه ربّنا بخلاف شيء من الأشياء.

قال الرجل: فأخبرني متى كان!؟

قال عليه السلام: أخبرني متى لم يكن، فأُخبرك متى كان؟!

قال الرجل: فما الدليل عليه!؟

قال عليه السلام: إنّي لمّا نظرت إلى جسدي ولم يمكّني فيه زيادة ولا نقصان في العرض والطول، ودفع المكاره عنه، وجرّ المنفعة إليه، علمت أنّ لهذا البنيان بانياً، فأقررت به مع ما أرى من دوران الفلك بقدرته، وإنشاء السحاب، وتصريف الرياح، ومجرى الشمس، والقمر، والنجوم، وغير ذلك من الآيات

العجيبات ـ المبيّنات ـ علمت أنّ لهذا مقدراً ومنشأ.[١]

وروي عن صفوان بن يحيى، قال: سألني أبو قرّة المحدّث أن أُدخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام فاستأذنته في ذلك، فأذن عليه السلام لي، فدخل عليه فسأله عن الحرام، والحلال، والأحكام حتّى بلغ سؤاله إلى التوحيد، فقال أبو قرّة: إنّا روينا أنّ الله قسّم الرؤية، والكلام بين نبيّين؛ فقسّم الكلام لموسى عليه السلام، ولمحمد صلى الله عليه وآله الرؤية.

فقال أبو الحسن الرضا عليه السلام: فمن المُبلّغ عن الله إلى الثقلين من الجنّ والإنس: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[٢]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[٣]، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[٤]؛ أليس محمد صلى الله عليه وآله؟!

قال: بلى.

قال عليه السلام: كيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً فيُخبرهم أنّه جاء من عند الله، وأنّه يدعوهم إلى الله بأمر الله، فيقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ثمّ يقول: أنا رأيته بعيني، وأحطت به علماً، وهو على صورة البشر!؟ أما تستحون؟! ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون يأتي من عند الله بشيء، ثمّ يأتي بخلافه من وجه آخر؟!

قال أبو قرّة: فإنّه يقول: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[٥].

فقال أبو الحسن عليه السلام: إنّ بعد هذه الآية ما يدلّ على ما رأى، حيث قال: ﴿مَا

---

١. الكافي للكليني: ج١ ص٧٨ باب حدوث العالم، ح٣.

٢. سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

٣. سورة طه، الآية: ١١٠.

٤. سورة الشورى، الآية: ١١.

٥. سورة النجم، الآية: ١٣.

﴿كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾[1]. يقول: ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وآله ما رأت عيناه، ثمّ أخبر بما رأى.

فقال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾[2]. فآيات الله غير الله، وقد قال الله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[3]، فإذا رأته الأبصار فقد أحاطت به العلم، ووقعت المعرفة.

فقال أبو قرّة: فتكذب بالروايات!؟

فقال عليه السلام: إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن؛ كذّبتها. وما أجمع المسلمون عليه: إنّه لا يُحاط به علماً، لا تدركه الأبصار، وليس كمثله شيء.[4]

وروي عن محمد بن عبيد، قال: كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام أسأله عن الرؤية، ما ترويه العامّة والخاصّة، وسألته أن يشرح لي ذلك.

فكتب عليه السلام بخطّه:

اتّفق الجميع ـ لا تمانع بينهم ـ : إنّ المعرفة من جهة الرؤية ضرورة، فإذا جاز أن يُرى الله بالعين؛ وقعت المعرفة ضرورة، ثمّ لم تخل تلك المعرفة من أن تكون إيماناً، أو ليست بإيمان. فإن كانت تلك المعرفة من جهة الرؤية إيماناً؛ فالمعرفة التي في دار الدنيا من جهة الإكتساب ليست بإيمان، لأنّها ضدّ، فلا يكون في الدنيا مؤمن، لأنّهم لم يروا عزّ ذكره، وإن لم تكن تلك المعرفة التي من جهة الرؤية إيماناً؛ لم تخل هذه المعرفة التي من جهة الإكتساب أن تزول، ولا تزول في المعاد. فهذا دليل أنّ الله عزّ وجلّ لا يُرى بالعين، إذ العين تؤدّي إلى ما

---

١. سورة النجم، الآية: ١١.

٢. سورة النجم، الآية: ١٨.

٣. سورة طه، الآية: ١١٠.

٤. أُصول الكافي: ج١ ص٩٥ باب في إبطال الرؤية، ح٢.

وصفناه.[١]

وروي عن عبد العزيز بن المهتدي، قال: سألت الرضا‌عليه‌السلام عن التوحيد، فقال‌عليه‌السلام: كلّ من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[٢]، وآمن بها؛ فقد عرف التوحيد.

قلت: كيف يقرأها؟

قال‌عليه‌السلام: كما يقرؤها الناس، وزاد‌عليه‌السلام فيه: كذلك الله ربّي.[٣]

وروي عن أبي هشام الجعفري، قال: سألته‌عليه‌السلام عن الله: هل يوصف؟

فقال‌عليه‌السلام: أما تقرأ القرآن؟

قلت: بلى.

قال‌عليه‌السلام: أما تقرأ قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾[٤].

قلت: بلى.

قال‌عليه‌السلام: فتعرفون الأبصار؟

قلت: بلى.

قال‌عليه‌السلام: ما هي؟

قلت: إبصار العيون.

فقال‌عليه‌السلام: إن أوهام العقول أكبر من أبصار العيون، فهو لا تدركه الأوهام، وهو يدرك الأوهام.[٥]

---

١. الكافي للكليني: ج١ ص٩٦ باب النسبة، ح٣، والتوحيد للصدوق: ص١٠٩ ب٨ ح٨.

٢. سورة الإخلاص، الآية: ١.

٣. التوحيد للصدوق: ص٢٨٤ ب٣٩ ح٣.

٤. سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

٥. الكافي: ج١ ص٩٨ باب في إبطال الرؤية، ح١٠.

وروي عن إبراهيم بن محمد الخزّاز، ومحمد بن الحسن، قالا: دخلنا على أبي الحسن الرضا عليه السلام فحكينا له: إنّ محمداً صلى الله عليه وآله رأى ربّه في صورة الشاب الموفّق في سنّ أبناء ثلاثين سنة... فخرّ عليه السلام ساجداً لله، ثم قال عليه السلام: سبحانك، ما عرفوك، ولا وحدوك، فمن أجل ذلك وصفوك. سبحانك، لو عرفوك، لوصفوك بما وصفت به نفسك. سبحانك، كيف طاوعتهم أنفسهم أن يُشبّهوك بغيرك؟

اللهمّ، لا أصفك إلا بما وصفت به نفسك، ولا أُشبّهك بخلقك، أنت أهل لكلّ خير، فلا تجعلني من القوم الظالمين.

ثمّ التفت إلينا، فقال عليه السلام: ما توهمّتم من شيء، فتوّهموا الله غيره.

ثمّ قال عليه السلام: نحن آل محمد عليهم السلام النمط الأوسط[1] الذي لا يَدركنا الغالي، ولا يَسبقنا التالي. يا محمد، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حين نظر إلى عظمة ربّه كان صلى الله عليه وآله في هيئة الشاب الموفّق، وسنّ أبناء ثلاثين سنة؟! يا محمد، عظم ربّي أن يكون في صفة المخلوقين.

قال: قلت: جُعلت فداك، من كانت رجلاه في خضرة!؟

قال عليه السلام: ذاك محمد صلى الله عليه وآله كان إذا نظر إلى ربّه بقلبه جعله في نور مثل نور الحُجُب حتّى يستبين له ما في الحُجُب. إنّ نور الله منه أخضر، ومنه أحمر، وغير ذلك. يا محمد، ما شهد له الكتاب والسنّة فنحن القائلون به.[2]

وروي عن محمد بن سنان، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام: هل كان الله عزّ وجلّ عارفاً بنفسه قبل أن يخلق الخلق؟

قال عليه السلام: نعم.

---

١. النمط ـ بالتحريك ـ : الطريقة والنوع من الشيء، والجماعة من الناس.

٢. أُصول الكافي: ج١ ص١٠٠ باب النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه تعالى، ح٣.

قلت: يراها، ويسمعها.

قال عليه السلام: ما كان محتاجاً إلى ذلك، لأنّه لم يكن يسألها، ولا يطلب منها، هو نفسه ونفسه هو، قدرته نافذة فليس يحتاج أن يُسمّي نفسه، ولكنّه اختار لنفسه أسماءً لغيره يدعوه بها، لأنّه إذا لم يُدع باسمه لم يُعرف، فأوّل ما اختار لنفسه {الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} لأنّه أعلى الأسماء كلّها؛ فمعناه {اللَّهَ}. واسمه {الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} هو أوّل أسمائه علا على كلّ شيء.[١]

وروي عن الفتح بن يزيد الجرجاني، قال: سمعته عليه السلام يقول:

وهو اللطيف الخبير، السميع البصير، الواحد الأحد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. لو كان كما يقول المشبّهة لم يعرف الخالق من المخلوق، ولا المنشئ من المنشأ لكن المنشئ فرق بين من جسّمه وصوّره وأنشأه، إذ كان لا يشبهه شيء، ولا يشبه هو شيئاً.

قال: قلت: أجل جعلني الله فداك، لكنك قلت: الأحد الصمد، وقلت: لا يشبهه شيء، والله واحد والإنسان واحد، ليس قد تشابهت الوحدانية؟

قال عليه السلام: يا فتح أحلت ثبّتك الله، إنما التشبيه في المعاني، فأما في الأسماء فهي واحدة، وهي دالة على المسمى، وذلك أن الإنسان وإن قيل: واحد، فإنّه يخبر أنّه جثة واحدة، وليس باثنين، والإنسان نفسه ليس بواحد، لأنّ أعضاءه مختلفة وألوانه مختلفة، ومن ألوانه مختلفة غير واحد، وهو أجزاء مجزأة، ليست بسواء، دمه غير لحمه، ولحمه غير دمه، وعصبه غير عروقه، وشعره غير بشره، وسواده غير بياضه، وكذلك سائر جميع الخلق، فالإنسان واحد في الإسم، ولا

---

١. الكافي: ج١ ص١١٣ باب حدوث الأسماء، ح٢، ومعاني الأخبار للصدوق: ص٢ باب معنى الإسم، ح٢.

واحد في المعنى، والله جل جلاله هو واحد ولا واحد غيره، ولا اختلاف فيه ولا تفاوت، ولا زيادة ولا نقصان، فأمّا الإنسان المخلوق المصنوع المؤلف من أجزاء مختلفة وجوهر شيى، غير أنّه بالاجتماع شيء واحد.

قال: قلت: جعلت فداك فرّجت عني فرّج الله عنك، فقولك: اللطيف الخبير، فسّره لي كما فسّرت الواحد، فإني أعلم أن لطفه على خلاف خلقه للفصل، غير أني أحبّ أن تشرح ذلك لي.

فقال عليه السلام: يا فتح إنما قلنا: اللطيف، للخلق اللطيف، لعلمه بالشيء اللطيف، أولا ترى وفّقك الله وثبتك إلى أثر صنعه في النبات اللطيف وغير اللطيف، ومن الخلق اللطيف، ومن الحيوان الصغار، ومن البعوض والجرجس، وما هو أصغر مما لا يكاد تستبينه العيون، بل لا يكاد يستبان لصغره الذكر من الأنثى، والحدث المولود من القديم، فلما رأينا صغر ذلك في لطفه واهتدائه للسفاد، والهرب من الموت، والجمع لما يصلحه، وما في لجج البحار، وما في لحاء الأشجار، والمفاوز، والقفار، وإفهام بعضها عن بعض منطقها، وما يفهم به أولادها عنها، ونقلها الغذاء إليها، ثم تأليف ألوانها، حمرة مع صفرة، وبياض مع حمرة، وإنه ما لا تكاد عيوننا تستبينه لدمامة خلقها، لا تراه عيوننا، ولا تلمسه أيدينا علمنا أن خالق هذا الخلق لطيف، لطف بخلق ما سمّيناه بلا علاج، ولا أداة ولا آلة، وإن كل صانع شيئاً فمن شيء صنع، والله الخالق اللطيف الجليل خلق وصنع لا من شيء.[1]

وروي عن علي بن محمد ـ مرسلاً ـ عنه عليه السلام قال:

اعلم علّمك الله الخير، إنّ الله تبارك وتعالى قديم، والقِدَم صفته التي دلّت

---

١. أُصول الكافي: ج١ ص١١٨ باب الفرق ما بين المعاني التي تحت أسماء الله وأسماء المخلوقين، ح١.

العاقل على أنّه لا شيء قبله، ولا شيء مع الله في بقائه، وبطل قول من زعم: إنّه كان قبله، أو كان معه شيء. وذلك أنّه لو كان معه شيء في بقائه لم يجز أن يكون خالقاً له؛ لأنّه لم يزل معه، فكيف يكون ذلك خالقاً لمن لم يزل معه.

ولو كان قبله شيء؛ كان الأوّل ذلك الشيء، لا هذا؛ وكان الأوّل أولى بأن يكون خالقاً للثاني.

ثمّ وصف نفسه تبارك وتعالى بأسماء دعا الخلق إذ خلقهم، وتعبّدهم، وابتلاهم إلى أن يدعوه بها، فسمّى نفسه: سميعاً، بصيراً، قادراً، قائماً، ناطقاً، ظاهراً، باطناً، لطيفاً، خبيراً، قويّاً، عزيزاً، حكيماً، عليماً، وما أشبه هذه الأسماء.

فلمّا رأى ذلك من أسمائه القالون المكذّبون، وقد سمعونا نُحدّث عن الله: إنّه لا شيء مثله، ولا شيء من الخلق في حاله. قالوا: أخبرونا ـ إذا زعمتم: إنّه لا مثل لله، ولا شبه له ـ كيف شاركتموه في أسمائه الحسنى؛ فتسمّيتم بجميعها!؟ فإنّ في ذلك دليل على أنّكم مثله في حالاته كلّها، أو في بعضها دون بعض؛ إذ جمعتم الأسماء الطيّبة.

قيل لهم: إنّ الله تبارك وتعالى ألزم العباد أسماءً من أسمائه على اختلاف المعاني، وذلك كما يجمع الإسم الواحد معنيين مختلفين، والدليل على ذلك قول الناس الجائز عندهم الشايع، وهو الذي خاطب الله به الخلق فكلّمهم بما يعقلون، ليكون عليهم حجّة في تضييع ما ضيّعوه، فقد يُقال للرجل: «كلب» و«حمار» و«ثور» و«سكّرة» و«علقمة» و«أسد» كلّ ذلك على خلافه وحالاته، لم تقع الأسامي على معانيها التي كانت بُنيت عليه، لأنّ الإنسان ليس بأسد، ولا كلب.

وإنّما سمّي الله تعالى بـ«العالم» بغير علم حادث علّم به الأشياء، واستعان به على حفظ ما يستقبل من أمره، والروية فيما يخلق من خلقه، ويفسد ما مضى

ممّا أفنى من خلقه ممّا لو لم يحضره ذلك العلم وبغيبه كان جاهلاً ضعيفاً، كما أنا لو رأينا علماء الخلق إنّما سُمّوا بـ«العلم» لعلم حادث، إذا كانوا فيه جهلة، وربّما فارقهم العلم بالأشياء، فادّوا إلى الجهل. وإنّما سمّي الله: «عالماً» لأنّه لا يجهل شيئاً، فقد جمع الخالق والمخلوق اسم العالم، واختلف المعنى على ما رأيت.

وسمّي ربّنا «سميعاً» لا بخَرت فيه يسمع به الصوت، ولا يبصر به، كما أنّ خرتنا الذي به نسمع لا نقوى به على البصر، ولكنّه أخبر: إنّه لا يخفى عليه شيء من الأصوات. ليس على حدّ ما سُمّينا نحن. فقد جمعنا الإسم بالسمع، واختلف المعنى. وهكذا البصر، لا بخَرت منه أبصر، كما إنّا نبصر بخَرت منّا لا ننتفع به في غيره، ولكنّ الله بصير، لا يحتمل شخصاً منظوراً إليه. فقد جمعنا الإسم، واختلف المعنى.

وهو ـ سبحانه ـ «قائم» ليس على معنى انتصاب، وقيام على ساق في كبد[1]، كما قامت الأشياء، ولكن يُخبر: إنّه حافظ. كقول الرجل: القائم بأمرنا فلان. والله هو القائم على كلّ نفس بما كسبت، و«القائم» أيضاً في كلام الناس: الباقي.

و«القائم» أيضاً يُخبر عن الكفاية، كقولك للرجل: قُمّ بأمر بني فلان. أي، أكفهم. والقائم منّا قائم على ساق. فقد جمعنا الإسم، ولم نجمع المعنى.

وأمّا «اللطيف» فليس على قلّة، وقضافة[2]، وصغر، ولكن ذلك على النفاذ في الأشياء، والامتناع من أن يدرك، كقولك للرجل: لطف عنّي هذا الأمر، ولطف فلان في مذهبه، وقوله ـ هذا ـ يخبرك أنّه غمض فيه العقل، وفات الطلب،

---

١. الكبد: المشقة، والتعب.

٢. القضافة: الدقّة، والنحافة.

وعاد متعمّقاً متلطّفاً، لا يدركه الوهم، فكذلك لطف الله تبارك وتعالى عن أن يُدرك بحدّ أو يُحدّ بوصف، واللطافة منّا الصغر، والقلّة. فقد جمعنا الإسم، واختلف المعنى.

وأمّا «الخبير» فالذي لا يعزب عنه شيء، ولا يفوته، ليس للتجربة، ولا للإعتبار بالأشياء. فعند التجربة والإعتبار علمان، ولولاهما ما عُلم، لأنّ من كان كذلك كان جاهلاً، والله لم يزل خبيراً بما يخلق، والخبير من الناس المستخبر عن جهل المتعلّم. فقد جمعنا الإسم، واختلف المعنى.

و«الظاهر» فليس من أجل أنّه علا الأشياء بركوب فوقها، وقعود عليها، وتسنّم لذراها، ولكن ذلك لقهره، ولغلبته الأشياء، وقدرته عليها، كقول الرجل: ظهرت على أعدائي، وأظهرني الله على خصمي. يُخبر عن الفلج، والغلبة. فهكذا ظهور الله على الأشياء.

ووجه آخر: إنّه الظاهر لمن أراده، ولا يخفى عليه شيء، وإنّه مدبّر لكلّ ما برأ. فأي ظاهر أظهر، وأوضح من الله تبارك وتعالى، لأنّك لا تعدم صنعته، حيثما توجّهت، وفيك من آثاره ما يغنيك، والظاهر من البارز بنفسه، والمعلوم بحدّه. فقد جمعنا الإسم، ولم يجمعنا المعنى.

وأمّا «الباطن» فليس على معنى الإستبطان للأشياء بأن يغور فيها، ولكن ذلك منّا على استبطان للأشياء علماً، وحفظاً، وتدبيراً، كقول القائل: أبطنته. يعني، خبرته، وعلمت مكتوم سرّه. والباطن منّا الغائب في الشيء المستتر، وقد جمعنا الإسم، واختلف المعنى.

وأمّا «القاهر» فليس على معنى علاج، ونصب، واحتيال، ومداراة، ومكر، كما يقهر العباد بعضهم بعضاً. والمقهور منهم يعود قاهراً، والقاهر يعود مقهوراً، ولكن ذلك من الله تبارك وتعالى على أنّ جميع ما خلق ملبّس به الذلّ لفاعله،

وقلة الإمتناع لما أراد به، لم يخرج منه طرفة عين أن يقول له: «كن فيكون» والقاهر منّا على ما ذكرت، ووصفت. فقد جمعنا الإسم، واختلف المعنى.

وهكذا جميع الأسماء وإن كنّا لم نستجمعها كلّها، فقد يكتفي الإعتبار بما ألقينا إليك. والله عونك، وعوننا في إرشادنا، وتوفيقنا.[1]

في العرش والكرسي

روي عن صفوان بن يحيى، قال: سألني أبو قرّة المحدّث أن أُدخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام، فاستأذنته فأذن لي، فدخل، فسأله عن الحلال والحرام، ثمّ قال له: أفتُقرّ أنّ الله محمول؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: كلّ محمول مفعول به، مضاف إلى غيره، محتاج. والمحمول اسم نقص في اللفظ، والحامل فاعل، وهو في اللفظ مدحته، وكذلك قول القائل: فوق، وتحت، وأعلى، وأسفل. وقد قال الله: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[2]، ولم يقل في كتابه: إنّه المحمول، بل قال: إنّه الحامل في البرّ والبحر، و﴿يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾[3]. والمحمول ما سوى الله، ولم يسمع أحد آمن بالله وعظمته قطّ قال في دعائه: يا محمول.

قال أبو قرّة: فإنّه قال: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[4]، وقال: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾[5].

---

١. أُصول الكافي: ج١ ص١٢٠ باب الفرق ما بين المعاني التي تحت أسماء الله وأسماء المخلوقين، ح٢.

٢. سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

٣. سورة فاطر، الآية: ٤١.

٤. سورة الحاقة، الآية: ١٧.

٥. سورة غافر، الآية: ٧.

فقال أبو الحسنعليه السلام: العرش ليس هو الله، والعرش اسم علم وقدرة، وعرش فيه كلّ شيء، ثمّ أضاف الحمل إلى غيره، خلق من خلقه، لأنّه استعبد خلقه بحمل عرشه، وهم حملة علمه، وخلقاً يُسبّحون حول عرشه، وهم يعملون بعلمه، وملائكة يكتبون أعمال عباده. واستعبد أهل الأرض بالطواف حول بيته ـ الكعبة ـ والله على العرش استوى، كما قال سبحانه وتعالى.

العرش، ومن يحمله، ومن حول العرش، والله الحامل لهم، الحافظ لهم، الممسك، القائم على كلّ نفس، وفوق كلّ شيء، وعلى كلّ شيء، ولا يُقال: محمول، ولا: أسفل، قولاً مفرداً لا يوصل بشيء فيفسد اللفظ والمعنى.

قال أبو قرّة: فتُكذّب بالرواية التي جاءت: إنّ الله إذا غضب إنّما يُعرف غضبه أنّ الملائكة الذين يحملون العرش يجدون ثقله على كواهلهم، فيخرّون سجداً، فإذا ذهب الغضب خفّ ورجعوا إلى مواقفهم؟

فقال أبو الحسنعليه السلام: أخبرني عن الله تبارك وتعالى منذ لعن إبليس إلى يومك هذا هو غضبان عليه، فمتى رضي!؟ وهو في صفتك ـ أي، وصفك ـ لم يزل غضبان عليه، وعلى أوليائه، وعلى أتباعه. كيف تجترئ أن تصف ربّك بالتغيير من حال إلى حال، وأنّه يجري عليه ما يجري على المخلوقين؟! سبحانه وتعالى، لم يزل مع الزائلين، ولم يتغيّر مع المتغيّرين ولم يتبدل مع المتبدلين، ومن دونه في يده وتدبيره، وكلّهم إليه محتاج، وهو غني عمّن سواه.[١]

في المشيئة

روي عن الفتح بن يزيد الجرجاني، عنهعليه السلام، قال:

---

١. أصول الكافي: ج١ ص١٣٠، باب العرش والكرسي، ح٢.

إنّ لله إرادتين ومشيئتين: إرادة حتم، وإرادة عزم، ينهى وهو يشاء، ويأمر وهو لا يشاء، أو ما رأيت أنّه نهى آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة، وشاء ذلك. ولو لم يشأ أن يأكلا لما غلبت مشيئتهما مشيئته تعالى؟ وأمر إبراهيم أن يذبح إسحاق[1]، ولم يشأ أن يذبحه، ولو شاء لما غلبت مشيئة إبراهيم مشيئة الله تعالى.[2]

في القضاء

روي عن يونس بن عبد الرحمن، قال: قال لي أبو الحسن الرضا عليه السلام:

يا يونس، لا تقل بقول القدريّة، فإنّ القدريّة لم يقولوا بقول أهل الجنّة، ولا

---

١. قال الشيخ الطبرسي: واختلف العلماء في الذبيح على قولين: أحدهما: إنّه إسحاق. وروي ذلك عن علي عليه السلام، وابن مسعود، وقتادة، وسعيد بن جبير، ومسروق، وعكرمة، وعطا، والزهري، والسدّي، والجبائي. والقول الآخر: إنّه إسماعيل. عن ابن عباس، وابن عمر، وسعيد بن المسيّب، والحسن، والشعبي، ومجاهد، والربيع بن أنس، والكلبي، ومحمد بن كعب القرظي.
وكلا القولين قد رواه أصحابنا عن أئمّتنا عليهم السلام. إلا أن الأظهر في الروايات: إنّه إسماعيل. .. وقد صحّ عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «أنا ابن الذبيحين». ولا خلاف أنّه صلى الله عليه وآله من ولد إسماعيل، والذبح الآخر هو: عبد الله؛ أبوه صلى الله عليه وآله. راجع تفسير مجمع البيان: ج ٨ ص٣٢٢، مورد تفسير سورة الصافّات، الآية: ١٠٢ـ١٠٧.

٢. الكافي: ج١ ص١٥١ باب المشيئة والإرادة، ح٤.
قال العلامة المجلسي في مرآته: قال الصدوق: في كتاب التوحيد بعد إيراد هذا الخبر:
إنّ الله تعالى نهى آدم وزوجته عن أن يأكلا من الشجرة، وقد علم أنّهما يأكلان منها، لكنّه عزّ وجلّ شاء أن لا يحول بينهما وبين الأكل منها بالجبر والقدرة، كما منعهما من الأكل منها بالنهي والزجر. فهذا معنى مشيّته فيهما، ولو شاء عزّ وجلّ منعهما من الأكل بالجبر ثمّ أكلا منها لكان مشيتهما قد غلبت مشيّة الله تعالى عن العجز علواً كبيراً. انتهى. «التوحيد: ص٦٤، بيانه في معنى الإرادتين».
والمراد بـ«إرادة الحتم»: الإرادة المستجمعة لشرائط التأثير، المنجّزة إلى الإيجاب والإيجاد. وكذا المشيّة.
والمراد بـ«إرادة العزم»: الإرادة المنتهية إلى طلب المراد، والأمر والنهي. مرآة العقول: ج٢ ص١٦١.

بقول أهل النار، ولا بقول إبليس.

فإنّ أهل الجنّة قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾[١]، وقال أهل النار: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾[٢]، وقال إبليس: ﴿ربّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾[٣].

قال يونس: فقلت: والله، ما أقول بقولهم، ولكنّي أقول: لا يكون إلا بما شاء الله، وأراد، وقدّر، وقضى.

فقال عليه السلام: يا يونس، ليس هكذا لا يكون إلا ما شاء الله، وأراد، وقدّر، وقضى؛ يا يونس، تعلم ما المشيئة؟

قلت: لا.

قال عليه السلام: هي الذكر الأول، فتعلم ما الإرادة؟

قلت: لا.

قال عليه السلام: هي العزيمة على ما يشاء، فتعلم ما القدر؟

قلت: لا.

قال عليه السلام: هي الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء، قال: ثمّ قال عليه السلام: والقضاء هو الإبرام وإقامة العين.

قال: فاستأذنته أن أقبّل رأسه عليه السلام، وقلت: فتحت لي شيئاً كنت عنه في غفلة.[٤]

---

١. سورة الأعراف، الآية: ٤٣.

٢. سورة المؤمنون، الآية: ١٠٦.

٣. سورة حجر، الآية: ٣٩.

٤. أصول الكافي: ج١ ص٥٧ باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين، ح٤.

في الجبر والتفويض

روي عن بُريد بن عمير بن معاوية الشامي، قال: دخلت على علي بن موسى الرضا عليه السلام بمرو، فقلت له: يا بن رسول الله، روي لنا عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام، قال: إنّه لا جبر، ولا تفويض، بل أمر بين أمرين. فما معناه؟

قال عليه السلام: مَن زعم: أنّ الله يفعل أفعالنا، ثمّ يُعذّبنا عليها. فقد قال بـ: الجبر. ومَن زعم: أنّ الله عز وجل فوّض أمر الخلق، والرزق الى حُججه عليهم السلام. فقد قال بـ: التفويض. والقائل بـ«الجبر» كافر، والقائل بـ«التفويض» مشرك.

فقلت له: يا بن رسول الله، فما أمر بين أمرين؟

فقال عليه السلام: وجود السبيل إلى إتيان ما أُمروا به، وترك ما نُهوا عنه.

فقلت له: فهل لله عز وجل مشية، وإرادة في ذلك؟

فقال عليه السلام: فأمّا الطاعات؛ فإرادة الله. ومشيته فيها؛ الأمر بها، والرضا لها، والمعاونة عليها. وإرادته، ومشيته في المعاصي، النهي عنها، والسخط لها، والخذلان عليها.

قلت: فهل لله فيها القضاء؟

قال عليه السلام: نعم، ما من فعل يفعله العباد من خير أو شرّ إلا ولله فيه قضاء.

قلت: ما معنى هذا القضاء؟

قال عليه السلام: الحكم عليهم بما يستحقّونه على أفعالهم من الثواب، والعقاب في الدنيا والآخره.[١]

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق: ج١ ص١١٤ ح١٧.

قال العلامة المجلسي في مرآته: إعلم أنّ مسألة خلق الأعمال من أعظم المسائل الإسلامية، وأصعبها، وأهمّها. وقد جرى بين الإماميّة، والمعتزلة، والأشاعرة في ذلك مناقشات طويلة، ومباحثات كثيرة،

والمتحصّل من مذاهبهم: إنّ أفعال العباد دائرة بحسّ الإحتمال العقلي بين أمور:

١. أن يكون حصولها بقدرة الله وإرادته، من غير مدخل لقدرة العبد فيه وإرادته.

٢. أن يكون بقدرة العبد وإرادته، من غير مدخل لقدرة الله تعالى وإرادته فيه. أي، بلا واسطة. إذ لا ينكر عاقل أنّ الإقدار، والتمكين مستندان إليه تعالى إمّا ابتداءً أو بواسطة.

٣. أن يكون حصولها بمجموع القدرتين؛ وذلك بأن يكون المؤثّر قدرة الله بواسطة قدرة العبد، أو بالعكس، أو يكون المؤثّر مجموعهما من غير تخصّص إحداهما بالمؤثّريّة، والأُخرى بالآلية.

وذهب إلى كلّ من الإحتمالات ما خلا الإحتمال الثاني من محتملات الشقّ الثالث، طائفة.

أمّا الأوّل، ففيه قولان:

الأوّل: مذهب الجبريّة البحتة. وهم: جهم بن صفوان، وأتباعه. حيث ذهبوا إلى أنّ الفعل من الله سبحانه بلا تأثير لإرادة العبد وقدرته فيه، ولا كسب، بل لا فرق عندهم بين مشي زيد حركة المرتعش، ولا بين الصاعد إلى السطح، والساقط منه.

والثاني: مذهب أبي الحسن الأشعري، وأتباعه. فإنّهم لمّا رأوا شناعة قول الجهمية، فرّوا منه بما لا ينفعهم، وقالوا: أفعال العباد الإختيارية؛ واقعة بقدرة الله وحده، وليس لقدرتهم تأثير فيه، بل الله سبحانه أجرى عادته بأنّه يوجد في العبد قدرة واختياراً، فإذا لم يكن هناك مانع؛ أوجد فيه فعله المقدور مقارناً لهما.

فيكون فعل العبد مخلوقاً لله إبداعاً وإحداثاً، ومكسوباً للعبد. والمُراد بكسبه إيّاه: مقارنته لقدرته، وإرادته من غير أن يكون هناك منه تأثير أو مدخل في وجوده كونه محلاً له.

وقالوا: نسبة الفعل إلى العبد باعتبار قيامه به، لا باعتبار إيجاده له. فالقائم، والآكل، والشارب عندهم بمنزلة الأسود، والأبيض.

والثالث: وهو استقلال العبد في الفعل مذهب أكثر الإمامية، والمعتزلة. فإنّهم ذهبوا إلى أنّ العباد موجدون لأفعالهم، مخترعون لها بقدرتهم. لكنّ أكثر المعتزلة قائلون بـ: وجوب الفعل، بل يصير أولى. قال المحقّق الطوسي ـ خواجة نصير الدين ـ: ذهب مشايخ المعتزلة، وأبو الحسن البصري، وإمام الحرمين من أهل السنّة: إلى أنّ العبد له قدرة قبل الفعل، والإرادة بها تتمّ مؤثّريته، فيصدر عنه الفعل. فيكون العبد مختاراً إذ كان فعله بقدرته الصالحة للفعل والترك، وتبعاً لداعيه الذي هو إرادته. والفعل يكون بالقياس إلى القدرة وحدها ممكناً، وبالقياس إليها مع الإرادة يصير واجباً.

وقال المحمود الملاحمي، وغيره من المعتزلة: إنّ الفعل عند وجود القوّة والإرادة يصير أولى بالوجود. حذراً من أن يلزمهم القول بـ: الجبر لو قالوا بـ: الوجوب. وليس ذلك بشيء، لأنّ مع حصول الأولويّة إن جاز له الطرف الآخر لما كانت الأولويّة بأولويّة، وإن لم يجز فهو الواجب، وإنّما غيّروا اللفظ دون

المعنى. انتهى.

واختلف في نسبة احتمالي الشقّ الثالث وتحقيقهما، ففي المواقف وشرحه: أفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة الله تعالى وحدها، وقالت المعتزلة: بقدرة العبد وحدها على سبيل الإستقلال بلا إيجاب، بل باختيار. وقالت طائفة: بالقدرتين. ثمّ اختلفوا، فقال الأُستاذ ـ أبو إسحاق الإسفرائيني ـ : بمجموع القدرتين على أن تتعلّقا جميعاً بالفعل نفسه. وجوّز اجتماع المؤثرين على أثر واحد، وقال القاضي ـ الباقلاني ـ : على أن تتعلّق قدرة الله بأصل الفعل، وقدرة العبد بصفته. أعني، كونه طاعة ومعصية، وإلى غير ذلك من الأوصاف التي لا يوصف بها أفعاله تعالى، كما في لطم اليتيم تأديباً أو إيذاءً، فإنّ ذات اللطم واقعة بقدرة الله وتأثيره، وكونه طاعة على الأول، ومعصية على الثاني بقدرة العبد وتأثيره.

وقالت الحكماء، وإمام الحرمين: هي واقعة على سبيل الوجوب، وامتناع التخلّف بقدرة يخلقها الله في العبد إذا قارنت حصول الشرائط وارتفاع الموانع، والضابط في هذا المقام: إنّ المؤثّر إمّا قدرة الله، أو قدرة العبد على الإنفراد، كمذهبي الأشعري، وجمهور المعتزلة. أو هما معاً، وذلك إمّا مع اتحاد المتعلّقين كمذهب الأستاذ منا، والنّجار من المعتزلة، أو دونه، وحينئذ فإمّا مع كون إحداهما متعلّق للأُخرى، ولا شبهة في أنّه ليس قدرة الله متعلّقة لقدرة العبد إذ يستحيل تأثير الحادث في القديم، فتعيّن العكس؛ وهو أن تكون قدرة العبد صادرة عن قدرة الله، وموجبة للفعل، وهو قول الإمام، والفلاسفة، وإمّا بدون ذلك، وهو مذهب القاضي، لأنّ المفروض عدم اتّخاذ المتعلّقين«إنتهى». ..

إذا عرفت هذه المذاهب، فاعلم أنّ تأثير قدرة العبد وإرادته في الأفعال الإختياريّة من أجلى البديهيات. وسخافة مذاهب الأشاعرة، ومن يحذوا حذوهم لا يحتاج إلى بيان. ..

قال العلامة الحلّي: الإمامية قسّموا الأفعال إلى: ما يتعلّق بقصودنا، ودواعينا، وإرادتنا، واختيارنا بحركتنا الإختياريّة الصادرة عنّا، كالحركة يمنة، ويسرة. وإلى ما لا يتعلّق بقصودنا، ودواعينا، وإرادتنا، واختيارنا، كالآثار التي فعلها الله تعالى من الألوان، وحركة النمو، والتغذية، والنبض، وغير ذلك. وهو مذهب الحكماء. والحقّ أنّا نعلم بالضرورة أنّا فاعلون، يدلّ عليه العقل، والنقل. أمّا العقل؛ فإنّا نعلم بالضرورة الفرق بين حركتنا الإختياريّة، والإضطراريّة، وحركة الجماد. ونعلم بالضرورة قدرتنا على الحركة الأولى، كحركتنا يمنة، ويسرة، وعجزنا عن الثانية، كحركتنا إلى السماء، وحركة الواقع من شاهق، وانتفاء قدرة الجماد. ومن أسند الأفعال إلى الله تعالى ينفي الفرق بينهما، ويحكم بنفي ما قضت الضرورة بثبوته.

وقال أبو الهزيل العلاّف ـ ونعم ما قال ـ : حمار بِشر أعقل من بِشر؛ فإنّ حمار بِشر لو أتيت به إلى جدول صغير، وضربته للعبور فإنّه يطفر، ولو أتيت به إلى جدول كبير وضربته، فإنّه لا يطفر، ويروغ عنه؛ لأنّه

فرّق بين ما يقدر عليه، وبين ما لا يقدر عليه، وبشر لا يفرّق بين المقدور له، وغير المقدور له. إنتهى.

وإذا كان الحكم ضرورياً فالشبه الموردة في مقابلة ذلك لا يُصغى إليها وإن كانت قويّة. وكثير من أحوال الإنسان وأُموره إذا أمعن النظر فيها يصل إلى حدّ يتحيّر العقل فيها، كحقيقة النفس، وكيفية الإبصار، مع كونهما أقرب الأشياء إليه لا يمكنه الوصول إلى حقيقة ذلك، وينتهي التفكير فيها إلى حدّ التحيّر، وليس ذلك سبباً لأن ينفي وجودهما، وتحقّقهما فيه. ..

ثمّ إعلم أنّ الحقّ أنّ المعتزلة أيضاً خرجوا من الحقّ للإفراط من الجانب الآخر؛ فإنّهم يذهبون إلى أنّه تعالى لا مدخلية له في أعمال العباد أصلاً سوى خلق الآلات، والتمكين، والأقدار. حتّى أنّ بعض المعتزلة قالوا: إنّ الله لا يقدر على عين مقدور العبد. وبعضهم قالوا: لا يقدر على مثله أيضاً. فهم عزلوا الله سبحانه وتعالى عن سلطانه، وكأنّهم أخرجوا الله سبحانه وتعالى عن ملكه، وأشركوا من حيث لا يعلمون. والأخبار الواردة التي تنفي مذهب هؤلاء أكثر من الأخبار الدالّة على ذمّ الجبريّة، ونفي مذهبهم. وفي أكثر الأخبار أُطلقت القدريّة عليهم ـ كما عرفنا ـ كما وأطلقوا عليهم: «المفوّضة».

فهم ـ يعني، أهل البيت‰ ـ نفوا، وأبطلوا الجبر والتفويض معاً، وأثبتوا «الأمر بين الأمرين» وهو أمر غامض، ودقيق. وللناس في تحقيق ذلك مسالك:

الأوّل: ما ذكره الشيخ الأجلّ المفيد حيث قال في تحقيق «الأمر بين الأمرين»:

الجبر: هو الحمل على الفعل، والإضطرار إليه بالقسر، والغلبة؛ وحقيقة ذلك إيجاد الفعل في الخلق من غير أن تكون له قدرة على دفعه، والإمتناع عن وجوده فيه. وقد يُعبّر عمّا يفعله الإنسان بالقدرة التي معه على وجه الإكراه له على التخويف، والإلجاء: إنّه جبر. والأصل فيه ما فعل من غير قدرة على امتناعه منه حسب ما قدّمناه. وإذا تحقّق القول في الجبر على ما وصفناه؛ كان مذهب أصحاب المخلوق هو بعينه، لأنّهم يزعمون: إنّ الله تعالى خلق في العبد الطاعة من غير أن يكون للعبد قدرة على ضدّها، والإمتناع منها. وخلق فيه المعصية كذلك. فهم المجبرة حقّاً، والجبر مذهبهم على التحقيق.

والتفويض: هو القول برفع الحظر عن الخلق في الأفعال، والإباحة لهم مع ما شاؤوا من الأعمال. وهذا قول الزنادقة، وأصحاب الإباحات. والواسطة بين القولين: إنّ الله قدرالخلق على أفعالهم، ومكّنهم من أعمالهم، وحدّ لهم الحدود في ذلك، ورسم لهم الرسوم، ونهاهم عن القبائح بالزجر، والتخويف، والوعد والوعيد، فلم يكن بتمكينهم من الأعمال مُجبراً لهم عليها، ولم يفوّض إليهم الأعمال، لمنعهم من أكثرها، ووضع الحدود لهم فيها، وأمرهم بحسنها، ونهاهم عن قبيحها، فهذا هو الفصل بين الجبر، والتفويض. إنتهى. ..

ما ظهر لنا من الأخبار المعتبرة المأثورة عن الصادقين‰، وهو: إنّ الجبر المنفي هو قول الأشاعرة، والجبريّة ـ كما عرفت ـ والتفويض المنفي هو قول المعتزلة: إنّه تعالى أوجد العباد، وأقدرهم على

في الإمامة

روي عن عبد العزيز بن مسلم، قال: كنّا في أيّام علي بن موسى الرضا عليه السلام بمرو، فاجتمعنا في جامعها في يوم جمعة في بدو قدومنا، فأدار الناس أمر الإمامة، وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها.

فدخلت على سيّدي، ومولاي الرضا عليه السلام فأعلمته ما خاض الناس فيه.

فتبسّم عليه السلام ثمّ قال: يا عبد العزيز، جهل القوم، وخُدعوا عن أديانهم، إنّ الله تبارك وتعالى لم يقبض نبيّه صلى الله عليه وآله حتّى أكمل له الدين، وأنزل عليه القرآن فيه تفصيل كلّ شيء، بيّن فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وجميع ما يُحتاج إليه كملاً، فقال عزّ وجلّ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[1].

وأنزل في حجّة الوداع، وهو آخر عمره صلى الله عليه وآله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ

أعمالهم، وفوّض إليهم الإختيار، فهم مستقلّون بإيجادها على وفق مشيّتهم وقدرتهم، وليس لله سبحانه في أعمالهم صنع.

وأمّا الأمر بين الأمرين: فهو إن لهداياته وتوفيقاته عزّ وجلّ مدخلاً في أفعالهم بحيث لا يصل إلى حدّ الإلجاء والإضطرار، كما أنّ لخذلانه سبحانه مدخلاً في فعل المعاصي وترك الطاعات، لكن لا بحيث ينتهي إلى حد لا يقدر معه على الفعل أو الترك، وهذا أمر يجده الإنسان من نفسه في أحواله المختلفة، وهو مثل أن يأمر السيّد عبده بشيء يقدر عليه، وفهّمه ذلك، ووعده على فعله شيئاً من الثواب، وعلى تركه قدراً من العقاب، فلو اكتفى من تكليف عبده بذلك، ولم يزد عليه مع علمه بأنّه لا يفعل الفعل بمحض ذلك، لم يكن لوماً عند العقلاء لو عاقبه على تركه، ولا يُنسب عندهم إلى الظلم؛ ولا يقول عاقل: إنّه أجبره على ترك الفعل. ولو لم يكتف السيّد بذلك وزاد في ألطافه، والوعد بإكرامه، والوعيد على تركه، وأكّد ذلك ببعث من يحثّه على الفعل، ويُرغبه فيه، ويُحذّره على الترك، ثمّ فعل ذلك الفعل بقدرته واختياره؛ فلا يقول عاقل: إنّه أجبره على الفعل. وأمّا فعل ذلك بالنسبة إلى قوم، وتركه بالنسبة إلى آخرين، فيرجع إلى حسن اختيارهم، وصفاء طويّتهم، أو سوء اختيارهم، وقُبح سريرتهم، أو إلى شئ لا يصل إليه علمنا. فالقول بهذا لا يوجب نسبة الظلم إليه سبحانه وتعالى. مرآة العقول: ج٢ ص١٩٥.

١. سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[١]. فأمر الإمامة من تمام الدين.

ولم يمضِ ﷺ حتّى بيّن لأُمّته معالم دينه، وأوضح لهم سبيله، وتركهم على قصد الحقّ، وأقام لهم عليّاً عليه السلام علماً، وإماماً. وما ترك شيئاً يحتاج إليه الأُمّة إلا بيّنه. فمن زعم أنّ الله عزّ وجلّ لم يُكمل دينه؛ فقد ردّ كتاب الله عزّ وجلّ، ومن ردّ كتاب الله؛ فهو كافر. هل تعرفون قدر الإمامة، ومحلّها من الأُمّة، فيجوز فيها اختيارهم؟!

إنّ الإمامة أجل قدراً، وأعظم شأناً، وأعلى مكاناً، وأمنع جانباً، وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، فيقيموها باختيارهم.

إنّ الإمامة خصّ الله عزّ وجلّ بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوّة، والخلّة، مرتبة ثالثة، وفضيلة شرّفه الله بها، فأشاد بها ذكره، فقال عزّ وجلّ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ فقال الخليل سروراً بها: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾. قال الله عزّ وجلّ: ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٢]. فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة، وصارت في الصفوة. ثمّ أكرمه الله عزّ وجلّ بأن جعل في ذريّته أهل الصفوة والطهارة، فقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ ۞ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاَةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[٣]، فلم تزل ـ الإمامة ـ في ذريّته يرثها بعض عن بعض، قرناً فقرناً حتّى ورثها النبي ﷺ، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤]. فكانت له خاصّة.

فقلّدها النبي ﷺ عليّاً عليه السلام بأمر الله على رسم ما فرض الله، فصارت في ذريّته

---

١. سورة المائدة، الآية: ٣.

٢. سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

٣. سورة الأنبياء، الآية: ٧٢ـ٧٣.

٤. سورة آل عمران، الآية: ٦٨.

الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان، بقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ﴾[1]. فهي في ولد علي عليه السلام خاصّة إلى يوم القيامة، إذ لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله فمن أين يختار هؤلاء الجهّال؟

إنّ الإمامة منزلة الأنبياء، وإرث الأوصياء. إنّ الإمامة خلافة الله عزّ وجلّ، وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله، ومقام أميرالمؤمنين عليه السلام. إنّ الإمامة رأس الإسلام النامي، وفرعه السامي؛ بالإمام تمام الصلاة، والزكاة، والصيام، والحجّ، والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثغور والأطراف.

الإمام يُحلّ حلال الله، ويُحرّم حرام الله، ويُقيم حدود الله، ويذبّ عن دين الله، ويدعو الى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، والحجّة البالغة.

الإمام كالشمس الطالعة للعالم وهي في الأفق بحيث لا تناله الأيدي والأبصار، والإمام البدر المنير، والسراج الزاهر، والنور الساطع، والنجم الهادي في غياهب الدجى، والبيداء القفار، ولجج البحار...

إلى أن قال عليه السلام: الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عدل، ولا يوجد له بديل، ولا له مثيل ولا نظير، مخصوص بالفضل كلّه من غير طلب منه ولا اكتساب، بل اختصاص من المتفضّل الوهّاب، فمن ذا يبلغ معرفة الإمام ويمكنه اختياره؟

هيهات هيهات! ضلّت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الألباب... فأين الإختيار من هذا، وأين العقول عن هذا، وأين يوجد مثل هذا؟!

ظنّوا أنّ ذلك يوجد في غير آل رسول الله صلى الله عليه وآله! كذّبتهم والله، أنفسهم، ومنّتهم الباطل، فارتقوا مرتقاً صعباً دحضاً، تزل عنه إلى الحضيض أقدامهم. راموا إقامة

---

١. سورة الروم، الآية: ٥٦.

الإمام بعقول حائرة بائرة ناقصة، وآراء مُضلّة، فلم يزدادوا منه إلا بعداً. قاتلهم الله فأنّى يؤفكون.

لقد راموا صعباً، وقالوا إفكاً، وضلّوا ضلالاً بعيداً، ووقعوا في الحيرة إذ تركوا الإمام من غير بصيرة، وزيّن لهم الشيطان أعمالهم، فصدّهم عن السبيل، وكانوا مستبصرين. رغبوا عن اختيار الله، واختيار رسوله ﷺ إلى اختيارهم، والقرآن يُناديهم: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[١]. وقال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[٢]. وقال ﷻ: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۞ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ۞ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ۞ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ۞ سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ۞ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾[٣]. وقال ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٤]. ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾[٥]. ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۞ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۞ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[٦]. ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾[٧]. ﴿فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[٨].

فكيف لهم باختيار الإمام؟! والإمام عالم لا يجهل، راع لا ينكل، معدن القدس

---

١. سورة القصص، الآية: ٦٨.

٢. سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

٣. سورة القلم، الآية: ٣٦ـ٤١.

٤. سورة محمد، الآية: ٢٤.

٥. سورة التوبة، الآية: ٨٧.

٦. سورة الأنفال، الآية: ٢١ـ٢٣.

٧. سورة البقرة، الآية: ٩٣.

٨. سورة الجمعة، الآية: ٤.

والطهارة، والنسك والزهادة، والعلم والعبادة، ومخصوص بدعوة الرسول صلى الله عليه وآله... لا مغمز فيه في النسب، ولا يُدانيه ذو حسب؛ في البيت من قريش، والذروة من هاشم، والعترة من آل الرسول صلى الله عليه وآله، والرضا من الله، شرف الأشراف، والفرع من عبد مناف، نامي العلم، كامل الحلم، مضطلع بالإمامة، عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر الله، ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله.

إنّ الأنبياء والأئمّة يوفّقهم الله، ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتيه غيرهم، فيكون علمهم فوق علم أهل زمانهم في قوله عزّ وجلّ:
﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1].
وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[2].

وقال عزّ وجلّ ـ في الأئمّة من عترة النبي عليه السلام ـ : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ۝ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾[3].

وإنّ العبد إذا اختاره الله لأمور عباده شرح صدره لذلك، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلم يعي بعده الجواب، ولا يحير فيه عن الصواب، وهو معصوم مؤيّد، موفّق مسدّد، قد آمن الخطايا، والزلل، والعثار، فخصّه الله بذلك ليكون حجّته على عباده، وشاهده على خلقه، و﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[4]، فهل يقدرون على مثل هذا فيختاروه، أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيُقدّموه.

---

١. سورة يونس، الآية: ٣٥.
٢. سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.
٣. سورة النساء، الآية: ٥٤ـ٥٥.
٤. سورة الجمعة، الآية: ٤.

تعدّوا بيت الله الحقّ، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، كأنّهم لا يعلمون، وفي كتاب الله: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾[١]. فذمّهم الله، ومقّتهم أنفسهم، فقال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٢]. وقال ﷻ: ﴿فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[٣]، وقال ﷻ: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[٤].[٥]

في الإصطفاء

روي عن الريان بن الصلت، قال: حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق وخراسان، فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[٦]. فقالت العلماء: أراد الله ﷻ بذلك الأمّة كلّها. فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟

فقال الرضا عليه السلام: لا أقول كما قالوا؛ ولكنّي أقول: أراد الله ﷻ بذلك العترة الطاهرة.

فقال المأمون: وكيف عنى العترة من دون الأُمّة!؟

فقال له الرضا عليه السلام: إنّه لو أراد الأُمّة لكانت أجمعها في الجنّة لقول الله ﷻ: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[٧] ثمّ

---

١. سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

٢. سورة القصص، الآية: ٥٠.

٣. سورة محمد، الآية: ٨.

٤. سورة المؤمن، الآية: ٣٥.

٥. الإحتجاج للطبرسي: ج٢ ص٤٣٣.

٦. سورة فاطر، الآية: ٣٢.

٧. سورة فاطر، الآية: ٣٢.

جمعهم كلّهم في الجنّة، فقال عزّ وجلّ: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾[1]. فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم. فقال المأمون: مَن العترة الطاهرة؟!

فقال الرضا عليه السلام: الذين وصفهم الله في كتابه، فقال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2]، وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي مُخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله. وعترتي أهل بيتي، إلا وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا علي الحوض. فانظروا كيف تُخلّفون فيهما أيّها الناس. لا تُعلّموهم، فإنّهم أعلم منكم.

قالت العلماء: أخبرنا يا أبا الحسن، عن العتره؛ أهم الآل أم غير الآل؟

فقال الرضا عليه السلام: هم الآل.

فقالت العلماء: فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله يؤثر عنه أنّه قال: أُمّتي آلي. وهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفاض الذي لا يمكن دفعه: آل محمد؛ أُمّته.

فقال أبو الحسن عليه السلام: أخبروني؛ فهل تحرم الصدقة على الآل؟!

فقالوا: نعم.

قال عليه السلام: فتحرم على الأُمّة؟!

قالوا: لا.

قال عليه السلام: هذا فرق بين الآل، والأُمّة. ويحكم! أين يُذهب بكم؛ أضربتم عن الذكر صفحاً أم أنتم قوم مسرفون؟! أما علمتم أنّه وقعت الوراثة والطهارة على المصطفين المهتدين دون سائرهم!؟

---

١. سورة فاطر، الآية: ٣٣.

٢. سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

قالوا: ومن أين يا أبا الحسن؟

فقال عليه السلام: من قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[1]. فصارت وراثه النبوّة والكتاب للمهتدين دون الفاسقين. أما علمتم أنّ نوحاً حين سأل ربّه عز وجل: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾[2]. وذلك أنّ الله عز وجل وعده أن يُنجيه وأهله، فقال ربّه عز وجل: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[3]. فقال المأمون: هل فضل الله العترة على سائر الناس؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: إنّ الله عز وجل أبان فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه. فقال له المأمون: وأين ذلك من كتاب الله!؟

فقال له الرضا عليه السلام: في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ۞ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[4]. وقال عز وجل في موضع آخر: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[5]. ثمّ ردّ المخاطبة في إثر هذه إلى سائر المؤمنين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[6]. يعني، الذي قرنهم بالكتاب والحكمة، وحُسدوا عليهما، فقوله عز وجل: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ يعني، الطاعة للمصطفين

---

١. سورة الحديد، الآية: ٢٦.

٢. سورة هود، الآية: ٤٥.

٣. سورة هود، الآية: ٤٦.

٤. سورة آل عمران، الآية: ٣٣ـ٣٤.

٥. سورة النساء، الآية: ٥٤.

٦. سورة النساء، الآية: ٥٩.

الطاهرين. فالملك هيهنا؛ هو الطاعة لهم.

فقالت العلماء: فأخبرنا؛ هل فسّر الله عزّ وجلّ الإصطفاء في الكتاب؟

فقال الرضا عليه السلام فسّر الإصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موطناً، وموضعاً. فأوّل ذلك: قوله عزّ وجلّ: «وأنذر عشيرتك الأقربين ورهطك المخلصين». هكذا في قراءة أُبي بن كعب؛ وهي ثابتة في مصحف عبد الله بن مسعود[1]، وهذه منزلة رفيعة، وفضل عظيم، وشرف عال، حين عنى الله عزّ وجلّ بذلك الآل فذكره

---

١. أقول: القول في هذا المبنى لا تنحصر روايته على الشيعة الإماميّة حسب، فقد روى البخاري في صحيحه، قال: حدّثنا يوسف بن موسى، حدّثنا أبو أُسامة، حدّثنا الأعمش، حدّثنا عمرو بن مرّة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لمّا نزلت «وأنذر عشيرتك الأقربين ورهطك منهم المخلصين». صحيح البخاري: ج٦ ص٩٣، مورد سورة المسد، رقم ٤٦٨٧.

وروى مسلم النيسابوري في صحيحه، قال: وحدّثنا أبو كريب محمد بن العلاء، حدّثنا أبو أُسامة، عن الأعمش، عن عمرو بن مرّة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، قال: لمّا نزلت هذه الآية: «وأنذر عشيرتك الأقربين ورهطك منهم المخلصين». صحيح مسلم: ج١ ص١٣٤، باب في قوله ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾.

وروى البيهقي في سننه، قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني أبو عمرو بن أبي جعفر، ثنا عبد الله بن محمد، ثنا أبو كريب، ثنا أبو أُسامة، عن الأعمش، عن عمرو بن مرّة، عن سعيد بن جبير، عن بن عباس، قال: ثمّ لمّا نزلت هذه الآية «وأنذر عشيرتك الأقربين ورهطك منهم المخلصين». السنن الكبرى: ج٩ ص٧، باب مبتدأ الفرض على النبي صلى الله عليه وآله ثمّ على الناس، وما لقي النبي صلى الله عليه وآله من أذى قومه في تبليغ الرسالة على وجه.

وروى ابن حبّان في صحيحه، قال: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل، حدّثنا الحسن بن علي الحلواني، حدّثنا أبو أُسامة، عن الأعمش، عن عمرو بن مرّة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، قال: لما نزلت هذه الآية: «وأنذر عشيرتك الأقربين ورهطك منهم المخلصين». قال: وهي في قراءة عبد الله. صحيح ابن حبّان: ج١٤ ص٤٨٦ باب تبليغه صلى الله عليه وآله الرسالة وما لقي من قومه، رقم ٦٥٥٠.

وروى الطبري في تفسيره، إنّه قال: حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا جرير، عن عمرو: إنّه كان يقرأ: وأنذر عشيرتك الأقربين ورهطك المخلصين. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج١٩ ص١٤٨ رقم٢٠٣٧٣، مورد تفسير سورة الشعراء الآية: ٢١٤.

لرسول الله ﷺ؛ فهذه واحدة.

والآية الثانية في الإصطفاء: قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]. وهذا الفضل الذي لا يجهله أحد إلا معاند ضال لأنّه فضل بعد طهارة تنتظر؛ فهذه الثانيه.

وأمّا الثالثة: فحين ميّز الله الطاهرين من خلقه؛ فأمر نبيّه بالمباهلة بهم في آية الإبتهال، فقال ﷻ: يا محمد: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[2]. فبرّز النبي ﷺ علياً، والحسن، والحسين، وفاطمة عليهم السلام، وقرن أنفسهم بنفسه. فهل تدرون ما معنى قوله: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾؟

قالت العلماء: عنى به نفسه.

فقال أبو الحسن عليه السلام: لقد غلطتم؛ إنّما عنى بها علي بن أبي طالب عليه السلام؛ وممّا يدلّ على ذلك قول النبي ﷺ حين قال: لينتهين بنو وليعة أو لابعثنّ إليهم رجلاً كنفسي. يعني، علي بن أبي طالب عليه السلام، وعنى بالأبناء: الحسن، والحسين عليهما السلام. وعنى بالنساء: فاطمة عليها السلام. فهذه خصوصيّة لا يتقدّمهم فيها أحد، وفضل لا يلحقهم فيه بشر، وشرف لا يسبقهم إليه خلق؛ إذ جعل نفس علي عليه السلام كنفسة. فهذه الثالثه.

وأمّا الرابعة: فإخراجه ﷺ الناس من مسجده ما خلا العترة، حتّى تكلّم الناس في ذلك، وتكلّم العبّاس، فقال: يا رسول الله، تركت علياً، وأخرجتنا!؟

فقال رسول الله ﷺ: ما أنا تركته، وأخرجتكم، ولكنّ الله ﷻ تركه،

---

١. سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

٢. سورة آل عمران، الآية: ٦١.

وأخرجكم؛ وفي هذا تبيان قوله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى.

قالت العلماء: واين هذا من القرآن؟

قال أبو الحسن عليه السلام: أُوجدكم في ذلك قرآناً، وأقرأه عليكم!؟

قالوا: هات.

قال عليه السلام: قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾[1]. ففي هذه الآية منزلة هارون من موسى، وفيها أيضاً منزلة علي عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله، ومع هذا دليل واضح في قوله رسول الله صلى الله عليه وآله حين قال: ألا أنّ هذا المسجد لا يحلّ لجنب إلا لمحمد صلى الله عليه وآله، وآله.

قالت العلماء: يا أبا الحسن، هذا الشرح والبيان لا يوجد إلا عندكم معاشر أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله!

فقال: ومن ينكر لنا ذلك ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها؟! ففيما أوضحنا، وشرحنا من الفضل، والشرف، والتقدمة، والإصطفاء، والطهارة، ما لا ينكره إلا معاند. ولله عزّ وجلّ الحمد على ذلك؛ فهذه الرابعة.

والآيه الخامسة: قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾[2]. خصوصيّة خصّهم الله العزيز الجبّار بها، واصطفاهم على الأُمّة؛ فلمّا نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: ادعوا إلي فاطمة. فدعيت له. فقال صلى الله عليه وآله: يا فاطمة، قالت: لبّيك يا رسول الله. فقال صلى الله عليه وآله: هذه فدك؛ هي ممّا لم يوجف عليه بخيل، ولا ركاب، وهي

---

١. سورة يونس، الآية: ٨٧.

٢. سورة الإسراء، الآية: ٢٦.

لي خاصّة دون المسلمين، وقد جعلتها لما أمرني الله تعالى به؛ فخذيها لك، ولولدك؛ فهذه الخامسة.

والآية السادسة: قول الله عزّ وجلّ: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[١]. وهذه خصوصيّة للنبي صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة، وخصوصيّة للآل دون غيرهم؛ وذلك أنّ الله عزّ وجلّ حكى في ذكر نوح في كتابه: ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾[٢]. وحكى عزّ وجلّ عن هود، إنّه قال: ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٣]. وقال عزّ وجلّ لنبيّه محمد صلى الله عليه وآله: قل يا محمّد: ﴿لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾. ولم يفرض الله تعالى مودّتهم إلا وقد علم أنّهم لا يرتدون عن الدين أبداً، ولا يرجعون إلى ضلال أبداً. وأُخرى: أن يكون الرجل وادّاً للرجل فيكون بعض أهل بيته عدواً له فلا يسلم له قلب الرجل، فأحبّ الله عزّ وجلّ أن لا يكون في قلب رسول الله صلى الله عليه وآله على المؤمنين شئ، ففرض عليهم الله مودّة ذوي القربى؛ فمن أخذ بها، وأحبّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وأحبّ أهل بيته، لم يستطع رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبغضه، ومن تركها، ولم يأخذ بها، وأبغض أهل بيته، فعلى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبغضه؛ لأنّه قد ترك فريضة من فرائض الله عزّ وجلّ. فأيّ فضيلة، وأيّ شرف يتقدّم هذا، أو يُدانيه؟ فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية على نبيّه صلى الله عليه وآله ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ فقام رسول الله صلى الله عليه وآله في أصحابه، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: يا أيّها الناس، إنّ الله عزّ وجلّ قد فرض لي عليكم فرضاً، فهل أنتم مؤدّوه؟ فلم يُجبه أحد! فقال صلى الله عليه وآله: يا أيّها الناس، إنّه ليس من فضّة، ولا ذهب، ولا مأكول، ولا مشروب. فقالوا: هات

---

١. سورة الشورى، الآية: ٢٣.

٢. سورة هود، الآية: ٢٩.

٣. سورة هود، الآية: ٥١.

إذاً.

فتلا صلى الله عليه وآله عليهم هذه الآية. فقالوا: أمّا هذه، فنعم. فما وفى بها أكثرهم. وما بعث الله عزّ وجلّ نبيّاً إلا أوحى إليه: أن لا يسال قومه أجراً؛ لأنّ الله عزّ وجلّ يوفّيه أجر الأنبياء، ومحمّد صلى الله عليه وآله فرض الله عزّ وجلّ طاعته، ومودّة قرابته على أُمّته، وأمره أن يجعل أجره فيهم ليؤدّوه في قرابته بمعرفة فضلهم الذي أوجب الله عزّ وجلّ لهم، فإنّ المودّة إنّما تكون على قدر معرفة الفضل؛ فلمّا أوجب الله تعالى ذلك، ثقل لثقل وجوب الطاعة؛ فتمسّك بها قوم قد أخذ الله ميثاقهم على الوفاء، وعاند أهل الشقاق، والنفاق، وألحدوا في ذلك، فصرفوه عن حدّه الذي حدّه الله عزّ وجلّ، فقالوا: القرابة: هم العرب كلّها، وأهل دعوته. فعلى أي الحالتين كان فقد علمنا أنّ المودّة هي للقرابة، فأقربهم من النبي صلى الله عليه وآله أولاهم بالمودّة، وكلّما قربت القرابة كانت المودّة على قدرها. وما أنصفوا نبى الله صلى الله عليه وآله في حيطته، ورافته، وما منّ الله به على أُمّته ممّا تعجز الألسن عن وصف الشكر عليه، أن لا يؤذوه في ذُرّيّته، وأهل بيته، وأن يجعلوهم فيهم بمنزلة العين من الرأس، حفظاً لرسول الله صلى الله عليه وآله فيهم، وحبّاً لهم. فكيف والقرآن ينطق به ويدعو إليه؟! والأخبار ثابتة بأنّهم أهل المودّة، والذين فرض الله تعالى مودّتهم، ووعد الجزاء عليها؛ فما وفى أحد بها! فهذه المودّة لا ياتي بها أحد مؤمناً، مخلصاً إلا استوجب الجنّة؛ لقول الله عزّ وجلّ في هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۞ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[١]. مُفسّراً، ومُبيّناً.

ثمّ قال أبو الحسن عليه السلام: حدّثني أبي، عن جدّي، عن آبائه، عن الحسين بن

---

١. سورة الشورى، الآية: ٢٢ـ٢٣.

علي عليه السلام، قال: اجتمع المهاجرون والأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: إنّ لك يا رسول الله صلى الله عليه وآله مؤنة في نفقتك، وفيمن يأتيك من الوفود، وهذه أموالنا مع دمائنا فاحكم فيها باراً ماجوراً؛ اعط ما شئت، وامسك ما شئت من غير حرج. قال: فأنزل الله عزّ وجلّ عليه الروح الأمين، فقال: يا محمد، ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ يعني، أن تودّوا قرابتي من بعدي. فخرجوا، فقال المنافقون: ما حمل رسول الله صلى الله عليه وآله على ترك ما عرضنا عليه إلا ليحثّنا على قرابته من بعده؛ إن هو إلا شئ افتراه في مجلسه. وكان ذلك من قولهم عظيماً. فانزل الله عزّ وجلّ هذه الآيه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[١]. فبعث عليهم النبي صلى الله عليه وآله، فقال: هل من حدث؟ فقالوا: أي والله يا رسول الله، لقد قال بعضنا: كلاماً غليظاً كرهناه. فتلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله الآيه؛ فبكوا واشتد بكاؤهم، فانزل عزّ وجلّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[٢]. فهذه السادسة.

وأمّا الآية السابعة: فقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٣]. قالوا: يا رسول الله، قد عرفنا التسليم؛ فكيف الصلاه عليك!؟

فقال صلى الله عليه وآله: تقولون: اللهمّ صلّ على محمد وآل محمد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد. فهل بينكم معاشر الناس! في هذا خلاف؟

فقالوا: لا. فقال المأمون: هذا ممّا لا خلاف فيه أصلاً، وعليه إجماع الأمّة. فهل عندك في الآل شئ أوضح من هذا في القرآن؟

---

١. سورة الأحقاف، الآية: ٨.

٢. سورة الشورى، الآية: ٢٥.

٣. سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

فقال أبو الحسن عليه السلام: نعم. أخبروني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يس ۞ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۞ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۞ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]. فمن عنى بقوله يس؟

قالت العلماء: يس: محمّد صلى الله عليه وآله. لم يشكّ فيه أحد.

قال أبو الحسن عليه السلام: فإنّ الله عزّ وجلّ أعطى محمّداً وآل محمد من ذلك فضلاً لا يبلغ أحد كُنه وصفه إلا مَن عَقله؛ وذلك أنّ الله عزّ وجلّ لم يُسلّم على أحد إلا على الأنبياء عليهم السلام، فقال تبارك وتعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾[2]، وقال: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[3]، وقال: ﴿سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾[4]. ولم يقل: سلام على آل نوح، ولم يقل: سلام على آل إبراهيم، ولا قال: سلام على آل موسى، وهارون؛ وقال عزّ وجلّ: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾[5]. يعني، آل محمّد عليهم السلام[6].

فقال المأمون: لقد علمت أنّ في معدن النبوّة شرح هذا وبيانه. فهذه السابعة.

وأمّا الثامنة: فقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾[7]. فقرن سهم ذي القربى بسهمه، وبسهم رسول الله صلى الله عليه وآله. فهذا فضل أيضاً

---

١. سورة يس، الآية: ١ـ٤.

٢. سورة الصافّات، الآية: ٧٩.

٣. سورة الصافّات، الآية: ١٠٩.

٤. سورة الصافّات، الآية: ١٢٠.

٥. سورة الصافّات، الآية: ١٣٠.

٦. أقول: روى ابن الجوزي في زاده، قال: والثاني: إنّهم آل محمّد عليهم السلام. قاله الكلبي. زاد المسير: ج٧ ص٨٤، مورد تفسير الآية. وروى ابن كثير في تفسير القرآن العظيم: ج٤ ص٢٢. نحوه.

وقال القرطبي في تفسيره: وقالوا في قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾. أي، على آل محمّد عليهم السلام. وقال سعيد بن جبير: هو اسم من أسماء محمّد صلى الله عليه وآله ودليله ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. قال السيّد الحميري:

يا نفس لا تمحضي بالنصح جاهدة ... على المودّة إلا آل ياسين

الجامع لأحكام القرآن: ج١٥ ص٥،، مورد تفسير الآية.

٧. سورة الأنفال، الآية: ٤١.

بين الآل والأُمّة، لأنّ الله تعالى جعلهم في حيّز، وجعل الناس في حيّز دون ذلك، ورضى لهم ما رضي لنفسه، واصطفاهم فيه، فبدء بنفسه، ثمّ ثنّى برسوله، ثمّ بذي القربى في كلّ ما كان من الفئ، والغنيمة، وغير ذلك ممّا رضيه عزّ وجلّ لنفسه فرضى لهم، فقال وقوله الحقّ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ فهذا تأكيد مؤكّد، وأثر قائم لهم إلى يوم القيامة في كتاب الله الناطق ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[١]. وأمّا قوله: ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾ فإنّ اليتيم إذا انقطع يُتمه خرج من الغنائم، ولم يكن له فيها نصيب، وكذلك المسكين إذا انقطعت مسكنته لم يكن له نصيب من المغنم، ولا يحلّ له أخذه، وسهم ذي القربى قائم إلى يوم القيامة فيهم، للغنى والفقير منهم، لأنّه لا أحد أغنى من الله عزّ وجلّ، ولا من رسول الله صلّى الله عليه وآله، فجعل لنفسه منها سهماً، ولرسوله صلّى الله عليه وآله سهماً، فما رضيه لنفسه، ولرسوله صلّى الله عليه وآله رضيه لهم، وكذلك الفئ ما رضيه منه لنفسه، ولنبيّه صلّى الله عليه وآله رضيه لذي القربى، كما أجراهم في الغنيمة فبدء بنفسه جلّ جلاله، ثمّ برسوله، ثمّ بهم، وقُرن سهمهم بسهم الله، وسهم رسوله صلّى الله عليه وآله، وكذلك في الطاعة، قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٢]. فبدء بنفسه، ثمّ برسوله، ثمّ بأهل بيته، كذلك آية الولاية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٣]. فجعل طاعتهم مع طاعة الرسول مقرونة بطاعته، كذلك ولايتهم مع ولاية الرسول مقرونة بولايته. كما جعل سهمهم مع سهم الرسول مقروناً بسهمه في الغنيمة والفئ. فتبارك الله وتعالى ما أعظم نعمته على أهل هذا البيت. فلمّا جاءت قصّة الصدقة؛ نزّه نفسه،

---

١. سورة فصّلت، الآية: ٤٢.

٢. سورة النساء، الآية: ٥٩.

٣. سورة المائدة، الآية: ٥٥.

ورسوله، ونزّه أهل بيته، فقال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾[١]. فهل تجد في شئ من ذلك أنّه سمّى لنفسه أو لرسوله أو لذي القربى لأنه لمّا نزّه نفسه عن الصدقة ونزّه رسوله ونزّه أهل بيته؟! لا بل حرّم عليهم لأنّ الصدقة محرّمة على محمّد صلى الله عليه وآله وآله، وهي أوساخ أيدى الناس لا يحلّ لهم لأنّهم طهروا من كلّ دنس، ووسخ، فلمّا طهّرهم الله عزّ وجلّ، واصطفاهم، رضي لهم ما رضى لنفسه، وكره لهم ما كره لنفسه عزّ وجلّ. فهذه الثامنة.

وأمّا التاسعة: فنحن أهل الذكر الذين قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢]. فنحن أهل الذكر، فاسألونا إن كنتم لا تعلمون.

فقالت العلماء: إنّما عنى الله بذلك اليهود، والنصارى!

فقال أبو الحسن عليه السلام: سبحان الله! وهل يجوز ذلك إذاً يدعونا إلى دينهم، ويقولون: إنه أفضل من دين الإسلام؟!

فقال المأمون: فهل عندك في ذلك شرح بخلاف ما قالوه يا أبا الحسن؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: نعم، الذكر رسول الله صلى الله عليه وآله، ونحن أهله؛ وذلك بيّن في كتاب الله عزّ وجلّ، حيث يقول في سوره الطلاق: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝ رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾[٣]. فالذكر رسول الله صلى الله عليه وآله، ونحن أهله. فهذه التاسعة.

وأمّا العاشرة: فقول الله عزّ وجلّ في آية التحريم: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ

---

١. سورة التوبة، الآية: ٦٠.

٢. سورة النحل، الآية: ٤٣.

٣. سورة الطلاق، الآية: ١٠ـ١١.

﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾[1]. فأخبروني هل تصلح ابنتى وابنة ابني وما تناسل من صلبى لرسول اللهﷺ أن يتزوّجها لو كان حيّاً؟

قالوا: لا.

قالعليه السلام: فأخبروني هل كانت ابنة أحدكم تصلح له أن يتزوّجها لو كان حيّاً؟

قالوا: نعم.

قالعليه السلام: ففى هذا بيان؛ لأنّي أنا من آله، ولستم من آله؛ ولو كنتم من آله لحرُم عليه بناتكم كما حرُم عليه بناتي؛ لأنّي من آله، وأنتم من أُمّته. فهذا فرق بين الآلَ والأُمّة، لأنّ الآل منه، والأُمّة إذا لم تكن من الآل فليست منه. فهذه العاشرة.

وأمّا الحادية عشرة: فقول اللهعزّ وجلّ في سورة المؤمن حكاية عن قول رجل مؤمن من آل فرعون: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾[2] ـ إلى تمام الآية ـ فكان ابن خال فرعون، فنسبه إلى فرعون بنسبه، ولم يُضفه إليه بدينه. وكذلك خُصصنا نحن إذ كنّا من آل رسول اللهﷺ بولادتنا منه، وعممنا الناس بالدين. فهذا فرق بين الآل والأمّة. فهذه الحادية عشرة.

وأمّا الثانيه عشرة فقولهعزّ وجلّ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[3]. فخصصنا الله تبارك وتعالى بهذه الخصوصية إذ أمرنا مع الأُمّة بإقامة الصلاة، ثمّ خصصنا من دون الأُمّة، فكان رسول اللهﷺ يجئ إلى باب علي وفاطمةعليهما السلام بعد نزول هذه

---

١. سورة النساء، الآية: ٢٣.

٢. سورة غافر، الآية: ٢٨.

٣. سورة طه، الآية: ١٣٢.

الآية تسعة أشهر كلّ يوم عند حضور كلّ صلاة، خمس مرّات، فيقول: الصلاة رحمكم الله. وما أكرم الله أحداً من ذراري الأنبياء بمثل هذه الكرامة التي أكرمنا بها، وخصصنا من دون جميع أهل بيتهم.

فقال المأمون، والعلماء: جزاكم الله أهل بيت نبيّكم عن هذه الأُمّة خيراً، فما نجد الشرح، والبيان فيما اشتبه علينا إلا عندكم.[1]

في أحكام الثغور

روي عن محمد بن عيسى، قال: أتيت أنا، ويونس بن عبد الرحمن باب الرضا عليه السلام، وبالباب قوم قد استأذنوا عليه قبلنا، واستأذنّا بعدهم، وخرج الإذن، فقالوا: ادخلوا، ويتخلّف يونس ومعه من آل يقطين! فدخل القوم، وتخلّفنا، فما لبثوا أن خرجوا، وأُذن لنا، فدخلنا، فسلّمنا عليه، فردّ السلام، ثمّ أمر بالجلوس.

فقال له عليه السلام يونس بن عبد الرحمن: يا سيّدي، تأذن لي أن أسألك عن مسألة؟

فقال عليه السلام له: سل.

قال له عليه السلام يونس: أخبرني عن رجل من هؤلاء مات وأوصى أن يُدفع من ماله فرس، وألف درهم، وسيف إلى رجل يُرابط عنه، ويُقاتل في بعض هذه الثغور، فعمد الوصيّ فدفع ذلك كلّه إلى رجل من أصحابنا، فأخذه وهو لا يعلم أنّه لم يأت لذلك وقت بعد، فما تقول، يحلّ له أن يُرابط عن هذا الرجل في بعض هذه الثغور أم لا؟

فقال عليه السلام: يُردّ على الوصيّ ما أُخذ منه، ولا يُرابط، فإنّه لم يأت لذلك وقت بعد.

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق: ج١ ص٢٠٧.

فقال يونس: فإنّه لا يعرف الوصيّ، ولا يدري أين مكانه؟

فقال عليه السلام: يُسأل عنه.

فقال يونس: فقد سأل عنه، فلم يقع عليه، كيف يصنع؟

فقال عليه السلام: إن كان هذا، فليُرابط، ويُقاتل.

فقال يونس: فإنّه قد رابط، وجاءه العدو، وكاد أن يدخل عليه في داره، فما يصنع، يُقاتل أم لا؟

فقال عليه السلام: إذا كان كذلك، فلا يُقاتل عن هؤلاء ـ المخالفين ـ ولكن يُقاتل عن بيضة الإسلام، فإنّ في ذهاب بيضة الإسلام درس[1] ذكر محمّد صلى الله عليه وآله.[2]

في أحكام الإرث

روي عن محمّد بن الوليد، قال: حدّثني حمّاد بن عثمان، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن رجل مات، وترك أُمّه، وأخاه.

فقال عليه السلام: يا شيخ، تُريد على الكتاب؟

قال: قلت: نعم.

قال عليه السلام: كان عليّ عليه السلام يُعطي المال الأقرب فالأقرب.

قال: قلت: فالأخ لايرث شيئاً!؟

قال عليه السلام: قد أخبرتك: إنّ علياً عليه السلام كان يُعطي المال الأقرب فالأقرب.[3]

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[4].[5]

---

١. في نسخة: اندراس.

٢. قرب الإسناد للحميري: ص٣٤٥ ح١٢٥٣.

٣. الكافي للكليني: ج٧ ص٩١ باب ميراث الأبوين، ح٢.

٤. سورة القصص، الآية: ٥٦.

٥. قرب الإسناد للحميري: ص٣٤٩ ح١٢٦٠.

في أحكام العدّة

قال ـ محمّد بن أبي نصر البزنطي ـ : وسأله صفوان، وأنا حاضر: عن رجل طلق امرأته وهو غائب، فمضت أشهر؟

فقال عليه السلام: إذا قامت البيّنة أنّه قد طلّقها منذ كذا وكذا، وكانت عدّتها قد انقضت، حلّت للأزواج.

قلت: فالمتوفّى عنها زوجها؟

قال عليه السلام: هذه ليست مثل تلك، تعتدّ من يوم يبلغها الخبر، لأنّ عليها أن تحدّ[1].[2]

في أحكام النظر

قال ـ أحمد بن محمد بن أبي نصر ـ : سألته عليه السلام عن الرجل أيحلّ له أن ينظر إلى شعر أُخت امرأته؟

فقال عليه السلام: لا، إلاّ أن تكون من القواعد.

قلت له عليه السلام: أُخت امرأته والغريبة سواء.

قال عليه السلام: نعم.[3]

في أحكام الطلاق

وقا ـ البزنطي ـ : وسألته عليه السلام عن رجل طلّق امرأته بعدما غشاها، بشاهدين

---

١. الحداد: ترك الزينة والتطيّب.

٢. قرب الإسناد للحميري: ص٣٦٢ ح١٢٩٧.

٣. قرب الإسناد: ص٣٦٣ ح١٣٠٠.

عدلين؟

قالعليه السلام: ليس هذا طلاقاً.

فقلت: فكيف طلاق السنّة؟

فقالعليه السلام: يُطلّقها إذا طهرت من حيضها قبل أن يغشاها، بشاهدين عدلين، فإن خالف ذلك رُدّ الى كتاب اللهعزّ وجلّ.

قلت: فإنّه طلّق على طهر من غير جماع، بشهادة رجل وامرأتين؟

قالعليه السلام: لا تجوز شهادة النساء في الطلاق.

قلت: فإنّه أشهد رجلين ناصبيين على الطلاق يكون ذلك طلاقاً؟

قالعليه السلام: كلّ من ولد على الفطرة جازت شهادته بعد أن يُعرف منه صلاح في نفسه.[١]

في القياس

وقال البزنطي: قلت لهعليه السلام: جُعلت فداك، إنّ بعض أصحابنا يقولون: نسمع الأثر يُحكى عنك، وعن آبائك؛ فنقيس عليه، ونعمل به.

فقالعليه السلام: سبحان الله، لا والله، ما هذا من دين جعفرعليه السلام؛ هؤلاء قوم لا حاجة بهم إلينا، قد خرجوا من طاعتنا، وصاروا في موضعنا، فأين التقليد الذي كانوا يقلّدون جعفراً ـ الصادق ـ وأبا جعفر ـ الباقر ـ عليهما السلام!؟[٢]

---

١. قرب الإسناد للحميري: ص٣٦٥ ح١٣٠٩.

٢. قرب الإسناد للحميري: ص٣٥٦ ح١٢٧٥، والتوحيد للصدوق: ص١٠٨ ح٤.

خصال المؤمن

قال الإمام علي الرضا عليه السلام: لا يكون المؤمن مؤمناً حتّى تكون فيه ثلاث خصال: سنّة من ربّه، وسنّة من نبيّه صلى الله عليه وآله، وسنّة من وليّه عليه السلام. فأمّا السنّة من ربّه؛ فكتمان سرّه؛ قال الله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۞ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾[١]. وأمّا السنّة من نبيّه صلى الله عليه وآله؛ فمداراة الناس، فإنّ الله عزّ وجلّ أمر نبيّه صلى الله عليه وآله بمداراة الناس فقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾[٢]. وأمّا السنّة من وليّه عليه السلام؛ بالصبر في الباساء، والضرّاء.[٣]

التوسعة على العيال

قال عليه السلام: صاحب النعمة يجب أن يوسع على عياله.[٤]

ما هي العبادة

قال عليه السلام: ليس العبادة كثرة الصيام والصلاة، وإنّما العبادة كثرة التفكير في أمر الله.[٥]

النظافة

قال عليه السلام: من أخلاق الأنبياء التنظّف، والتطيّب، وحلق الشعر، وكثرة الطروقة.[٦]

---

١. سورة الجنّ، الآية: ٢٦ـ٢٧.

٢. سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

٣. الكافي للكليني: ج٢ ص٢٤١ باب المؤمن وعلاماته وصفاته، ح٣٩.

٤. تُحف العقول للحرّاني: ص٤٤٢ في قصارى كلمات الإمام الرضا عليه السلام.

٥. تُحف العقول للحرّاني: ص٤٤٢ في قصارى كلمات الإمام الرضا عليه السلام.

٦. الكافي للكليني: ج٥ ص٥٦٧باب النوادر، ح٥٠.

من سنن المرسلين

قالعليه السلام: ثلاث من سنن المرسلين: العطر، وإحفاء[١] الشعر، وكثرة الطروقة.[٢]

إنفاذ الأمر الغيبي

وقالعليه السلام: إذا أراد الله أمراً سلب العباد عقولهم، فأنفذ أمره، وتمّت إرادته. فإذا أنفذ أمره ردّ إلى كلّ ذي عقل عقله، فيقول: كيف ذا؟ ومن أين ذا؟[٣]

بين الصمت والحكمة

قالعليه السلام: من علامات الفقه: الحلم، والعلم، والصمت. إنّ الصمت باب من أبواب الحكمة، وإنّ الصمت يكسب المحبّة، وإنّه دليل على كلّ خير.[٤]

الأخ الأكبر

قالعليه السلام: الأخ الأكبر بمنزلة الأب.[٥]

من آداب الخطاب

قالعليه السلام: إذا ذكرت الرجل وهو حاضر؛ فكنّه، وإذا كان غائباً؛ فسمّه.[٦]

---

١. أحفى شعره: أي قصّه أو أزاله.
٢. غوالي اللئالي للإحسائي: ج٣ ص٢٨٢ باب النكاح، ح١٠.
٣. تُحف العقول للحرّاني: ص٤٤٢ في قصارى كلمات الإمام الرضاعليه السلام.
٤. الخصال للصدوق: ص١٥٨.
٥. تُحف العقول للحرّاني: ص٤٤٢ في قصارى كلمات الإمام الرضاعليه السلام.
٦. الكافي للكليني: ج٢ ص٦٧١ باب النوادر، ح٢.

أركان الإيمان

قال عليه السلام: الإيمان أربعة أركان: التوكّل على الله، والرضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله، والتفويض إلى الله. قال العبد الصالح ـ مؤمن آل فرعون ـ : ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنّ الله بصير بالعباد ۞ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾[١].[٢]

العلم والجهل

قال عليه السلام: صديق كلّ امرئ عقله، وعدوّه جهله.[٣]

نصف العقل

قال عليه السلام: التودّد إلى الناس نصف العقل.[٤]

ممّا يبغضه الله

قال عليه السلام: إنّ الله يبغض: القيل والقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال.[٥]

تمام العقل

قال عليه السلام: لا يتمّ عقل امرئ مسلم حتّى تكون فيه عشر خصال: الخير منه مأمول، والشرّ منه مأمون. يستكثر قليل الخير من غيره، ويستقلّ كثير الخير من نفسه. لا يسأم من طلب الحوائج إليه، ولا يملّ من طلب العلم طول دهره. الفقر

---

١. سورة غافر، الآية: ٤٤ـ٤٥.

٢. تُحف العقول للحرّاني: ص٤٤٥ في قصارى كلمات الإمام الرضا عليه السلام.

٣. المحاسن للبرقي: ج١ ص١٩٤ باب العقل، ح١٢.

٤. تُحف العقول للحرّاني: ص٤٤٣ في قصارى كلمات الإمام الرضا عليه السلام.

٥. الكافي للكليني: ج٥ ص٣٠١ باب في حفظ المال وكراهة الإضاعة، ح٢.

في الله أحبّ إليه من الغنى. والذلّ في الله أحبّ إليه من العزّ في عدوّه، والخمول أشهى إليه من الشُهرة.

ثمّ قال عليه السلام: العاشرة؛ وما العاشرة! قيل له عليه السلام: ما هي؟ قال عليه السلام: لا يرى أحداً إلا قال: هو خير منّي، وأتقى.

إنّما الناس رجلان: رجل خير منه وأتقى، ورجل شرّ منه وأدنى. فإذا لقي الذي شرّ منه وأدنى، قال: لعلّ خير هذا باطن؛ وهو خير له، وخيري ظاهر؛ وهو شرّ لي. وإذا رأى الذي هو خير منه وأتقى؛ تواضع له ليلحق به، فإذا فعل ذلك فقد علا مجده، وطاب خيره، وحسُن ذكره، وساد أهل زمانه.[١]

اليقين وفضله

قال عليه السلام: إنّ الإيمان أفضل من الإسلام بدرجة، والتقوى أفضل من الإيمان بدرجة. واليقين أفضل من التقوى بدرجة. ولم يقسم بين بني آدم شئ أفضل من اليقين.[٢]

خيار العباد

وسُئل عليه السلام عن خيار العباد؟ فقال عليه السلام: الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساؤوا استغفروا، وإذا أعطوا شكروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا غضبوا عفوا.[٣]

---

١. تُحف العقول للحرّاني: ص٤٤٣ في قصارى كلمات الإمام الرضا عليه السلام.

٢. قرب الإسناد للحميري: ص٣٥٥ رقم١٢٦٩.

٣. تُحف العقول للحرّاني: ص٤٤٥ في قصارى كلمات الإمام الرضا عليه السلام.

حدّ التوكّل

وسُئل عليه السلام عن حدّ التوكّل؟ فقال عليه السلام: أن لا تخاف مع الله أحد.[١]

الكادّ على عياله

وقال عليه السلام: إنّ الذي يطلب من فضل يكف به عياله أعظم أجراً من المجاهد في سبيل الله.[٢]

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق: ج٢ ص٥٤ ح١٩٢.
٢. تُحف العقول للحرّاني: ص٤٤٥ في قصارى كلمات الإمام الرضا عليه السلام.

فصل في

البيعة وولاية العهد

السؤال هنا يتلخّص بـ : ما هي الدوافع الحقيقيّة التي أجبرت المأمون على البيعة للإمام الرضاعليه السلام بولاية العهد؟

أكانت عقيدته في أن تكون الخلافة النبويّة حقّاً شرعيّاً للإمام الرضاعليه السلام، أم الظروف السياسيّة هي التي أملت عليه ذلك؟

فالمتحقّق لدى المسلمين أنّ المأمون قد أبدى محاولة خجولة قد اغتصب نفسه فيها اغتصاباً في النزول عن الخلافة برمّتها للإمام علي الرضاعليه السلام قوبلت برفض قاطع من الرضاعليه السلام بما ينسجم وحقيقة هوى المأمون منها، ما حدى بالأخير لأن يُجبر الإمام الرضاعليه السلام على قبول ولاية العهد، مهدّداً بقتله إن لم يستجب له؛ ماضطر الإمامعليه السلام لأن أجابه كارهاً.

ولم تكن تلك المبادرة من قبل المأمون في ولاية العهد للإمامعليه السلام سوى خطوة جريئة فرضتها عليه جملة من العوامل السياسيّة الخطيرة التي كانت سحائبها تحوم، لا كما يُتوهمّ أنّها كانت نزعة خير من قبل المأمون في الرجوع عن باطله إلى الحقّ، خصوصاً بعد اعترافه بأنّ خلافة النبوّة، وإمامة الأُمّة الإسلاميّة حقّ شرعي لأهل بيت رسول اللهصلى الله عليه وآله. كما ولا يمكن لعاقل أن ينخدع بظاهر ميل المأمون نحو ذرّيّة علي وفاطمةعليهما السلام، أوشيء من قبيل ذلك.

فالذي ينظر بجد إلى الوقائع، والأحداث التي رافقت تلك الفترة، ويتدبّر دراستها بدقّة وإمعان، يجد أنّ المأمون لم يكن ليقدم على ذلك الأمر الخطير لولا أن وجد نفسه محاطاً بلفيف من العوامل المعقدّة الكفيلة بإضطراره لذلك، والتي يمكن تلخيصها بـ :

أوّلاً: إنّ الدولة العباسيّة كانت مهدّدة بخطر الإنقراض على يد الحركات، والثورات الداخلية التي كان قد ازداد أوارها آنذاك بسبب ما عانته الأمّة الإسلاميّة من ظلم، وجور، واضطهاد.

ثانياً: تنحيته لطاهر بن الحسين عمّا كان إليه من أعمال البلدان التي كان هو فاتحها، واستعماله الحسن بن سهل عليهما. وتلك البلاد التي افتتحها طاهر هي «كور الجبل» و«العراق» و«فارس» و«الأهواز» و«الحجاز» و«اليمن»[١]. فبعد قتل الأمين كتب المأمون إلى طاهر بتسليم ذلك إلى الحسن بن سهل، وهذا العمل من المأمون صار سبب استياء في الأوساط العراقيّة.

ثالثاً: استياء العراقيين من غلبة الفضل بن سهل والحسن بن سهل عليه، وقد اشتد الإستياء خاصّة لمّا ولي الحسن بن سهل على العراق، فأثارت هذه التولية تقولات الناس وتحدّثوا بينهم أن الفضل بن سهل قد غلب المأمون، وأنزله قصراً قد أحجبه فيه عن أهل بيته ووجوه قواده من الخاصّة والعامّة، وهو يبرم الأمور على هواه، ويستبدّ بالرأي دونه، فغضب لذلك من في العراق ممّن كان بها من بني هاشم، ووجوه الناس، وأنِفوا من غلبة الفضل بن سهل على المأمون.[٢]

رابعاً: نقمة بني العباس على المأمون لتفضيلة في أوّل الأمر العنصر الفارسي، ونقله عاصمة الملك إلى مرو.

خامساً: الفتنة بين الأخوين ـ الأمين والمأمون ـ وقتل الأمين قد زعزعت ثقة بعض أقسام الإمبراطوريّة العباسيّة في قوّة العائلة العباسيّة نفسها.

---

١. الكامل لابن الأثير: ج٥ ص١٧٢.

٢. تاريخ الطبري: ج٧ ص١١٧.

سادساً: غلبة ولاء العلويين على أكثرية سكان الكوفة وكثير من البلاد الإسلامية.

سابعاً: علم المأمون بحقد المسلمين على العباسيين لظلمهم آل رسول الله ﷺ وهم لم يبلغوا الملك والسلطان إلا بإسم آل محمد ﷺ وبسيوف محبّيهم، ومواليهم.

نعم، فكلّ تلك العوامل، وغيرها من الأحداث قد شجّعت على نفرة كثير من الزعماء العباسيين في بغداد، وغيرها، ما أدّت إلى فسح المجال أمام التيارات المناهضة لأن تلعب دوراً خطيراً بغية السيطرة على مقاليد الحكم.

كما وتدلّنا سيرة المأمون على أنّه ومن بين ذاك الخضمّ الهائل للأحداث كان يتتبّع جميع تلك التيارات المناهضة بدقّة، ويقتفي بواعثها، ولم يكن يفكّر بالقضاء عليها قضاء مؤقّتاً حسب، بل كان مهتمّاً لأن يضع إصبعه على أسباب العلّة ليأمن نتائجها باستئصال جذورها. وبعد أن رأى المأمون أنّ مجمل الأوضاع، والأحوال المحدقة بساحة مملكته لا تساعده على الصمود ما لم يُحدث حركة يستهدف بها لفت أنظار المعادي قبل الموالي ـ ظنّاً منه بإمكانيّة السيطرة من خلالها على حلّ كافّة النزاعات السياسيّة، والخلافات الأُسريّة المحيطة به ـ عمد إلى محاولة إلحاق الحقّ بأهله، من خلال إرجاع الخلافة إلى محلّها الشرعي في البيت العلوي.

ذكر جماعة من أصحاب الأخبار، ورواة السير من أيام الخلفاء: إنّ المأمون لمّا أراد العقد للرضا عليه السلام أحضر الفضل بن سهل وأعلمه بما قد عزم عليه من ذلك، وأمره بالإجتماع مع أخيه الحسن بن سهل على ذلك. ففعلا واجتمعا بحضرته، فجعل الحسن يُعظّم ذلك عليه، ويُعرّفه ما في إخراج الأمر من أهله ـ العباسيين ـ عليه.

فقال له المأمون: إنّي عاهدت الله أنني إن ظفرت بالمخلوع أخرجت الخلافة إلى أفضل آل أبي طالب، وما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل على وجه الأرض.

فلمّا رأى الفضل، والحسن عزيمته على ذلك أمسكا عن معارضته، فأرسلهما إلى الرضاعليه السلام، فعرضا عليه ذلك، فامتنععليه السلام منه، فلم يزالا به حتّى أجابعليه السلام فرجعا إلى المأمون، فعرّفاه إجابتهعليه السلام، فسُرّ بذلك.[1]

غير أنّ حبل المأمون في الغدر كان أقصر، خصوصاً بعد أن عجز عن إرغام الإمامعليه السلام بقبول خلافة ملأى بأسباب المقت الإلهي لتحمّلها نيابة عنه، وبعد أن باءت جميع جهوده بالفشل تراجع صاغراً أمام امتناع الإمامعليه السلام بحضرته عن قبول ذلك منه بعد أن أضمر له سوء الفعال.

فعن أبي الصلت الهروي، قال: إنّ المأمون قال للرضاعليه السلام: يا بن رسول اللهصلى الله عليه وآله قد عرفت فضلت، وعلمك، وزهدك، وورعك، وعبادتك؛ وأراك أحق بالخلافة منّي.

فقالعليه السلام: بالعبوديّة للهعزّ وجلّ أفتخر، وبالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شرّ الدنيا، وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم، وبالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند اللهعزّ وجلّ.

فقال المأمون: فإنّي قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة، وأجعلها لك، وأُبايعك.

فقالعليه السلام: إن كانت هذه الخلافة لك، وجعلها الله لك؛ فلا يجوز أن تخلع لباساً ألبسكه الله وتجعله لغيرك، وإن كانت الخلافة ليست لك، فلا يجوز لك أن

---

١. راجع الإرشاد للمفيد: ص٢٩١.

تجعل لي ما ليس لك.

فقال المأمون: يا بن رسول الله، لابدّ لك من قبول هذا الأمر.

فقال عليه السلام: لست أفعل ذلك طائعاً أبداً.

فما زال يجهد به أياماً حتّى يئس من قبوله، فقال له: فإن لم تقبل الخلافة، ولم تُحبّ مبايعتي لك فكُن وليّ عهدي لتكونن لك الخلافة بعدي.

فقال الرضا عليه السلام: والله، لقد حد، ثني أبي، عن آبائه، عن أميرالمؤمنين عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي أخرج من الدنيا قبلك مقتولاً بالسمّ، مظلوماً تبكي عليّ ملائكة السماء، وملائكة الأرض، وأُدفن في أرض غربة... فبكى المأمون، ثمّ قال: يا بن رسول الله، ومن الذي يقتلك، أو يقدر على الإساءة إليك وأنا حي؟

فقال الرضا عليه السلام: أما إنّي لو أشاء أن أقول من الذي يقتلني لقُلت.

فقال المأمون: يا بن رسول الله، إنّما تريد بقولك هذا التخفيف عن نفسك، ودفع هذا الأمر عنك ليقول الناس: إنّك زاهد في الدنيا.

فقال عليه السلام: والله، ما كذبت منذ خلقني ربّي عزّ وجلّ، وما زهدت في الدنيا للدنيا، وإنّي لأعلم ما تُريد.

فقال المأمون: ما أُريد؟

قال عليه السلام: الأمان على الصدق؟

قال: لك الأمان.

قال عليه السلام: تُريد بذلك أن يقول الناس: إنّ علي بن موسى لم يزهد في الدنيا، بل زهدت الدنيا فيه؛ ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافة؟!

فغضب المأمون، ثم. قال: إن. ك تتلقّاني أبداً بما أكرهه، وقد أمنت سطوتي. فبالله أُقسم. لئن قبلت ولاية العهد، وإلا أجبرتك على ذلك. فإن فعلت، وإلا ضربت عُنُقك!!

فقال عليه السلام: قد نهاني الله أن أُلقي بيدي إلى التهلكة، فإن كان الأمر على هذا فافعل ما بدا لك، وأنا أقبل ذلك على أنّي لا أُولي أحداً، ولا أعزل أحداً، ولا أنقض رسماً ولا سنّة، وأكون في الأمر من بعيد مشيراً. فرضي منه بذلك.[1]

الأمر الذي غمر ذا الرئاستين، الفضل بن سهل بالإعجاب ممّا سمع، ورأى، قائلاً: واعجباً! لقد رأيت عجباً، سلوني ما رأيت! فقالوا: ما رأيت أصلحك الله!؟

قال: رأيت أميرالمؤمنين يقول لعلي بن موسى عليهما السلام: قد رأيت أن أُقلّدك أمر المسلمين، وأفسخ ما في رقبتي، وأجعله في رقبتك. ورأيت علي بن موسى عليهما السلام يقول له: الله، الله، لا طاقة لي بذلك، ولا قوّة. فما رأيت خلافة قطّ أضيع منها!![2]

ولاية العهد

روي عن عتّاب بن أُسيد، قال: سمعت جماعة من أهل المدينة يقولون: ولد الرضا علي بن موسى عليهما السلام بالمدينة... إلى أن قال: ثمّ ملك عبد الله المأمون عشرين سنه وثلاثة وعشرين يوماً، فأخذ البيعه في ملكه لعلى بن موسى الرضا عليه السلام بعهد المسلمين من غير رضاه؛ وذلك بعد أن هدّده بالقتل، والحّ عليه مرّة بعد أُخرى في كلّها يأبى عليه أشرف من تأبّيه على الهلاك، فقال عليه السلام:

اللهمّ، إنّك نهيتني عن الإلقاء بيدى إلى التهلكة، وقد أُكرهت، واضطُررت كما اشرفت من قبل عبد الله المأمون على القتل متى لم اقبل ولايه عهده. وقد أُكرهت، واضطُررت كما اضطّر يوسف، ودانيال عليهما السلام! قبل كلّ واحد منهما الولاية من طاغية زمانه. اللهمّ، لا عهد إلا عهدك، ولا ولايه لي إلا من قبلك. فوفّقني

---

١. علل الشرائعى للصدوق: ج١ ص٢٦٦ باب العلّة التي من أجلها قبل الرضا عليه السلام من المأمون ولاية عهده، ح١.

٢. الإرشاد للمفيد: ص٢٩٠.

لإقامه دينك، وإحياء سنّة نبيّك محمّدﷺ، فإنّك أنت المولى، والنصير، ونعم المولى أنت، ونعم النصير.

ثمّ قبلعليه السلام ولاية العهد من المأمون ـ وهو باك حزين ـ على أن لا يولّى أحداً، ولا يعزل أحداً، ولا يُغيّر رسماً، ولا سنّة، وأن يكون في الأمر مشيراً من بعيد.

فأخذ المأمون له البيعة على الناس الخاصّ منهم والعامّ. فكان متى ما ظهر للمأمون من الرضاعليه السلام فضل، وعلم، وحسن تدبير؛ حسده على ذلك، وحقد عليه حتّى ضاق صدره، فغدر به وقتله بالسمّ، ومضى إلى رضوان الله تعالى، وكرامته.[1]

نصّ ولاية العهد

كان العهد الذي كتبه المأمون بخطّه كما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب كتبه عبد الله بن هارون الرشيد أميرالمؤمنين لعلي بن موسى بن جعفرعليهما السلام ولي عهده.

أمّا بعد، فإنّ اللهعزّ وجلّ اصطفى الإسلام ديناً، واصطفى له من عباده رسلاً دالّين، وهادين إليه، يُبشّر أوّلهم بآخرهم، ويُصدّق تاليهم ماضيهم، حتّى انتهت نبوّة الله إلى محمّدﷺ على فترة من الرسل، ودروس من العلم، وانقطاع من الوحي، واقتراب من الساعة، فختم الله به النبيين، وجعله شاهداً لهم ومهيمناً عليهم، وأنزل عليه كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، بما أحلّ وحرّم، ووعد وأوعد، وحذّر وأنذر، وأمر به ونهى

---

١. عيون أخبار الرضاعليه السلام للشيخ الصدوق: ج١ ص٢٩.

عنه، ليكون له الحجّة البالغة على خلقه ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١]. فبلّغ عن الله رسالته، ودعا إلى سبيله بما أمره به من الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ثمّ بالجهاد، والغلظة حتّى قبضه الله إليه، واختار له ﷺ ما عنده.

فلمّا انقضت النبوّة، وختم الله بمحمّد ﷺ الوحي والرسالة، جعل قوام الدين، ونظام أمر المسلمين بالخلافة، وإتمامها، وعزّها والقيام بحقّ الله تعالى فيها بالطاعة التي بها يقام فرائض الله، وحدوده، وشرائع الإسلام، وسننه، ويجاهد لها عدوّه.

فعلى خلفاء الله طاعته فيما استحفظهم، واسترعاهم من دينه وعباده، وعلى المسلمين طاعة خلفائهم، ومعاونتهم على إقامة حقّ الله، وعدله، وأمن السبيل، وحقن الدماء، وصلاح ذات البين، وجمع الأُلفة. وفي خلاف ذلك اضطراب حبل المسلمين، واختلالهم، واختلاف ملّتهم، وقهر دينهم، واستعلاء عدوّهم، وتفرّق الكلمة، وخسران الدنيا والآخرة.

فحقّ على من استخلفه الله في أرضه، وائتمنه على خلقه أن يُجهد لله نفسه، ويُؤثر فيه رضى الله وطاعته، ويعتدّ لما الله موافقه عليه، ومسائله عنه، ويحكم بالحقّ، ويعمل بالعدل فيما حمّله الله وقلّده، فإنّ الله ﷻ يقول للنبي داود عليه السلام: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[٢].

وقال الله ﷻ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٣]... وبالله الثقة، وإليه

---

١. سورة الأنفال: ٤٢.

٢. سورة ص، الآية: ٢٦.

٣. سورة الحجر، الآية: ٩٢-٩٣.

المفزع، والرغبة في التوفيق، والعصمة والتسديد، والهداية إلى ما فيه ثبوت الحجّة، والفوز من الله بالرضوان والرحمة، وأنظر الأُمّة لنفسها، وأنصحها لله في دينه، وعباده من خلائقه في أرضه؛ مَن عمل بطاعة الله وكتابه، وسنّة نبيّه ﷺ في مدّة أيامه، وبعدها، وأجهد رأيه ونظره فيمن يوليه عهده، ويختاره لإمامة المسلمين ورعايتهم بعده، ويُنصبّه علماً لهم، ومفزعاً في جميع أُلفتهم، ولمّ شعثهم، وحقن دمائهم، والأمن بإذن الله من فرقتهم، وفساد ذات بينهم واختلافهم، ورفع نزغ الشيطان وكيده عنهم، فإنّ الله ﷻ جعل العهد بعد الخلافة من تمام أمر الإسلام، وكماله وعزّه، وصلاح أهله، وألهم خلفاءه من توكيده لمن يختارونه له من بعدهم ما عظمت به النعمة، وشملت فيه العافية، ونقض الله بذلك مكر أهل الشقاق، والعداوة، والسعي في الفرقة، والتربّص للفتنة.

ولم يزل أميرالمؤمنين منذ أفضت إليه الخلافة فاختبر بشاعة مذاقها، وثقل محملها، وشدّة مؤونتها، وما يجب على من تقلّدها من ارتباط طاعة الله، ومراقبته فيما حمّله منها، فأنصب بدنه، وأسهر عينه، وأطال فكره فيما فيه عزّ الدين، وقمع المشركين، وصلاح الأُمّة، ونشر العدل، وإقامة الكتاب والسنّة، ومنعه ذلك من الخفض والدعة، ومهنأ العيش، علماً بما الله سائله عنه، ومحبّة أن يلقي الله مناصحاً له في دينه وعباده، ومختاراً لولاية عهده، ورعاية الأُمّة من بعده أفضل من يقدر عليه في دينه، وورعه، وعلمه، وأرجاهم للقيام بأمر الله وحقّه، مناجياً لله بالإستخارة في ذلك، ومسألته إلهامه ما فيه رضاه، وطاعته في آناء الليل ونهاره، معملاً في طلبه والتماسه في أهل بيته من ولد عبد الله بن العبّاس، وعلي بن أبي طالب عليه السلام فكره ونظره مقتصراً ممّن علم حاله، ومذهبه منهم على علمه، وبالغاً في المسألة عمّن خفي عليه أمر جهده وطاقته.

حتّى استقصى أُمورهم معرفة، وابتلى أخبارهم مشاهدة، واستبرأ أحوالهم

معاينة، وكشف ما عندهم مُسائلة، فكانت خيرتـه بعـد اسـتخارته لله، وإجهـاده نفسه في قضاء حقّه في عباده وبلاده، في البيتين جميعـاً علـي بـن موسـى بـن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن أبـي طالـب عليهم السلام. لمـا رأى مـن فـضله البارع، وعلمه النافع، وورعـه الظـاهر، وزهـده الخـالص، وتخلّيـه عـن الـدنيا، وتسلّمه من الناس.

وقد استبان له ما لم تزل الأخبار عليه متواطئة، والألسن عليه متّفقة، والكلمـة فيه جامعة، ولمّا لم يزل يعرفه به من الفضل يافعاً وناشئاً، وحدثاً ومكتهلاً، فعقد له بالعقد والخلافة من بعده، واثقاً بخيرة الله في ذلك.

إذ علم الله أنّه فعله إيثاراً لـه وللـدين، ونظـراً للإسـلام والمـسلمين، وطلبـاً للسلامة، وثبات الحجّة، والنجاة في اليوم الذي يقوم الناس فيه لربّ العالمين.[١]

بعد البيعة

روى ابن أبي الفتح الإربلي في كشف الغمّة، قال:

صورة ما كان على ظهر العهد بخطّ الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام.

بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله الفعّال لما يـشاء لا معقّـب لحكمـه، ولا رادّ لقضائه. يعلم خائنة الأعين، وما تُخفي الصدور، وصلاته علـى نبيّـه محمّـد خاتم النبيين، وآله الطيبين الطاهرين.

أقول؛ وأنا علي بن موسـى الرضـا بـن جعفـر: إنّ أميرالمـؤمنين عـضده الله بالسداد، ووفّقه للرشاد عرف من حقّنا ما جهله غيـره؛ فوصـل أرحامـاً قُطعـت، وآمن نفوساً فُزعت، بل أحياها وقد تلفت، وأغناها إذ افتقرت؛ مبتغياً رضـا ربّ

---

١. كشف الغمّة: ج٢ ص١٢٤.

العالمين؛ لا يُريد جزاءً من غيره. وسيجزي الله الشاكرين، ولا يضيع أجر المحسنين.

وأنّه جعل إلي عهده، والإمرة الكبرى إن بقيت بعده؛ فمن حلّ عقدةً أمر الله بشدّها، وفصم عروة أحبّ الله إيثاقها؛ فقد أباح حريمه، وأحلّ محرمه إذ كان بذلك زارياً على الإمام، منهتكاً حرمة الإسلام. بذلك جرى السالف، فصبر عنه على الفلتات، ولم يعترض بعدها على الغرمات؛ خوفاً من شتات الدين، واضطراب حبل المسلمين، ولقرب أمر الجاهلية، ورصد فرصة تُنتهز، وبايقة تُبتدر؛ وقد جعلت الله على نفسي أن استرعاني أمر المسلمين، وقلّدني خلافته؛ العمل فيهم عامّة، وفي بني العبّاس بن عبد المطّلب خاصّة، بطاعته، وطاعة رسوله ﷺ، وأن لا أسفك دماً حراماً، ولا أُبيح فرجاً، ولا مالاً إلا ما سفكته حدود الله، وأباحته فرائضه. وأن أتخيّر الكفاة جهدي، وطاقتي، وجعلت بذلك على نفسي عهداً مؤكّداً يسألني الله عنه، فإنّه ﷻ يقول: ﴿وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾[1]. وإن أحدثت، أو غيّرت، أو بدّلت؛ كنت للغير مستحقّاً، وللنكال مُتعرّضاً. وأعوذ بالله من سخطه، وإليه أرغب في التوفيق لطاعته، والحول بيني وبين معصيته في عافية لي وللمسلمين. **والجامعة، والجفر يدلان على ضدّ ذلك.** وما أدري ما يُفعل بي ولا بكم ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾[2].

لكنّي امتثلت أمر أميرالمؤمنين، وآثرت رضاه، والله يعصمني وإياه. وأشهدت الله على نفسي بذلك، وكفى بالله شهيداً.[3]

---

١. سورة الإسراء، الآية: ٣٤.

٢. سورة الأنعام، الآية: ٥٧.

٣. كشف الغمّة: ج٣ ص١٢٨.

لا تستبشر له

ذكر المدائني عن رجاله، قال:

لمّا جلس الرضاﷺ في الخلع بولاية العهد، فأقام بين يديه الخطباء والشعراء، وخفقت الألوية على رأسهﷺ. فذكر عن بعض من حضر ممّن كان يختصّ بالرضاﷺ أنّه قال: كنت بين يديه في ذلك اليوم، فنظرﷺ إليّ وأنا مستبشر بما جرى، فأومأﷺ إليّ أن أدن، فدنوت منهﷺ، فقال لي من حيث لا يسمعه غيري: لا تُشغل قلبك بهذا الأمر، ولا تستبشر له، فإنّه شيء لا يتم.[١]

خطبتهﷺ بعد البيعة

روى الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضاﷺ، بسنده: عن القاسم أيّوب العلوي: لمّا أراد المأمون أن يستعمل الرضاﷺ جمع بني هاشم، فقال لهم: إنّي أُريد أن استعمل الرضاﷺ على هذا الأمر من بعدي. فحسده بنو هاشم، وقالوا: أتولّي رجلاً جاهلاً ليس له بصر بتدبير الخلافه!؟ فابعث إليه رجلاً ياتنا فترى من جهله ما تستدلّ به عليه. فبعث إليه، فأتاه. فقال له بنو هاشم: يا أبا الحسن، اصعد المنبر، وانصب لنا علماً نعبد الله عليه. فصعدﷺ المنبر، فقعد ملياً لا يتكلّم، مُطرقاً، ثمّ انتفض انتفاضة، واستوى قائماً، وحمد الله تعالى وأثنى عليه، وصلّى على نبيّه، وأهلِ بيته، ثمّ قال:

أوّل عبادة الله تعالى معرفته، وأصل معرفة الله توحيده، ونظام توحيد الله نفى الصفات عنه، لشهادة العقول أنّ كلّ صفة وموصوف مخلوق، وشهادة كلّ موصوف أنّ له خالقاً ليس بصفة، ولا موصوف، وشهادة كلّ صفة وموصوف

---

١. الإرشاد للمفيد: ص٢٩١.

بالإقتران، وشهادة الإقتران بالحدوث، وشهادة الحدوث بالإمتناع من الإزل الممتنع من الحدوث. فليس الله مَن عُرف بالتشبيه ذاته، ولا إياه وحدّه مَن اكتنهه، ولا حقيقته أصاب مَن مثّله، ولا به صدّق مَن نهاه، ولا صمد صمده مَن أشار إليه، ولا إياه عنى مَن شبّهه، ولا له تذلّل مَن بعّضه، ولا إياه أراد مَن توهمه. كلّ معروف بنفسه مصنوع، وكلّ قائم في سواه معلول؛ بصُنع الله يُستدلّ عليه، وبالعقول تُعتقد معرفته، وبالفطرة تثبت حجّته. خلق الخلق حجاباً بينه وبينهم، ومباينته إياهم، ومفارقته أينيتهم، وابتداءه إياهم دليلهم على أن لا ابتداء له لعجز مبتدأ عن ابتداء غيره، وأدوات إياهم دليلهم أن لا أدوات فيه لشهادة الأدوات بفاقة المادّين. فأسمائه تعبير، وأفعاله تفهيم، وذاته حقيقه، وكُنهه تفريق بينه وبين خلقه، وغيوره تحديد لما سواه. فقد جهل الله من استوصفه، وقد تعدّاه من اشتمله، وقد أخطاه من اكتنهه، ومَن قال: كيف؟ فقد شبّهه، ومَن قال: لِمَ؟ فقد علّله، ومَن قال: متى؟ فقد وقّته، ومَن قال: فيم؟ فقد ضمّنه، ومَن قال: إلى مَ؟ فقد نهاه، ومَن قال: حتّى مَ؟ فقد غيّاه، ومَن غيّاه، فقد غاياه، ومَن غاياه، فقد جزّاه، ومَن جزّاه، فقد وصفه، ومَن وصفه، فقد ألحد فيه. ولا يتغيّر الله بانغيار المخلوق كما لا يتحدّد بتحديد المحدود، أحد لا بتأويل عدد، ظاهر لا بتأويل المباشرة، مُتجلّي لا باستقلال رؤية، باطن لا بمزايلة، مباين لا بمسافة، قريب لا بمداناة، لطيف لا بتجسّم، موجود لا بعد عدم، فاعل لا باضطرار، مُقدّر لا بحول فكرة، مُدبّر لا بحركة، مُريد لا بهمامة، شاء لا بهمّة، مُدرك لا بمحسّة، سميع لا بآلة، بصير لا بأداة. لا تصحبه الأوقات، ولا تضمّنه الأماكن، ولا تأخذه السنات، ولا تحدّه الصفات، ولا تُقيّده الأدوات. سابق الأوقات كونه، والعدم

وجوده، والإبتداء أزله. بتشعيره المشاعر عُرف أن لا مُشعر له، وبتجهيره الجواهر عُرف أن لا جوهر له، وبمضادّته بين الأشياء عُرف أن لا ضدّ له، وبمقارنته بين الأمور عُرف أن لا قرين له. ضادّ النور بالظلمة، والجلاية بالبُهم[١]، والحسو[٢] بالبلل، والصرد[٣] بالحرور. مؤلّف بين متعادياتها، مفرّق بين متدانياتها، دالّة بتفريقها على مُفرّقها، وبتأليفها على مُؤلّفها، ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٤]. ففرّق بها بين قبل وبعد؛ ليُعلم أن لا قبل له، ولا بعد. شاهده بغرائزها أن لا غريزة لمُغرزها، دالّة بتفاوتها أن لا تفاوت لمُفاوتها، مُخبرة بتوقيتها أن لا وقت لمُوقّتها، حجب بعضها عن بعض؛ ليُعلم أن لا حجاب بينه وبينها غيرها. له معنى الربوبيّة إذ لا مربوب، وحقيقه الإلهيّة إذ لا مألوه، ومعنى العالم ولا معلوم، ومعنى الخالق ولا مخلوق، وتاويل السمع ولا مسموع، ليس مُذ خلق استحقّ معنى الخالق، ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البرائية. كيف؟ وتغيّبه مُذ، ولا تُدنيه قد، ولا يحجبه لعلّ، ولا توقّته متى، ولا يشتمله حين، ولا تُقاربه مع. إنّما تحدّ الأدوات أنفسها، وتُشير الآلة إلى نظائرها، وفي الأشياء يوجد أفعالها؛ منعتها مُذ القديمة، وحمتها قد الأزليّة. لولا الكلمة افترقت فدلّت على مُفرقها، وتباينت فأعربت عن مُباينها لما تجلّى صانعها للعقول، وبها احتجب عن الرؤية، وإليها تحاكم الأوهام، وفيها أُثبت غيره، ومنها أُنيط الدليل، وبها عرفها الإقرار، وبالعقول يعتقد التصديق بالله، وبالإقرار يكمل الإيمان به، ولا ديانة إلا بعد معرفة، ولا معرفة إلا بالإخلاص، ولا إخلاص مع التشبيه، ولا

---

١. أي، الأُمور المشكلة.

٢. الحسو ـ بالحاء المهملة ـ : ما ت ـ نشّفه الأرض.

٣. الصرد: البرد. وهو ضدّ الحرّ.

٤. سورة الذاريات، الأية: ٤٩.

نفي مع إثبات الصفات للتشبيه. فكلّ ما في الخلق يوجد في خالقه، وكلّ ما يمكن فيه يمتنع في صانعه، لا تجري عليها الحركة، والسكون. وكيف يُجري عليه ما هو أجراه، أو يعود فيه ما هو ابتداه؟! إذاً لتفاوتت ذاته، ولتجزء كُنهه، ولامتنع من الأزل معناه، ولما كان للبارى معنى غير معنى المبروء. ولو حُدّ له وراء إذاً لحُدّ له أمام، ولو إلتمس له التمام إذاً لزمه النقصان. كيف يستحقّ الأزل من لا يمتنع من الحدوث؟! وكيف ينشئ الأشياء مَن يمتنع من الإنشاء؟! وإذاً لقامت فيه آية المصنوع، ولتحوّل دليلاً بعدما كان مدلولاً عليه. ليس في مجال القول حجّة، ولا في المسألة عنه جواب، ولا في معناه لله تعظيم، وفي إبانته عن الخلق ضيم إلا بامتناع الأزلي أن يثنى، ولما لا بدئ له أن يبتدء. لا إله إلا الله العلي العظيم. كذب العادلون، وضلّوا ضلالاً بعيداً، وخسرو خسراناً مبيناً.

وصلّى الله على محمّد، وأهل بيته الطاهرين.[1]

مدارس آيات

بعد أن تمّ الأمر في ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام، وأُجريت المراسم المتعلَّقة بذلك؛ صدح روح القدس مدوّياً من على لسان دعبل الخزاعي وهو يُشير إلى ثبات الحقّ الشرعي لآل البيت عليهم السلام بإرث النبي صلى الله عليه وآله، وأنّهم الوريث الأوحد لرسول الله صلى الله عليه وآله دون سائر الناس، فضلاً عن بيانه لقدسية الإمام الرضا عليه السلام، وقدسية آبائه وأجداده عليهم السلام، ومُشيداً بمنزلتهم الروحيّة عند الله عزّ وجلّ، وسمو شرفهم لدى العالم الإسلامي أجمع؛ فكان ما أنشده بين يدي الإمام الرضا عليه السلام عظيم الأثر في صفحات التاريخ. كما في قصيدته التي نقتصر منها على بعض ما أنشده قائلاً:

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص١٣٥ ح٥١.

ذكـرت محـلّ الربـع مـن عرفـات ... فأسـبلت دمـع العـين بـالعبرات
وقلّ عُرى صبري وهاجت صبابتي ... رسـوم ديـار أقفـرت وعـرات
مـدارس آيـات خلـت مـن تـلاوة ... ومنـزل وحـي مقفـر العرصـات
لآل رسـول الله بـالخيف مـن منـى ... وبالبيـت والتعريـف والجمـرات
ديـار علـي والحـسين وجعفـر ... وحمـزة والـسجاد ذي الثفنـات
ديـار عفاهـا جـور كـلّ معانـد ... ولم تعـف بالأيـام والـسنوات
ديـار لعبـد الله والفـضل صـنوه ... سـليل رسـول الله ذي الـدعوات
منـازل كانـت للـصلاة وللتقـى ... وللـصوم والـتطهير والحـسنات
منـازل جبريـل الأمـين يحلّهـا ... مـن الله بالتـسليم والزكـوات
منـازل وحـي الله معـدن علمـه ... سـبيل رشـاد واضـح الطرقـات
منـازل وحـي الله ينـزل حولهـا ... علـى أحمـد الروحـات والغـدوات
فأين الأولى شطت بهم غربة النوى ... افـانين في الأقطـار مختلفـات
هـم آل مـيراث الـنبي إذا انتمـوا ... وهـم خـير سـادات وخـير حمـاة
مطـاعيم في الأعسار في كل مـشهد ... فقـد شـرّفوا بالفـضل والبركـات
إذا لم نـنـاج الله في صـلواتنا ... بـذكرهم لم يقبـل الـصلوات
أئمـة عـدل يهتـدى بفعـالهم ... ونـؤمن مـنهم زلـة العثـرات
فيـا رب زد قلـبي هـدىً وبـصيرة ... وزد حـبّهم يـا رب في حـسنات
ديـار رسـول الله أصـبحن بلقعـا ... ودار زيـاد أصـبحت عمـرات
وآل رسـول الله هلـب رقـابهم ... وآل زيـاد غلـظ القـصرات
وآل رسـول الله تـدمى نحـورهم ... وآل زيـاد زينـوا الحجـلات
وآل رسـول الله تـسبى حـريمهم ... وآل زيـاد آمنـوا الـسربات
وآل زيـاد في القـصور مـصونة ... وآل رسـول الله بـالفلوات
فيـا وارثـي علـم الـنبي وآلـه ... علـيكم سـلامي دائـم النفحـات
لقـد آمنـت نفـسي بكـم في حياتهـا ... وإنـي لأرجـو الأمـن عنـد ممـات
يخـبرّن بالأنفـاس عـن سـر أنفـس ... أسـارى هـوى مـاض وآخـر آت

فاسعدن أو اسجفن حتى تقوضت صفوف الدجى بالفجر منهزمات
على العرصات الخاليات من ألمها سلام شج صبّ على العرصات
فعهدي بها خضر المعاهد مالفا من العطرات البيض والخفرات
ليالي يعدين الوصال على القلى ويعدى تدانينا على العزبات
وإذ هنّ يلحظن العيون سوافرا ويسترن بالأيدي على الوجنات
وإذ كل يوم لي بلحظي نشوة يبيت بها قلبي على نشوات
فكم حسرات هاجها بمحسر وقوفي يوم الجمع من عرفات[١]

تمرّد بني العباس على البيعة

يبين لنا التاريخ أنّ الإمام الرضاعَلَيْهِ‌السَّلَامُ قد استجاب للأمر الواقع على مضض في قبوله لولاية العهد، إلا أنّهعَلَيْهِ‌السَّلَامُ اشترط على المأمون أن لا يتدخل في أمور الدولة إثباتاً، ونفياً ما دام المأمون على قيد الحياة؛ فأجابه المأمون إلى ذلك.

وبالرغم من مشورة الحسن بن سهل للمأمون في عدم إبرام ذلك الأمر؛ إذ جعل يُعظّم ذلك عليه، ويُعرّفه ما قد يستتبع من خطورة لدى بني العبّاس وهم يرون إخراج الأمر من بيوتهم إلى آل عليعَلَيْهِم‌السَّلَامُ، وما قد يجرّه من فتن وحروب بعدم انصياعهم لهذا التحوّل الفجائي في نقل الخلافة من بيت العباسيين إلى بيت العلويين؛ إلا أنّ المأمون قد أصدر أوامره بأخذ البيعة من الأمصار للرضاعَلَيْهِ‌السَّلَامُ؛ فاستجابت الأغلبية للأمر إلا بغداد، وإن شئت فقل: إلا وكر بني العباس، ولعلّ الحسن بن سهل قبل مشورته تلك كان متأكّداً ممّا سيولده هذا الأمر من ردّ فعل لدى العباسيين.

ولم يكن صدق ظنّ الحسن بن سهل في تحذيره للمأمون قد سبق ظنّ

---

١. راجع مختصر أخبار شعراء الشيعة للمرزباني: ص٩٩، دعبل بن علي الخزاعي. وكمال الدين للصدوق:

المأمون نفسه، فهو أعرف بأهله وأقربائه، ولم يكن غافلاً عمّا سيؤول إليه أمرهم بعد ذلك.

أجل، فلمّا بلغ أمر بيعة المأمون بولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام بغداد ـ مركز العائلة العباسيّة، ومسندها الأكبر ـ تشنّجت بيوتات العباسيين إثره تشنجات عنيفة أحدثت هزّة عظيمة في أغلب حواضر العراق، فضلاً عن عاصمتها بغداد؛ ذلك لأنّها وبالرغم من كونها عاصمة ملك العباسيين، والدعامة التي شادوها، وشيدوا عليها امبراطوريتهم، فإنّ أغلب سكانها كانوا يمتثلوا على إبداء الطاعة العمياء لحفظ الولاء لهم.

ص٣٧٢ رقم٦. والإرشاد للمفيد: ج٢ ص٢٦٣، الإمام الرضا عليه السلام. ومناقب آل أبي طالب للمازندراني: ج٣ ص٤٥٠، باب إمامة علي بن موسى الرضا عليه السلام.

أقول: اقتصرنا على ذكر أنشودة الخزاعي دون سواها؛ لما لها من وقع الأثر في التفصيل، والبيان الذي حكت قسمات وجهه السيرة المُعذّبة، والفريدة لأهل البيت عليهم السلام. الأمر الذي توخّينا فيه عدم ذكر كثير من القصائد، والأبيات التي أرّخت لتلك الواقعة الشهيرة، فضلاً عن حاكمية المناسبة من هذا الكتاب في الإكتفاء بادلّ أثر ممّا خبر، وإلا فقد روى الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام، بسنده: عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي، قال: إنّ المأمون لمّا جعل علي بن موسى الرضا عليه السلام وليّ عهده وأنّ الشعراء قصدوا المأمون، ووصلهم بأموال جمّة حين مدحوا الرضا عليه السلام، وصوبوا رأي المأمون في الأشعار دون أبي نواس؛ فأذنه، ولم يقصده، ولم يمدحه، ودخل على المأمون، فقال له: يا أبا نواس، قد علمت مكان علي بن موسى الرضا منّي، وما أكرمته به؛ فلماذا أخّرت مدحه وأنت شاعر زمانك وقريع ١ دهرك !؟

فأنشد يقول:

قيل لي أنت أوحد طراً ... في فنون من الكلام النبيه
لك من جوهر الكلام بديع ... يثمر الدرّ في يدي مجتنيه
فعلى ما تركت مدح ابن موسى ... والخصال التي تجمّعن فيه
قلت لا أهتدي لمدح إمام ... كان جبرئيل خادماً لأبيه

فقال المأمون: أحسنت. ووصله من المال بمثل الذي وصل به كافّة الشعراء، وفضّله عليهم

وإن شبّت النفوس على اتّباع منهج، فمن العسير أن تتبّدل عاجلاً، وقد لا يتسنى التغيير بالسهولة حتّى ولو كان أولوا الأمر أنفسهم متفقين على ذلك، فكيف وزعماء بني العباس في بغداد كان أغلبيتهم لا تقرّ للمأمون ابتعاده عنهم بنقل عاصمة ملكه إلى مرو خراسان، وتفضيله العنصر الفارسي؟! فقد أنكروا عليه كلّ ذلك، وتقوّلوا فيه، ولم يحاول المأمون في بادئ أمره ـ ربّما للظروف المحيطة التي كانت تمنعه من الإستجابة لرغباتهم ـ أن يُغيّر من رأيه في أهل بغداد، أو أن يستميلهم نحو برنامجه التصحيحي، ولم يكتف بذلك حتّى طرق أسماع القوم النبأ العظيم، والحدث الخطير الذي صدع بنقل الخلافة من البيت العباسي إلى البيت العلوي؛ الموقف الذي أودى بذوي النفوذ والمناصب والمراتب من العباسيين وخاصّتهم في بغداد لأن يُشنّوا عصياناً شاملاً عمّ جميع المرافق الحيويّة؛ فالتاريخ يشير إلى أنّ المأمون قد أنفذ كتاب البيعة لواليه الحسن بن سهل، ثمّ أنفذه الحسن بدوره إلى بغداد على يد عيسى بن محمد بن أبي خالد، وأعلمه أنّ المأمون جعل الإمام الرضا عليه السلام ولي عهده من بعده؛ وذلك أنّه نظر في بيت العباس، وبيت علي عليه السلام فلم يجد أحداً أفضل، ولا أورع، ولا أعلم منه عليه السلام. وأمر بطرح لبس الثياب السود؛ مستبدلاً بها الشعار الأخضر، وأمره أن يأمر من قبله من أصحاب الجند، والقواد، وبني هاشم بالبيعة له عليه السلام، وأن يأخذهم بلبس الخضرة في أقبيتهم، وقلانسهم، وأعلامهم. ويأخذ أهل بغداد إلى ذلك.

فبعضهم قالوا: نبايع، ونلبس الخضرة، وقال بعضهم: لا نبايع، ولا نلبس الخضرة. فبعض العباسيين، وأهل بغداد امتثلوا أمر المأمون، وبايعوا للإمام الرضا عليه السلام بولاية العهد، ولبسوا الأخضر، وبعضهم تمردّوا وقالوا: لا نُخرج هذا الأمر من بيت العباس. فغضب العباسيون، ومن معهم من أهل بغداد على المأمون، فاجتمعوا وتكلّموا في الأمر، وقالوا: نولّي بعضنا، ونخلع المأمون.

وممّا ساعد على هياج العباسيين، وأتباعهم في بغداد، قضية هرثمة بن أعين[١] من قبل المأمون؛ فإنّ لهذه الحادثة علاقة وثقى باضطراب حبل الأمن في بغداد، والنقمة على الحسن بن سهل، والمناداة بخلع المأمون، ورفض بيعته، كما أنّ لها علاقة وثقى بتذمّر المأمون من الفضل بن سهل، وإخبار الإمام الرضا عليه السلام بجلية الحالة في العراق، وخروج المأمون من مرو إلى بغداد.

---

١. لمّا انتهى هرثمة من ثورة أبي السرايا، عاد إلى النهروان دون أن يُعرّج على بغداد، أو المدائن لمقابلة الحسن بن سهل، وهناك وافاه أمر المأمون بتولّيه حكم سوريا وبلاد العرب، وكان قد اعتزم الذهاب إلى مرو مباشرة ليكشف للمأمون عن حقيقة الموقف، وحرجه الذي كان يخفيه عنه وزيره الفضل بن سهل، وأنّه إن بقي في مرو، وترك بغداد تحت رعاية الحسن بن سهل، ولم يعد هو إليها؛ ستخرج هي، والغرب جميعاً من يده سريعاً.

فعلم الفضل بن سهل بما يُريد هرثمة، فقال للمأمون: إنّ هرثمة قد أفسد عليك البلاد والعباد، وظاهر عليك عدوّك، وعادى وليّك، ودسّ أبا السرايا، وهو جندي من جنده، حتّى فعل ما فعل، ولو شاء هرثمة أن لا يفعل ذلك أبو السرايا ما فعله، وقد كتب إليه أميرالمؤمنين عدّة كتب أن يرجع قبلي الشام، أو الحجاز فأبى، ورجع إلى باب أميرالمؤمنين عاصياً منساقاً، يُظهر القول الغليظ، ويتواعد بالأمر الجليل وإن أطلق، وهذا كان مفسدة لغيره.

فأشرب قلب المأمون على هرثمة، وابطاء هرثمة في المسير، فلم يصل إلى خراسان حتّى كان ذو العقدة ورد مرو، فلمّا بلغ مرو خشى أن يكتم الفضل قدومه؛ فضرب بالطبول لكي يسمعها المأمون، فقال: ما هذا؟ قالوا: هرثمة أقبل، يرعد ويبرق، وظنّ هرثمة أن قوله مقبول عند المأمون، ومسموع.

فأمر بإدخاله .. فلمّا حضر بين يديه بالغ في تقريعه وتأنبيه في تسكين ثورة أبي السرايا، وفي مخالفة ما أصدر إليه من أمره بالذهاب إلى ما ولاه من أعمال، ثم سأله مما تأخر؟

قال: من نقرس، ولا يمكنني أمشي في محفّة، وكلم المأمون بكلام غليظ، وكان قد دخل معه يحيى بن عامر بن إسماعيل الحارثي الذي قال للمأمون: السلام عليك يا أمير الكافرين!! فأخذته السيوف في مجلس المأمون حتّى قُتل.

فقال له هرثمة: قدّمت هذا المجوسي ـ الفضل بن سهل ـ على أوليائك وأنصارك؟!

وأراد هرثمة أن يتكلّم أكثر من ذلك، ويعتذر، ويدفع عن نفسه ما اتُّهم به، فلم يقبل ذلك منه، إذ كان صدره موغراً عليه، فأمر به؛ فوجيء على نفسه، وديس ببطنه، وسحب بين يديه .. فحبس، وبعد أيام دسّوا إليه السمّ؛ فقتلوه. عن الإمام الرضا عليه السلام ولي عهد المأمون: ص٦٩.

ولم يكن عمل المأمون من جميع ذلك بمصلحة سياسته، لا سيّما وأنّ الحركات، والثورات في بعض أقطار ملكه كانت لا تزال باقية بعد؛ ولم يكن لسوء فعل المأمون من ذلك سوى إحتمال أنّه كان تحت وطأة الظروف والأحوال مرغماً على الوقوع في هذه الغلطة السياسية، أو لعلّه كان يتحاشى بذلك خطراً أجسم، وأوسع نطاقاً، وأبعد مدى، يتجسّد بإغضاب الفضل بن سهل، وجماعته.

ومهما كان فإن تلك الإهانة التي صدرت من المأمون بحقّ القائد الخبير هرثمة بن أعين، وما آل إليه مصيره صارت موجبة للنداء بخلع المأمون في بغداد، ورفض بيعته.

نعم، لمّا بلغ خبر إهانة المأمون لهرثمة، وموته في السجن مسموماً، فضلاً عن ورود الخبر بعقد المأمون العهد بعده لعلي بن موسى الرضا عليه السلام؛ هاج جند الحربيّة، وثاروا على الحسن بن سهل؛ فأخرجوه من بغداد، واستخفّوا بأمر المأمون؛ وعمد أهل بغداد إلى منصور بن مهدي، وطلبوا إليه أن يبايعوه على الخلافة، ويخلعوا المأمون؛ فأبى ذلك عليهم، قائلاً: أنا خليفة المأمون حتّى يقدم بغداد؛ فعدلوا عنه إلى إبراهيم بن المهدي المعروف بـ«ابن شكلة» فبايعوه بالخلافة، وسمّوه: المبارك.[1]

فوضى بغداد

كان السبب في ذلك أنّ فسّاق الحربيّة، والشطّار الذين كانوا ببغداد، والكرخ آذوا الناس أذى شديداً، وأظهروا الفسق، وقطع الطريق، وأخذ الغلمان، والنساء

---

١. راجع تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج ٦٠ص٣٥٤.

علانية من الطرق؛ فكانوا يجتمعون فيأتون الرجل فيأخذون ابنه فيذهبون به، فلا يقدر أن يمتنع، وكانوا يسألون الرجل أن يقرضهم، أو يصلهم، فلا يقدر أن يمتنع عليهم وكانوا يجتمعون فيأتون القرى فيكاثرون أهلها، ويأخذون ما قدروا عليه من متاع، ومال، وغير ذلك؛ لا سلطان يمنعهم، ولا يقدر على ذلك منهم؛ لأنّ السلطان كان يعتزّ بهم، وكانوا بطانته؛ فلا يقدر أن يمنعهم من فسق يركبونه. وكانوا يُجبون المارّة في الطرق، والسفن، وعلى الظهر، ويخفرون البساتين، ويقطعون الطرق علانية، ولا أحد يعدو عليهم، وكان الناس منهم في بلاء عظيم، ثمّ كان آخر أمرهم أنّهم خرجوا إلى قطربل[١] فانتهبوها علانية، وأخذوا المتاع، والذهب، والفضّة، والغنم، والبقر، والحمير، وغير ذلك، وأدخلوها بغداد، وجعلوا يبيعونها علانية، وجاء أهلها فاستعدوا السلطان عليهم؛ فلم يمكنه إعداؤهم عليهم، ولم يرد عليهم شيئاً ممّا كان أُخذ منهم... فلمّا رأى الناس ذلك، وما قد أُخذ منهم، وما بيع من متاع الناس في أسواقهم، وما قد أظهروا من الفساد في الأرض، والظلم، والبغي، وقطع الطريق، وأنّ السلطان لا يُغيّر عليهم؛ قام صلحاء كلّ ربض، وكلّ درب، فمشى بعضهم إلى بعض، وقالوا: إنّما في الدرب الفاسق، والفاسقان إلى العشرة، وقد غلبوكم وأنتم أكثر منهم، فلو اجتمعتم حتّى يكون أمركم واحداً؛ لقمعتم هؤلاء الفسّاق، وصاروا لا يفعلون ما يفعلون من إظهار الفسق بين أظهركم. فقام رجل من ناحية طريق الأنبار يُقال له «خالد الدريوش» فدعا جيرانه، وأهل بيته، وأهل محلّته على أن يُعاونوه على الأمر

---

١. قطربل ـ بالضمّ، ثمّ السكون، ثمّ فتح الراء، وباء موحّدة مشدّدة مضمومة، ولام. وقد روي: بفتح أوّله وطائه، وأمّا الباء فمشدّدة مضمومة في الروايتين ـ : وهي كلمة أعجميّة، اسم قرية بين بغداد وعكبرا يُنسب إليها الخمر، وما زالت متنزّهاً للبطّالين، وحانة للخمّارين. معجم البلدان للحموي: ج٤ ص٣٧١ «باب القاف والطاء».

بالمعروف، والنهي عن المنكر. فأجابوه إلى ذلك، وشدّ على من يليه من الفسّاق، والشطّار، فمنعهم ممّا كانوا يصنعون، فامتنعوا عليه، وأرادوا قتاله... ثمّ قام من بعده رجل من أهل الحربيّة يُقال له «سهل بن سلامة الأنصاري» من أهل خراسان يُكنى «أبا حاتم» فدعا الناس إلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والعمل بكتاب الله ﷻ، وسنة نبيّه ﷺ وعلّق مصحفاً في عُنقه ثمّ بدا بجيرانه، وأهل محلّته، فأمرهم ونهاهم؛ فقبلوا منه، ثمّ دعا الناس جميعاً إلى ذلك، الشريف منهم والوضيع، بني هاشم ومن دونهم، وجعل له ديواناً يثبّت فيه اسم من أتاه منهم فبايعه على ذلك، وقتال من خالفه، وخالف ما دعا إليه، كائناً من كان؛ فأتاه خلق كثير، فبايعوا.

ثمّ إنّه طاف ببغداد، وأسواقها، وأرباضها، وطرقها، ومنع كلّ من يخفر، ويجبي المارّة، والمختلفة، وقال: لا خفارة[1] في الإسلام. فقوي على ذلك إلا أنّ الدريوش خالفه، وقال: أنا لا أعيب على السلطان شيئاً، ولا أُغيره، ولا أُقاتله، ولا آمره بشيء، ولا أنهاه. وقال سهل بن سلامة: لكنّي أُقاتل كلّ من خالف الكتاب، والسنّة؛ كائناً من كان سلطاناً، أو غيره. والحقّ قائم في الناس أجمعين. فمن بايعني على هذا؛ قبلته، ومن خالفني؛ قاتلته...

وقد كان عيسى يُكاتب الحسن بن سهل، فلمّا بلغه خبر بغداد سأل الحسن بن سهل أن يعطيه الأمان له، ولأهل بيته، ولأصحابه على أن يعطي الحسن، وأصحابه، وجنده، وسائر أهل بغداد رزق ستّة أشهر إذا أدركت له الغلّة؛ فأجابه الحسن، وارتحل عيسى من معسكره فدخل بغداد يوم الأثنين لثلاث عشرة خلت من شوّال، وتقوضت جميع عساكرهم، فدخلوا بغداد، فأعلمهم عيسى ما

---

١. والخفارة: إنّه كان يأتي الرجل بعض أصحاب البساتين، فيقول: بستانك في خفري أدفع عنه من أراده بسوء، ولي في عُنقك كلّ شهر كذا، وكذا درهماً. فيُعطيه ذلك شائياً، وآبياً.

دخل لهم فيه من الصلح؛ فرضوا بذلك...

وتحول منصور بن المهدي، وخزيمة بن خازم، والفضل بن الربيع، وكانوا يوم تحولوا بايعوا سهل بن سلامة على ما يدعو إليه من العمل بالكتاب، والسنّة، فنزلوا بالحربية فراراً من الطلب، وجاء سهل بن سلامة إلى الحسن، وبعث إلى المطّلب أن يأتيه، وقال: ليس على هذا بايعتني. فأبى المطّلب أن يجيئه؛ فقاتله سهل يومين، أو ثلاثة قتالا شديداً حتّى اصطلح عيسى، والمطّلب، فدسّ عيسى إلى سهل من اغتاله؛ فضربه ضربة بالسيف إلا أنّها لم تعمل فيه، فلمّا اغتيل سهل، رجع إلى منزله، وقام عيسى بأمر الناس، فكفّوا عن القتال.

وقد كان حميد بن عبد الحميد مقيما بالنيل، فلمّا بلغه هذا الخبر، دخل الكوفة فأقام بها أياماً ثمّ إنّه خرج منها حتّى أتى قصر ابن هبيرة، فأقام به، واتّخذ منزلاً، وعمل عليه سوراً، وخندقاً وذلك في آخر ذي القعدة، وأقام عيسى ببغداد يعرض الجند، ويُصحّحهم إلى أن تدرك الغلّة، وبعث إلى سهل بن سلامة فاعتذر إليه ممّا كان صنع به، وبايعه، وأمره أن يعود إلى ما كان عليه من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأنّه عونه على ذلك. فقام سهل بما كان قام به أوّلا من الدعاء إلى العمل بالكتاب، والسنّة.[1]

بيعة إبراهيم بن المهدي

نقم العباسيون على المأمون نقمة كبرى ببيعته للإمام الرضا عليه السلام بولاية العهد، فاضطروا الحسن بن سهل للمرّة الثانية إلى الخروج عن بغداد، وأظهر العباسيون في بغداد «٥ ذي الحجة سنة ٢٠١» إنّهم بايعوا لإبراهيم بن المهدي بالخلافة،

---

١. راجع تاريخ الطبري: ج٧ ص١٣٦، أخبار سنة ٢٠١.

ومن بعده ابن أخيه إسحاق بن موسى الهادي بن المهدي، وأعلنوا خلع المأمون.

فلمّا كان يوم الجمعة، وأرادوا الصلاة، أرادوا أن يجعلوا إبراهيم خليفة للمأمون مكان الأمير منصور، فأمروا رجلاً أن يقوم حين أذّن المؤذّن فيقول: إنّا نُريد أن تدعو للمأمون، ومن بعده لإبراهيم. وقد دسّوا قوماً، فقالوا لهم: إذا قام يدعو للمأمون، فقوموا أنتم فقولوا: لا نرضى إلا أن تبايعوا لإبراهيم، ومن بعده لإسحاق، وتخلعوا المأمون.

فلمّا قام من يتكلّم، أجابه هؤلاء بما كان المقرّر بينهم، فلم يصلّ بهم تلك الجمعة صلاتها أحد، وصلّى الناس صلاة الظهر، وبالتالي اجتمع قواد الحربيّة فبايعوا لإبراهيم بالخلافة، فصلّى بالناس ببغداد، وعسكر بكلواذي، ومعه الفضل بن الربيع، وجماعة آخرين.

وأمّا مَن لم يبايعه، وكان في طاعة المأمون فانضّم إلى حميد بن عبد الحميد الطائي الطوسي.[1]

صدى البيعة

حين ولي العباس بن موسى بن جعفر عليهما السلام الكوفة كان حميد بن عبد الحميد قد أعانه بمائة ألف درهم، وقال له: قاتل عن أخيك ـ الرضا عليه السلام ـ فإنّ أهل الكوفة يُجيبونك إلى ذلك، وأنا معك.

فابتدأ العباس في أخذ البيعة، فأجابه قوم كثير منهم، وقال له قوم آخرون: إن كنت تدعو إلى أخيك، وبعض أهل بيتك، أو إلى نفسك أجبناك. فقال: أنا أدعو

---

١. راجع تاريخ الطبري: ج ٧ ص١٤٠.

إلى المأمون، ثمّ من بعده لأخي. فكان حميد بن عبد الحميد كان يشدّ أزره، والحسن بن سهل كان يرسل إليه المدد.

وما إن علم إبراهيم بن المهدي باختلاف الرأي في الكوفة حتّى أمر جنده المعسكر في النيل بقيادة سعيد، وأبي البط بمهاجمة الكوفة، وقبل وصولهم نحو المقصد اعترضتهم قوّة علويّة بقيادة علي بن محمد بن جعفر العلوي، وأبي عبد الله، أخو أبي السرايا في موضع يُقال له: القنطرة... فتمكّن جيش إبراهيم المهدي من الإنتصار حتى تقدّم نحو الكوفة، وكان شعارهم أثناء القتال: «يا إبراهيم يا منصور، لا طاعة للمأمون» وكانوا يرتدون السواد، وأمّا أصحاب العباس فكان رداؤهم الأخضر.

وأهل الكوفة عجزوا عن المقاومة، فاضطرّوا العباس لإنهاء الحرب بالمصالحة مع سعيد؛ فأرسلوا وفداً ليطلبوا الأمان من سعيد للعباس، وأصحابه على أن يخرج من الكوفة، وكانوا قد دبّروا ذلك قبل أن يأخذوا رأي العباس، وبعد أن تمّت المفاوضة بين الوفد وقائد جيش إبراهيم؛ قدموا إلى العباس فاعلموه ما صنعوا، وقالوا له: إنّ عامّة من معك غوغاء، وقد ترى ما يلقي الناس من الحرق، والنهب، والقتل؛ فاخرج من بين أظهرنا فلا حاجة لنا فيك.

وهكذا دخل جيش إبراهيم بن المهدي الكوفة، ونادى مناديهم: أمن الأبيض والأسود. ولم يتعرّضوا لأحد من الناس، وسلطتهم على الكوفة كانت باقية حتّى معركة واسط، التي انتهت بانتصار جيش الحسن بن سهل، فصارت لهم السلطة عليها في رجب سنة٢٠٢ هـ فأرسل الحسن حميد بن عبد الحميد إليها.[١]

أمّا في البصرة؛ فلم يبق أحد إلا لبس الخضرة إلا إسماعيل بن علي

---

١. راجع تاريخ الطبري: ج ٧ ص١٤٣.

الهاشمي، فإنّه كان عامل للمأمون على البصرة، لمّا بلغه خبر بيعة المأمون للرضاعليه السلام بولاية العهد؛ امتنع عن البيعة، وعن لبس الخضرة، وأظهر الخلع.

فوجّه إليه المأمون عيسى بن يزيد الجلودي، فهرب إسماعيل من غير حرب وقتال، ودخل الجلودي البصرة، وإسماعيل صار إلى الحسن بن سهل، فحبسه الحسن، ثم كتب في أمره إلى المأمون، وكتب المأمون بحمله إلى مرو... فلما صار بالقرب من مرو، أمر المأمون أن يُرد إلى جرجان، فيُحبس بها، ثمّ رضي عنه بعد حين.[1]

صدى البيعة في مكّة

ولقد وجّه المأمون أمر أخذ البيعة في مكّة المكرّمة مع عيسى الجلودي، وكان فيها إبراهيم ـ الأكبر ـ ابن الإمام موسى بن جعفرعليهما السلام وكان يدعو إلى المأمون، فلمّا قدم الجلودي ومعه الخضرة وبيعة الإمام الرضاعليه السلام خرج إبراهيم فتلقّاه وبايع الناس للرضاعليه السلام بمكّة، ولبسوا الأخضر.[2]

سياسة المأمون بعد البيعة

بعدما تمّ أمر ولاية العهد للإمام الرضاعليه السلام كان المأمون يتظاهر كثيراً بالفرح والسرور، والتقرّب إلى الإمامعليه السلام؛ وكثيراً ما كان يمضي وقته إلى جانبهعليه السلام خائضاً معهعليه السلام في مواضيع شتى، ولكنّه لم يكن في الواقع بمثل ما يتظاهر به؛ لما كان في قلبه مرض حيال آل البيتعليهم السلام.

وكان الإمامعليه السلام يعلم بسوء نوايا المأمون، وبأنّه غير صادق في أمر ولاية

---

١. راجع تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص٤٤٨.

٢. راجع تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص٤٤٩.

العهد، خصوصاً وأنّ البيعة نفسها كانت من الأمور التي فُرضت على المأمون فرضاً، وكان له فيها غرض سياسي خطير، الأمر الذي لم يكن ليُشجّع على الإطمئنان من سيرة المأمون الظاهريّة مع الإمامعليه السلام. فكلّ مَن كان في حظور تلك الأثناء يفهم أنّ المأمون إنّما قصد من جملة ما قصده شدّ أزره من قبل أتباع العلويين من الفرس، ولا سيّما الخراسانيين منهم. كما إنّ حادثة بعث الإمامعليه السلام ليأمّ الناس بصلاة العيد بتوجيه من المأمون، ثمّ إرجاعه عن وسط الطريق قبل الوصول إلى المصلّى كان يُنبئ جلياً على أنّ المأمون كان كاذباً فيما كان متظاهراً به.

صلاة العيد

روى الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضاعليه السلام، قال: فلمّا حضر العيد؛ بعث المأمون إلى الرضاعليه السلام يسأله أن يركب، ويحضر العيد، ويخطب ليُطمئِن قلوب الناس، ويعرفوا فضله، وتقرّ قلوبهم على هذه الدولة المباركة؛ فبعث إليه الرضاعليه السلام، وقال: قد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط في دخولي في هذا الأمر!؟

فقال المأمون: إنّما أُريد بهذا أن يرسخ في قلوب العامّة، والجند، والشاكريّة[1] هذا الأمر؛ فتطمئن قلوبهم، ويقروا بما فضّلك الله به. فلم يزل يرده الكلام في ذلك، فلما ألحّ عليه، قالعليه السلام: يا أميرالمؤمنين، إن أعفيتني من ذلك؛ فهو أحبّ إلي، وإن لم تعفني؛ خرجت كما كان يخرج رسول اللهصلى الله عليه وآله، وكما خرج أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام.

---

١. الشاكريّة: الأجير، والمستخدم؛ طائفة من الجنود.

فقال المأمون: أُخرج كما تُحبّ. وأمر المأمون القوّاد، والناس أن يُبكّروا إلى باب أبي الحسن، الرضاعليه السلام. فقعد الناس لأبي الحسن، الرضاعليه السلام في الطرقات، والسطوح، من الرجال، والنساء، والصبيان، واجتمع القوّاد على باب الرضاعليه السلام فلمّا طلعت الشمس؛ قام الرضاعليه السلام، فاغتسل، وتعمّم بعمامة بيضاء من قطن، وألقى طرفاً منها على صدره، وطرفاً بين كتفه، وتشمّر[١]، ثمّ قال لجميع مواليه: إفعلوا مثل ما فعلت! ثمّ أخذ بيده عكّازة[٢]، وخرج ونحن بين يديه، وهو حاف قد شمّر سراويله إلى نصف الساق، وعليه ثياب مشمّرة، فلمّا قام ومشينا بين يديه رفع رأسه إلى السماء، وكبّر أربع تكبيرات؛ فخُيّل إلينا أنّ الهواء والحيطان تجاوبه!! والقوّاد، والناس على الباب قد تزيّنوا، ولبسوا السلاح، وتهيئوا بأحسن هيئة، فلمّا طلعنا عليهم بهذه الصورة؛ حفاة قد تشمّرنا، وطلع الرضاعليه السلام؛ وقف وقفة على الباب، قال: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر على ما هدانا. الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام، والحمد لله على ما أبلانا. ورفع بذلك صوته، ورفعنا أصواتنا؛ فتزعزعت[٣] مرو من البكاء، والصياح. فقالها ثلاث مرّات؛ فسقط القوّاد عن دوابّهم، ورموا بخفافهم لمّا نظروا إلى أبي الحسنعليه السلام، وصارت مرو ضجّة واحدة، ولم يتمالك الناس من البكاء والضجيج، وكان أبو الحسنعليه السلام يمشي، ويقف في كلّ عشر خطوات وقفة، فكبّر الله أربع مرّات، فتخيّل إلينا أنّ السماء والأرض، والحيطان تُجاوبه، وبلغ المأمون ذلك، فقال له الفضل بن سهل، ذو الرياستين: يا أميرالمؤمنين، إنّ بلغ الرضا المصلّى على هذا السبيل افتتن به الناس؛ فالرأي أن تسأله أن يرجع. فبعث إليه المأمون، فسأله الرجوع!! فدعا أبو

---

١. شمّر الثوب عن ساقيه: رفعه. تشمّر للأمر: أراده، وتهيأ له.

٢. العكّازة: عصا ذات زج في أسفلها؛ يُتوكأ عليها.

٣. زعزعة: حركة شديدة.

الحسن عليه السلام بخفّه، فلبسه ورجع.[1]

ذكـروا بطلعتـك الـنبي فهلّلـوا لـما طلعت مـن الـصفوف وكبّـروا
حتّـى انتهيـت إلى المـصلّى لابسـاً نـور الهـدى يبـدو عليك فيظهـروا

نعم، هذه الرواية تكشف عن حقيقة المأمون، ووزيره الفضل بـن سـهل بمـا تُظهر من نفاقهما الواقعي، وكذبهما الذي كانا يتظاهران بـه علـى النـاس بـشأن الإمام الرضا عليه السلام، كما وتُعلن عن مـدى جحودهمـا لكـلّ ماكانـا يُـشاهدانه مـن أسباب الإمامة فيه عليه السلام؛ من ورع، وتقوى، ومعاجز، وزهد في الحياة الدنيا، الدنيّة الفانية، وما كان من قولـه عليه السلام، وعملـه فـي الترغيـب علـى التمـسّك بالباقيـات الصالحات في الأُخـرى، وتخوّفهمـا لمـا يـشاهدانه مـن إلتفـاف النـاس حـول الإمام عليه السلام للخصال الحميدة التي لم تكن قد تجسّمت لخليفة مـن خلفـاء الـدنيا الزائلة، ولن تتجسّم؛ لانحصارها بآل بيـت الـوحي، والنبـوّة الطـاهرة؛ آل بيـت النبي صلى الله عليه وآله.

حوادث العراق

تُشير بعض مصادر التاريخ إلى أنّ الإمام الرضا عليه السلام كـان قـد أخبـر المـأمون بكثير ممّا جرى في بغداد، والعراق عمومـاً مـن الحـوادث الخطيـرة التـي كـان يخفيها عنه وزيره الفضل بن سهل.

قال ابن خلدون: لمّا وقعت هذه الفتن بـالعراق بـسبب الحـسن بـن سـهل، ونفور الناس من استبداده وأخيه على المأمون، ثمّ من العهـد لعلـي الرضـا بـن موسى الكاظم، وإخراج الخلافة من بني العباس، وكان الفضل بن سـهل يطـوي ذلك عن المأمون، ويُبالغ في إخفائه؛ حذراً من أن يتغيّر رأي المأمون فيه وفـي

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص١٤٩ ح٢١.

أخيه، ولمّا جاء هرثمة للمأمون، وعلم أنّه يُخبره بذلك، وأنّ المأمون يثقّ بقوله؛ أحكم السعاية فيه عند المأمون حتّى تغيّر له فقتله ولم يصغ إلى كلامه، فازدادت نفرة الشيعة، وأهل بغداد، وكثرت الفتن، وتحدّث القواد في عسكر المأمون بذلك، ولم يقدروا على إبلاغه، فجاؤا إلى علي الرضا وسألوه إنهاء ذلك إلى المأمون؛ فأخبره بما في العراق من الفتنة والقتال، وأنّهم بايعوا إبراهيم بن المهدي. فقال المأمون: إنّما جعلوه أميراً يقوم بأمرهم!

فقال عليه السلام: ليس كذلك؛ وإنّ الحرب الآن قائمة بين ابن سهل وبينه، وإنّ الناس ينقمون عليك مكان الفضل، والحسن، ومكاني، وعهدك لي.

فقال له المأمون: ومن يعلم هذا غيرك؟

فقال عليه السلام: يحيى بن معاذ، وعبد العزيز بن عمران، وغيرهما من وجوه قوّادك. فاستدعاهم، فكتموا حتّى استأمنوا إليه، ثمّ أخبروه بما أخبره به الرضا عليه السلام، وأنّ الناس بالعراق يتّهمونه بالرفض؛ لعهده لعلي الرضا، وأنّ طاهر بن الحسين مع علم أميرالمؤمنين ببلائه قد دُفع إلى الرقّة، وضعف أمره، والبلاد تفتّقت من كلّ جانب، وإن لم يُتدارك الأمر، ذهبت الخلافة منهم؛ فاستيقن المأمون ذلك، وأمر بالرحيل، واستخلف على خراسان غسّان بن عبّاد ـ وهو ابن عمّ الفضل بن سهل ـ وعلم الفضل بن سهل بذلك؛ فشرع في عقاب أولئك القوّاد، فلم يغنه، ولمّا نزل المأمون شرحبيل، وثب بالفضل أربعة نفر فقتلوه في الحمام، وهربوا....[١]

كما ويُستدلّ من مجريات الحوادث التاريخيّة التي واكبت المأمون في مسلسل حياته السياسيّة على نحو الخصوص أنّه لم يكن ليغفل ولو للحظة واحدة في المحافظة على مكانته كخليفة مُمسكاً لأمور مملكته بيدٍ من حديد،

---

١. تاريخ ابن خلدون: ج٣ ص٣١٢، قدوم المأمون إلى العراق.

ولكيلا ينفلت منه زمام الملك، وبهجة السطوة القاهرة فقد بات عازماً لما عُرف عن كثير دهائه الخاص، وبراعته الفائقة لاستحداثه الأساليب الكفيلة في التخلّص من مناوئيه، وألدّائه؛ على استرداد أيٍّ مرفق من مرافق الحكم، أوالقيادة من بين من خُيّل إليه أنّه آمن ولم يزل ذلك المرفق في حوزته.

فالإحتفاظ بسلامة خيوط المملكة، وهيمنة السلطان فيها، فضلاً عن الجمع بين رضى بني العباس وتابعيهم، وبين الإحتفاظ بقلوب الخراسانيين، يتطلّب من المأمون مراعاة عين التدبّر في نهج سياسته، ونهاية الدقّة في توزيعها على جميع شراشر مملكته؛ ولهذا رأينا المأمون قد أخذ على نفسه من بعد وقوفه على جليّة ما حدث في بغداد، والأمصار العربية الأُخرى؛ الإعتماد على ملكاته الخاصّة في حلحلة أمور المملكة عموماً، والنظر بما يُحيط به من أمر الأسرة العباسيّة خصوصاً؛ فكان قد عزم على تغيير سياسته السابقة، والتي كان من أولوياتها الإنتقال بعاصمته من خراسان إلى حيث بغداد؛ عاصمة آبائه من قبل، ودون إثارة أدنى ريبة من الفرس.

وكان الإمام الرضا عليه السلام صاحب هذه الفكرة الدافعة للمأمون في الخروج إلى بغداد، كما وأنّ الفضل بن سهل قد بذل جهده، وإمكانه أن يُغيّر رأيه في الخروج، إلا أنّه لمّا تأكّد من عزم المأمون على الخروج، لا سيّما اعداده لما يتطلبه الركب في قطع هذه المسافة من مرو إلى بغداد، وعلمه أيضاً بقتل علي بن أبي عمران، ومؤنس والجلودي، خشى أن يكون مصيره أيضاً ذلك المصير، وتنبّه إلى الخطر من مخالفة المأمون؛ فطلب الفضل بعد ذلك من المأمون أن يُبقيه في خراسان؛ فلم يقبل منه، ولكن أراد أن يهدئ روعه، فأمره أن يكتب لنفسه ما يثق به من الضمان والأمانة، وقال له: أكّد لنفسك ما تكون به مطمئناً. فكتب الفضل الكتاب، وأمضاه المأمون، وسمّاه: كتاب الشرط والحباء... إلخ.

كما وأنّ المأمون بعد تلك المراجعة الناصحة لعقله، كان قد أسف نادماً بما كان منه لعلي الرضاعليه السلام؛ ففكّر في بيعة الإمام عليه السلام، وسبيل الخلاص من شرك شباكها؛ إلا أنّه عظم عليه الرجوع عنها خشية أن ينكشف للناس حقيقة سرّه، ما كان يضمره من وراء أمر تلك البيعة من سياسة شيطانية، فضلاً عن خوفه من ثور أهل خراسان عليه.

الأعمدة الأربعة

تقدّم قول الإمام عليه السلام للمأمون: وإنّ الناس ينقمون عليك: **مكان الفضل، والحسن، ومكاني، وعهدك لي.**

الأمر الذي جعل المأمون يُفكّر ملياً بصحّة قول الإمام عليه السلام، وضرورة الإسراع في التفاعل معه للحيلولة دون الوقوع في أتون فتنته، وكخطوة أُولى بعد أن أيقن المأمون إضمحلال شخصه أمام استسلامه للفضل، وانقياده لما يُمليه عليه، فضلاً عن قناعته بأنّ الفضل ورغم ما كان من مساعيه الحثيثة في تثبيت حكمه كذلك كان سبباً مباشراً لكلّ ما كان قد حدث من الفتن، والحركات؛ قد شرع بادئ الأمر إلى قتل الفضل بن سهل غيلة بعد أن تظاهر له بمطلق الإعتماد عليه في إدارة شؤون دولته لئلا ينساب الشكّ إلى نفسه من سوء ما قد دُبّر له، ويُبعد وهم الإستغناء عنه أمام أتباعه الخراسانيين، فكتب وأمضى كتاب الشرط والحباء، وقلّده فيه السلطة العظمى.

وكخطوة احترازية لما بعد اغتياله الفضل أقدم المأمون على أن وعد بمكافأة لمن يأتيه بالقتلة الفعليين ليقتصّ منهم، ولما قُبض عليهم دافعوا عن أنفسهم بأنّهم ما كانوا ليقتلوه إلا بأمر مولاهم الخليفة؛ ولكن لم يُغنهم دفاعهم هذا شيئاً، وضُربت أعناقهم. روي: إنّهم لمّا قُدّموا لتُضرب أعناقهم، قالوا للمأمون: أنت أمرتنا بذلك. تقتلنا!؟

فقال لهم: أنا أقتلكم بإقراركم، وقولكم: إنّي أمرتكم بذلك. فدعوى ليس لها بيّنة.

ولقطع دابر الشائعات التي سرى مفعولها: بأنّ المأمون قد قتل وزيره، وأقرب الناس إليه. أدرج المأمون إلى جنب قتله قاتلي الفضل جماعة أُخرى بتهمة اشتراكهم في المؤامرة؛ منهم: ذو العلمين، علي بن أبي سعيد، ابن خالة الفضل بن سهل، وأخرين سواه، فضلاً عن ابعاده لجملة من قوّاده الذين شكّ في ولائهم ممّن سمّاهم بعد ذلك: الشامتة. ثمّ أظهر عليه الجزع!![1]

ثمّ عمد إلى ثاني الأعمدة، الحسن بن سهل، ليُعزّيه بوفاة أخيه الفضل بن سهل، ومن ثمّ احتواءه كخطوة أُخرى من خلال الزواج بابنته بوران؛ تتميماً للأمر الذي له فاء؛ ليصفو له من بعد ذلك ما يمكن معالجته والعمودين الأخرين: **مكانة أبي الحسن الرضا عليه السلام، وولاية العهد له.**

بعد أن مهّدت للمأمون ظروف قتل الفضل بن سهل، واحتواء أخيه الحسن بن سهل على الكيفية التي سبق ذكرها، ظلّ المأمون فكره مشغولاً بولي عهده الإمام الرضا عليه السلام، وماذا يمكن أن يفعل له، خصوصاً وهو يعلم أنّ أهم سبب في إظهار نقمة العباسيين عليه، هي البيعة للإمام الرضا عليه السلام بولاية العهد.

فماذا قد أعد المأمون لهذا الأمر؟ فهل سيتمكن من إقناع العباسيين، وتابعيهم على الإعتراف بما اتّخذه من فرض ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام؟ وإن فشل في إقناعهم، فهل يتمكّن من عزله؟ أم هناك منفرج في البين؟

لا ريب وقد علم المأمون أن مَن أُجبر على شئ مُكرهاً هو إلى التنازل عنه آنساً. بمعنى، أنّه لو كان قد أشار على الإمام عليه السلام بالتنازل عن ولاية العهد تلك؛

---

١. راجع تاريخ اليعقوبي: ج٣ ص١٨٦.

لكان الإمامعليه السلام بالرغبة أطوع، وبالرضى أميل. كيف لا وقد وغرت كوابيس هـذا الأمر صدرهعليه السلام ألماً، ولم يكن له طالباً، أو راضياً بـه، وكـان يقـول: «والجامعـة والجفر يدلان على ضدّ ذلك». صار المنفرج وأمر الرضـاعليه السلام بحـساب المـأمون أقرب منه إلى ما اعتادت عليه نفـسه مـن القتـل بغـدر، ودون أدنـى تـشكيك، خصوصاً بعدما اقتضت سياسته الوقتية ذلك، وهو عنـده أهـون مـن قتـل أخيـه الأمين، أو وزيره الفضل بن سهل الناصح، الوفي، الكـريم؛ فعـزم علـى الإسـراع بتنفيذ صيغة المنفـرج تلـك بـأن دسّ للإمـامعليه السلام الـسمّ فـي الرمـان أو العنـب، فتوفيعليه السلام بأرض طوس مسموماً مظلوماً، وكان ذلك في صفر سنة٢٠٣ هـ .

فصل في

وفاته عليه السلام

السبب في وفاته عليه السلام

قال ابن حبّان: ومات على بن موسى الرضا عليه السلام بطوس من شربة سقاه إياها المأمون فمات من ساعته، وذلك في يوم السبت آخر يوم سنة ثلاث ومائتين، وقبره بسناباذ خارج النوقان مشهور يُزار بجنب قبر الرشيد قد زرته مراراً كثيرة، وما حلّت بي شدّة في وقت مقامي بطوس فزرت قبر علي بن موسى الرضا صلوات الله على جدّه وعليه، ودعوت الله إزالتها عنّي إلا استُجيب لي، وزالت عنّي تلك الشدّة، وهذا شيء جرّبته مراراً؛ فوجدته كذلك. أماتنا الله على محبّة المصطفى وأهل بيته صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين.[1]

وقال المسعودي: قُبض علي بن موسى الرضا عليه السلام مسموماً بطوس.[2]

وقال أحمد بن سهل البلخي: ومات علي بن موسى الرضا عليه السلام بطوس، واختلفوا في سبب موته، فمن قائل أنّه سمّ، وآخر أنه أكل عنباً فمات.[3]

وقال ابن الأثير: في هذه السنة ٢٠٣هـ ، مات علي بن موسى الرضا عليه السلام وكان سبب موته أنه أكل عنباً فمات فجأة، وذلك في آخر صفر... وقيل: إنّ المأمون سمّه في العنب، فلمّا توفّي كتب المأمون إلى الحسن بن سهل يعلمه موته. وكتب إلى أهل بغداد، وبني العباس، والموالي يُعلمهم موته، وأنّهم إنّما نقموا بيعته، وقد مات.[4]

وقال اليعقوبي: توفّي الرضا علي بن موسى بن جعفر بن محمّد عليهم السلام بقرية يُقال لها «النوقان» أوّل سنة ٢٠٣هـ ، ولم تكن علّته غير ثلاثة أيام، فقيل: إنّ علي

---

١. الثقات: ج٨ ص٤٥٦ رقم١٤٤١١، ترجمة علي بن موسى الرضا عليه السلام.

٢. مروج الذهب: ج٣ ص٤١٨.

٣. البدء والتاريخ: ج٦ ص١١١.

٤. الكامل في التاريخ: ج٥ ص١٩٣.

بن هشام أطعمه رمّاناً فيه سمّ.[١]

وقال ابن خلّكان: توفّي عليه السلام في آخر صفر سنة٢٠٣هـ ، وكان سبب موته أنّه أكل عنباً، وقيل: بل كان مسموماً فاعتل منه ومات.[٢]

إخباره عليه السلام بوفاته مسموماً

عن أبي الصلت الهروي، قال: قال الرضا عليه السلام: يا أبا الصلت، غداً أدخل على هذا الفاجر ـ المأمون ـ فإن أنا خرجت مكشوف الرأس؛ فتكلّم، أُكلّمك، وإن خرجت وأنا مغطّى الرأس؛ فلا تُكلّمني!

قال أبو الصلت: فلمّا أصبحنا من الغد لبس عليه السلام ثيابه، وجلس في محرابه، وجعل ينتظر، فبينا هو كذلك إذ دخل عليه غلام المأمون، فقال له عليه السلام: أجب أميرالمؤمنين.

فلبس عليه السلام نعله، ورداءه، وقام ومشى، وأنا أتبعه حتّى دخل على المأمون، وبين يدي المأمون طبق عليه عنب، وأطباق فاكهة، وبيده عنقود عنب قد أكل بعضه، وبقي بعضه.

فلمّا أبصر الرضا عليه السلام، وثب إليه فعانقه، وقبّل ما بين عينيه، وأجلسه معه، ثمّ ناوله العنقود، وقال: يا ابن رسول الله، ما رأيت عنباً أحسن من هذا!

فقال له الرضا عليه السلام: ربّما كان عنباً حسناً يكون من الجنّة.

فقال له: كلّ منه.

فقال له الرضا عليه السلام: تعفيني عنه.

فقال: لابدّ من ذلك، وما يمنعك منه؛ لعلّك تتّهمنا بشيء؟!

---

١. تاريخ اليعقوبي: ج٣ ص١٨٨.

٢. وفيات الأعيان: ج٣ ص٢٧٠.

فتناول هو العنقود؛ فأكل منه، ثمّ ناوله الرضاعليه السلام؛ فأكل منه ثلاث حبّات، ثمّ رمى به، وقام.

فقال المأمون: إلى أين!؟

فقال عليه السلام: إلى حيث وجّهتني! وخرج عليه السلام مغطّي الرأس، فلم أُكلّمه حتّى دخل الدار، فأمر عليه السلام أن يُغلق الباب؛ فغُلق، ثمّ نام عليه السلام على فراشه، ومكثت واقفاً في صحن الدار مهموماً محزوناً... إلخ.[١]

وذكر محمد بن علي بن حمزة، عن منصور بن بشر، عن أخيه عبد الله بن بشر، قال:

أمرني المأمون أن أطول أظفاري... ففعلت، ثمّ استدعاني، فأخرج إليّ شيئاً يشبه التمر الهندي، فقال لي: اعجن هذا بيديك جميعاً! ففعلت، ثمّ قام وتركني، ودخل على الرضاعليه السلام، وقال له: ما خبرك؟

قال عليه السلام: أرجو أن أكون صالحاً.

قال: أنا اليوم بحمد الله أيضاً صالح، فهل جاءك أحد من المترفّقين في هذا اليوم؟

قال عليه السلام: لا.

فغضب، وصاح على غلمانه! ثمّ قال: فخذ ماء الرمان الساعة، فإنّه ممّا لا يُستغنى عنه. ثمّ دعاني، فقال: ائتنا برمّان. فأتيته.

فقال لي: اعصر بيديك. ففعلت، وسقاه المأمون الرضاعليه السلام بيده، وكان ذلك سبب وفاته عليه السلام؛ فلم يلبث إلا يومين حتّى مات عليه السلام.

وذكر عن أبي الصلت الهروي، إنّه قال: دخلت على الرضاعليه السلام، وقد خرج

---

١. عيون أخبار الرضاعليه السلام للصدوق: ج٢ ص٢١٧ باب ما حدّث به أبو الصلت الهروي عن ذكر وفاة الرضاعليه السلام، ح١.

المأمون من عنده، فقال عليه السلام لي: يا أبا الصلت، قد فعلوها.[١]

السلام على قبر بطوس

أنشد الشاعر أشجع بن عمر السلمي يرثيه عليه السلام:

يا صاحب العيس يحدي في أزمتها ... اسمع واسمع غدا يا صاحب العيس
أقر السلام على قبر بطوس ولا ... تقر السلام ولا الناعي على طوس
فقد أصاب قلوب المسلمين بها ... روع وأخرج فيها روع إبليس
اختلست واحد الدنيا وسيّدها ... فأيّ مختلس منّا ومخلوس
لو أبدى الموت حتى يستدبر به ... لاقى وجوه رجال دونه سوس
بؤساً لطوس فما كانت منازلها ... مما تخوّفه الأيام بالبؤس
معرّس حيث لا تعريس ملتبس ... يا طول ذلك من نأي وتعريس
إن المنايا أنالته مخالبها ... ودونه عسكر جمّ الكراديس
أوفى عليه الردى في حيس أشبله ... والموت يلقى أنا الأشبال في الحيس
ما زال مقتبساً من نور والده ... إلى النبي ضياء غير مقبوس
في منبت نهضت فيه فروعهم ... بشاهق في بطاح الأرض مغروس
والفرع لا يرتقي الا على ثقة ... من القواعد والدنيا لتأسيس
لا يوم أولى بتمزيق الجيوب ولا ... لطم الخدود ولا جدع المعاطيس
من يوم طوس الذي تارت بروعته ... لنا البغاة وأفواه القراطيس
حقاً بأن الرضا أودى الزمان به ... ما يطلب الموت إلا كل منفوس
ذا اللحظتين وذا اليومين مفترس ... رمساً كآخر في يومين مرموس
بمطلع الشمس وافته منيته ... ما كان يوم الردى عنه بمحبوس
يا نازلاً جدثا في غير منزله ... ويا فريسة يوم غير مفروس
لبست ثوب البلى أعزز عليّ به ... لبساً جديداً وثوباً غير ملبوس

---

١. الإرشاد للمفيد: ج٢ ص٢٧٠.

صلّى عليك الذي قد كنت تعبده   تحت الجواهر في تلك الأماليس
لولا مناقضة الدنيا محاسنها   لما تقايسها أهل المقاييس
أسكنك الله داراً غير زائلة   في منزل برسول الله مأنوس[1]

القبر الغريب

وأنشد دعبل الخزاعي في ذلك، منها:

ألاّ أيّها القبر الغريب محلّه   بطوس عليك الساريات هتون
شككت فما أدري أمُسقي شربة   فأبكيك ريب الردى فيهون
أيا عجباً منهم يسمونك الرضا   ويلقاك منهم كلمة وغضون
على الكره ما فارقت أحمد وانطوى   عليه بناء جندل ودفين
وأسكنته بيتاً خسيساً متاعه   وإني على رغمي به لحنين
ولولا التأسّي بالنبي وأهله   لأسبل من عيني عليه شؤون
هو النفس إلا أنّ آل محمد   لهم دون نفسي في الفؤاد كمين
أضرّ لهم ارث النبيّ فأصبحوا   يساهم فيه خيفة ومنون
رعتهم ذئاب من أميّة وانتحت   عليهم دراكاً أزمة وسنون
وعاثت بنو العباس في الدين عيثة   تحكم فيه ظالم وظنين
وسموا رشيداً ليس فيهم لرشده   وما ذاك مأمون وذاك أمين
فما قبلت بالرشد منهم رعاية   ولا لوليّ بالأمانة دين
رئيسهم غاو وطفلاه بعده   لهذا دنا باد وذاك مجنون
أتعجب للأخلاق أن يتخيفوا   معالم دين الله وهو مبين
لقد سبقت فيهم بفضلك آية   لدين ولكن ما هناك يقين[2]

---

١. راجع مقاتل الطالبيين للإصفهاني: ص٣٧٨.

٢. راجع مقاتل الطالبيين للإصفهاني: ص٣٧٩. ومناقب آل أبي طالب للمازندراني: ج٣ ص٤٨٤.

أصبح الإسلام مستعبراً

وله أيضاً:

يا نكبة جاءت من الشرق ... ولم تترك منّي ولم تبق
موت علي بن موسى الرضا ... من سخط الله على الخلق
وأصبح الإسلام مستعبراً ... لثلمة بائنة الرتق
سقي الغريب المبتني قبره ... بأرض طوس سئل الودق
أصبح عيني مانعاً للكرى ... وأولع الأحشاء بالخفق[١]

تبكي السماء لفقده

وقال أيضاً:

ألا ما لعين بالدمع استهلت ... ولو نقرت ماء الشؤن لقلت
على من بكته الأرض واسترجعت ... رؤوس الجبال الشامخات وذلّت
وقد أعولت تبكي السماء لفقده ... وأنجمها ناحت عليه وكلّت
فنحن عليه اليوم أجد بالبكاء ... لمرزئة عزّت علينا وجلّت
رزئنا رضي الله سبط نبيّنا ... فأخلفت الدنيا له وتولّت
وما خير دنيا بعد آل محمد ... ألا لا تباليها إذا ما اضمحلت
تجلّت مصيبات الزمان ولا أرى ... مصيبتنا بالمصطفين تجلّت[٢]

ما جرى على ذرّيّة الرسول صلى الله عليه وآله

وله أيضاً:

تأسّفت جارتى لما رأت زوري ... وعدّت الحلم ذنباً غير مغتفر
ترجو الصبى بعدما شابت ذوائبها ... وقد جرت طلقاً في حلية الكبر

---

١. راجع مناقب آل أبي طالب للمازندراني: ج٣ ص٤٨٣.

٢. راجع مناقب آل أبي طالب للمازندراني: ج٣ ص٤٨٤.

أجارتي إنّ شيب الرأس يعلمني / ذكر المعاد وإرضائي عن القدر
لو كنت أركن للدنيا وزينتها / إذاً بكيت على الماضين من نفر
أخنى الزمان على أهلي فصدّعهم / تصدّع الشعب لاقي صدمة الحجر
بعض أقام وبعض قد أصات بهم / داعي المنيّة والباقي على الأثر
أمّا المقيم فأخشى أن يفارقني / ولست أوبة من ولى بمنتظر
أصبحت أخبر عن أهلي وعن ولدي / كحالم قصّ رؤياً بعد مدّكر
لولا تشاغل عيني بالأولى سلفوا / من أهل بيت رسول الله لم أقر
وفي مواليك للتحزين مشغلة / من أن يبيت بمفقود على أثر
كم من ذراع لهم بالطف بائنة / وعارض بصعيد الترب منعفر
أمسى الحسين وسراهم بمقتله / وهم يقولون: هذا سيّد البشر
يا أمّة السوء ما جازيت أحمد في / حسن البلاء على التنزيل والسور
خلّفتموه على الأبناء حين مضى / خلافة الذئب في انقاذ ذي بقر
لم يبق حيّ من الأحياء نعلمه / من ذي يمان ولا بكر ولا مضر
ألا وهم شركاء في دمائهم / كما تشارك أيسار على جزر
قتلاً وأسراً وتخويفاً ومنهبة / فعل الغزاة بأهل الروم والخزر
أرى أميّة معذورين إن قتلوا / ولا أرى لبني العباس من عذر
قوم قتلتم على الإسلام أوّلهم / حتى إذا استمكنوا جازوا على الكفر
أبناء حرب ومروان وأسرتهم / بنو معيط أولاة الحقد والوغر
أربع بطوس على قبر الزكيّ بها / إن كنت تربع من دين على وطر
هيهات كل امرئ رهن بما كسبت / له يداه فخذ ما شئت أو فذر[1]

باؤوا بقتل الرضا عليه السلام

وأنشد أبو فراس، قال:

---

١. راجع الأمالي للمفيد: ص٣٢٥.

بـاؤوا بقتـل الرضـا مـن بعـد بيعتـه ... وأبصروا بغضه من رشدهم وعموا
عصابة شقيت من بعد ما سعدت ... ومعشر هلكوا من بعد ما سلموا
لا بيعـة ردعـتهم عـن دمـائهم ... ولا يمـين ولا قربـى ولا رحـم[1]

مات الهدى

وأنشد ابن المشيّع، قال:

يـا بقعـة مـات بهـا سـيدي ... مـا مثلـه في النـاس مـن سيّد
مات الهدى من بعده والندى ... وشمّـر المـوت بـه يقتـدي
لا زال غيـث الله يـا قـبره ... عليـك منـه رائحـاً مغتـدي
كـان لنـا غيثـاً بـه نرتـوي ... وكـان كـالنجم بـه نهتـدي
إن علياً بن موسى الرضا عليه السلام ... قـد حـلّ والسؤدد في ملحـد
يـا عـين فـأبكي بـدم بعـده ... على انقراض المجد والسؤدد[2]

يا أرض طوس

ولعلي بن أبي عبد الله الخوافي:

يـا أرض طوس سقاك الله رحمتـه ... ماذا حويت من الخيرات يا طوس
طابـت بقاعـك في الـدنيا وطيبهـا ... شـخص ثـوى بسنا آبـاد مرمـوس
شـخص عزيـز علـى الإسـلام ... في رحمـة الله مغمـور ومغمـوس
يـا قـبره أنـت قـبر قـد تـضمّنه ... حلـم وعلـم وتطهـير وتقـديس
فخـراً فإنّـك مغبـوط بجثتـه ... وبالملائكـة الأبـرار محـروس
في كل عصر لنا منكم إمام هدى ... فربعـه آل مـنكم ومـأنوس
أمـست نجـوم سمـاء الـدين أفلـة ... وظلّ أسد الثرى قد ضمّها الخيس

---

١. راجع مناقب آل أبي طالب للمازندراني: ج٣ ص٤٨٣.
٢. راجع مقاتل الطالبيين للإصفهاني: ص٣٢٤.

غابـت ثمانيـة مـنكم وأربعـة — يرجـى مطالعها مـا حنّت العيـس
حتـى متـى يظهر الحـق المنير بكم — فـالحق في غيركم داج ومطموس[١]

قبر بطوس

ولمحمد بن حبيب الضبّي:

قـبر بطـوس بـه أقـام إمـام — حـتم إليـه زيـارة ولمـام
قـبر أقـام بـه السلام وإذ غـدا — تهـدى إليـه تحيّـة وسـلام
قـبر سـنا أنـواره تجلـو العمـى — وبتربـه قـد تـدفع الأسـقام
قـبر يمثّـل للعيـون محمـداً صلى الله عليه وآله — ووصـيّه والمؤمنـون قيـام
خـشع العيـون لـذا وذاك مهابـة — في كنهمـا لتحيّـر الأفهـام
قـبر إذا حـلّ الوفـود بربعـه — رحلـوا وحطّـت عـنهم الآثـام
وتـزوّدوا أمـن العقـاب وأؤمنـوا — مـن أن يحـلّ علـيهم الاعـدام
الله عنـه بـه لهـم متقبّـل — وبـذاك عـنهم جفّـت الأقـلام
إن يغـن عـن سقي الغمـام فإنّـه — لـولاه لم تـسق الـبلاد غمـام
قـبر علـي بـن موسـى حلّـه — بثـراه يزهـو الحـلّ والإحـرام
فـرض إليـه الـسعي كالبيـت الـذي — مـن دونـه حـق لـه الإعظـام
مـن زاره في الله عـارف حقـه — فـالمس منـه علـى الجحـيم حـرام
ومقامـه لا شـكّ يحمـد في غـد — ولـه بجنـات الخلـود مقـام
ولـه بـذاك الله أوفـى ضـامن — قـسماً اليـه تنتهـي الأقـسام
صـلّى الإلـه علـى الـنبي محمـد — وعلـت عليّـاً نـضرة وسـلام
كـذا علـى الزهـراء صلّى سرمداً — رب بواجـب حقهـا عـلام
وعليهمـا صـلّى فبالحـسن ابتـدا — وعلـى الحـسين لوجهـه الإكـرام

---

١. راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق: ج٢ ص٢٨٠ ح١.

وعلـى علـي ذي التقـى ومحمـد ... صـلى وكـلّ سـيد وهمـام
وعلـى المهـذّب والمطهـر جعفـر ... أزكـى الـصلاة وإن أبـى الأقـزام
الـصادق المـأثور عنـه علـم مـا ... فـيكم بـه يتمـسّك الأقـوام
وكـذا علـى موسـى أبيـه وبعـده ... صـلّى عليـه ولـلـصلاة دوام
وعلـى محمـد التقـيّ فـضوعفت ... وعلـى علـي مـا اسـتمر كـلام
وعلى الرضي ابن الرضا الحسن ... الـذي عـم الـبلاد لفقـده الأظلام
وعلـى خليفتـه الـذي لكـم بـه ... تمّ النظـام فكـان فيـه تمـام
فهـو المؤمّـل أن يعـود بـه الهـدى ... غـضّاً وأن تـستوسق الأحكـام
لـولا الأئمـة واحـد عـن واحـد ... درس الهـدى واستـسلم الإسـلام
كـل يقـوم مقـام صـاحبه إلى ... أن ينـبري بالقـائم الأعـلام
يـا ابـن الـنبي وحجّـة الهـل الـتي ... هـي للـصلاة ولـلـصيام قيـام
مـا مـن إمـام غـاب عـنكم لم يقـم ... خلـق لـه تـشفي بـه الأوغـام
إن الأئمـة يـستوي في فـضلها ... والعلـم كهـل مـنهم وغـلام
أنـتم إلى الله الوسـيلة والأولى ... علمـوا الهـدى فهـم لـه أعـلام
أنـتم ولاة الـدين والـدنيا ومـن ... لله فيـه حرمـة وذمـام
مـا النـاس إلا مـن أقـرّ بفـضلكم ... والجاحـدون بهـائم وسـوام
بل هـم أضـل عـن الـسبيل بكفـرهم ... والمقتـدي مـنهم بهـم أزلام
يرعـون في دنيـاكم وكـأنّهم ... في جحـدهم أنعـامكم أنعـام
يـا نعمـة الله الـتي يحبـو بهـا ... مـن يـصطفي مـن خلقـه المنعـام
إن غـاب منـك الجـسم عنّـا إنّـه ... للـروح منـك إقامـة ونظـام
أرواحكـم موجـودة أعيانهـا ... إن عـن عيـون غيّبـت أجـسام
الفـرق بينـك والـنبي نبـوة ... إذ بعـد ذلـك تـستوي الأقـوام
قـبران في طـوس الهـدى في واحـد ... والغـيّ في لحـدٍ يـراه ضـرام
قـبران مقترنـان هـذا ترعـة ... حبوبـة فيهـا نـزول إمـام
وكـذاك ذلـك مـن جهـنّم حفـرة ... فيهـا تجـدّد للغـوي هيـام

قرب الغوي من الزكي مضاعف ... لعذابه ولأنفه الإرغام
إن يَدن منه فإنّه لمباعد ... وعليه من خلع العذاب ركام
وكذاك ليس يضرّك الرجس الذي ... تدنيه منك جنادل ورخام
لا بل يريك عليه أعظم حسرة ... إذ أنت تكرم واللعين ثيام
سوء العذاب مضاعف تجزى به ... الساعات والأيام والأعوام
يا ليت شعري هل بقائمكم غداً ... يغدو بكفّي للقراع حسام
تطفي يداي به غليلاً فيكم ... بين الحشا لم ترق منه أوام
ولقد تهيّجني قبوركم إذا ... هاجت لواي معالم وخيام
من كان يغرم بامتداح ذوي ... الغنى فبمدحكم لي صبوة وغرام
وإلى أبي الحسن أهديتها ... مرضيّة تلتذها الأفهام
خذها عن الضبي عبدكم الذي ... هانت عليه فيكم الألوام
أن اقض حق الله فيك وأنّ لي ... حقّ القري للضيف إذ يعتام
فاجعله منك قبول قصدي إنّه ... غنمٌ عليه حداني استغنام
من كان بالتعليم أدرك حبكم ... فمحبّتي إياكم الهام[1]

يا بن الذبيح

عبد الله بن أيوب الخريتي يُخاطب الإمام الجوادعليه السلام ويقول:

يا ابن الذبيح ويا ابن أعراق الثرى ... طابت أرومته وطاب عروقا
يا ابن الوصي وصيّ أفضل مرسل ... أعني النبي الصادق المصدوقا
ما لفّ في خرق القوابل مثله ... أسد يلّف مع الخريق خريقا
يا أيّها الحبل المتين متى أغد ... يوماً بعقوته أجده وثيقا
أنا عائذ بك في القيامة لائذ ... أبغي لديك من النجاة طريقا

---

١. راجع عيون أخبار الرضاعليه السلام للصدوق: ج٢ ص٢٨١ ح٢.

لا يسبقنّي في شفاعتكم غداً ... أحدٌ فلست بحبّكم مسبوقا
يا ابن الثمانية الأئمّة غرّبوا ... وأبا الثلاثة شرّقوا تشريقا
إن المشارق والمغارب أنتم ... جاء الكتاب بذلكم تصديقا[١]

روى الإربلي في كشف الغمّة، قال: وقال الحافظ عبد العزيز بن الأخضر الجنابذي في كتابه:... له عليه السلام من الولد خمسة رجال، وابنة واحدة، وهم: محمد الإمام ـ الجواد عليه السلام ـ، وأبو محمد الحسن، وجعفر، وإبراهيم، والحسين، وعائشة.[٢] وذُكر عن ابن الخشّاب البغدادي أيضاً مثله.[٣]

وقال ابن شهر آشوب: كان للرضا عليه السلام من الولد ابنه أبو جعفر محمد الجواد لا غير.[٤]

والحلّي في العدد: إنّ له عليه السلام ولدان، أحدهما: محمد، والآخر: موسى. لم يترك غيرهما.[٥]

أقول: كان هذا شيئاً مقتضباً عن حياة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام؛ الخليفة الثامن من خلفاء الله ورسوله صلى الله عليه وآله الإثني عشر، الذين أخبر بهم رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله:

يكون بعدي إثنا عشر خليفة.[٦]

وقد أثبتنا بالأدلّة القاطعة، والبراهين الساطعة: إنّ هذا الحديث الشريف، المجمع على صحّته، المروي في الصحيحين بألفاظ مختلفة، لا ينطبق إلا على

١. راجع مقتضب الأثر للجوهري : ص٥١.
٢. كشف الغمّة: ج٢ ص٦٠ ح٧٧.
٣. تاريخ مواليد الأئمّة: ص٣٧.
٤. مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٣٦٧.
٥. العدد القويّة: ص٢٩٤ رقم٢٢.
٦. مسند أحمد: ج٥ ص٩٢، حديث جابر بن سمرة.

الأئمّة المتواترة شخوصهم بعد النبي صلى الله عليه وآله ابتداءً بأميرالمؤمنين علـي عليه السلام، وانتهـاءً بالمهدي، محمد بن الحسن المنتظر عجل الله فرجه بما لايترك فسحة من الأمـل للإنطبـاق على غيرهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمد عبـده، وعلى آله الطيبين الطاهرين؛ الأئمّة المعصومين عليهم السلام.

أحمد بن عبد العزيز الموسوي الفالي
٢١/ذي القعدة/١٤٠١هـ
قمّ المقدّسة



التاسع

من خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله

الإمام

محمد بن علي الجواد عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين، محمد وأهل بيته الطاهرين، وعلى أنبياء الله ورسله، وملائكته أجمعين، ولعنة الله على أعدائهم، أعداء الله إلى يوم الدين.

أمّا بعد، فلمّا فرغنا عمّا تيسّر لنا بتوفيق الله تعالى من تحرير نبذة يسيرة من تاريخ ثمانية من خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله الاثني عشر الذين أخبر صلى الله عليه وآله بهم بقوله: يكون بعدي إثنا عشر خليفة.[1]

وقد كان أوّلهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وثامنهم الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام؛ فلنشرع بعونه عزّ وجلّ بما يتيسّر لنا من سيرة التاسع منهم؛ الإمام محمد بن علي عليهما السلام، المعروف بـ«الجواد».

أسأل الله سبحانه أن يوفّقنا جميعاً للتمسّك بالذي خلّفهما رسول الله صلى الله عليه وآله من بعده؛ الثقلين: الكتاب، والعترة. إنّه سميع الدعاء.

أحمد بن عبد العزيز الموسوي الفالي
قمّ المقدّسة

---

١. مسند أحمد: ج٥ ص٩٢، حديث جابر بن سمرة.

فصل في

حسبه ونسبه وولادته عليه السلام

هو: الإمام محمد الجواد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

وأمّه المُكرّمة: سبيكة، وسمّاها الإمام الرضا عليه السلام: خيزران. وكانت من أهل النوبة، من قبيلة ماريّة القبطيّة أُمّ إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت أفضل نساء زمانها، وأشار إليها رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: بأبي؛ ابن خيرة الإماء النوبيّة الطيّبة.[1]

كنيته عليه السلام: أبو جعفر.

ألقابه عليه السلام: الجواد، التقي، القانع، المختار، المنتجب، العالم، وغيرها.

الولادة المباركة

ولد الإمام محمد الجواد عليه السلام ـ على بعض الروايات ـ في العاشر من شهر رجب عام ١٩٥هـ . وقيل: في التاسع عشر من شهر رمضان. وقيل: الخامس عشر منه، في المدينة المنورة.

تقول حكيمة بنت الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام: لمّا حضرت ولادة الخيزران أُمّ أبي جعفر عليه السلام دعاني الرضا عليه السلام، فقال لي: يا حكيمة، احضري ولادتها، وادخلي وإياها والقابلة بيتاً، ووضع لنا مصباحاً، وأغلق الباب علينا، فلمّا أخذها الطلق طفئ المصباح وبين يديها طست، فاغتممت بطفي المصباح، فبينا نحن كذلك اذ بدر أبو جعفر عليه السلام في الطست، وإذا عليه شيء رقيق كهيئة الثوب يسطع نوره

١. أنظر الكافي للكليني: ج١ ص٣٢٢ باب الإشارة والنصّ على أبي جعفر الثاني عليه السلام، ح١٤.

حتّى أضاء البيت، فأبصرناه فأخذته فوضعته في حجري، ونزعت عنه ذلك الغشاء، فجاء الرضا عليه السلام ففتح الباب وقد فرغنا من أمره، فأخذه فوضعه في المهد، وقال: يا حكيمة، إلزمي مهده. قالت: فلمّا كان في اليوم الثالث رفع بصره إلى السماء، ثمّ نظر يمينه ويساره، ثمّ قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. فقمت ذعرة فزعة فأتيت أبا الحسن عليه السلام، فقلت له: لقد سمعت من هذا الصبي عجباً! قال عليه السلام: وما ذاك؟! فأخبرته الخبر، فقال: يا حكيمة، ما ترون من عجائبه أكثر.[١]

١. مناقب آل أبي طالب للمازندراني: ج٤ ص٣٩٤.

فصل في

بعض ما قاله علماء السنّة

في شأنه عليه السلام

كلام ابن حجر

قال ابن حجر الهيتمي المكّي: محمد الجواد لم تطل حياته، وممّا اتّفق أنّه بعد موت أبيه بسنة واقف، والصبيان يلعبون في أزقّة بغداد، إذ مرّ المأمون؛ ففروا، ووقف محمد، وعمره تسع سنين، فألقى الله محبّته في قلبه، فقال له: يا غلام، ما منعك من الإنصراف!؟

فقال له مسرعاً: يا أمير، لا يكون بالطريق ضيق؛ فأوسعه لك، وليس لي جُرم؛ فأخشاك.

فأعجبه كلامه، وحسن صورته، فقال له: ما اسمك، واسم أبيك؟

فقال: محمد بن علي الرضا.

فترحّم على أبيه، وساق جواده.

وكان مع المأمون بزاة للصيد، فلمّا بعد عن العمار، أرسل بازاً على درّاجة، فغاب عنه، ثمّ عاد من الجو وفي منقاره سمكة صغيرة، وبها بقاء الحياة، فتعجّب من ذلك غاية التعجب! ورجع، فرأى الصبيان على حالهم، ومحمد عليه السلام عندهم، ففرّوا إلا محمداً عليه السلام فدنا منه وقال له: ما في يدي؟

فقال عليه السلام: يا أمير، إنّ الله تعالى خلق في بحر قدرته سمكاً صغاراً يصيده بازات الملوك... فيختبر بها سلالة أهل بيت المصطفى صلى الله عليه وآله.

فقال له عليه السلام: أنت ابن الرضا حقّاً. وأخذه معه، وأحسن إليه، وبالغ في إكرامه، فلم يزل مشفقاً به لما ظهر له بعد ذلك من فضله وعلمه، وكمال عظمته، وظهور برهانه مع صغر سنّه، وعزم على تزويجه بابنته أُمّ الفضل، وصمّم على ذلك؛ فمنعه العبّاسيون من ذلك خوفاً من أن يعهد إليه كما عهد إلى أبيه عليه السلام.

فلمّا ذكرهم أنّه إنّما اختاره لتميّزه على كافّة أهل الفضل علماً، ومعرفة، وحلماً مع صغر سنّه، فنازعوا في اتّصاف محمد عليه السلام بذلك، ثمّ تواعدوا على أن

يرسلوا إليه من يختبره.

فأرسلوا إليه يحيى بن أكثم، ووعدوه بشيء كثير إن قطع لهم محمداً عليه السلام فحضروا للخليفة، ومعهم ابن أكثم، وخواصّ الدولة؛ فأمر المأمون بفرش حسن لمحمّد عليه السلام، فجلس عليه، فسأله يحيى مسائل، أجابه عليها بأحسن جواب، وأوضحه.

فقال له الخليفة: أحسنت أبا جعفر، فإن أردت أن تسأل يحيى ولو مسألة واحدة.

فقال عليه السلام له: ما تقول في رجل نظر الى إمرأة أوّل النهار حراماً، ثمّ حلّت له ارتفاعه، ثمّ حرمت عليه عند الظهر، ثمّ حلّت له عند العصر، ثمّ حرمت عليه المغرب، ثمّ حلّت له العشاء، ثمّ حرمت عليه نصف الليل، ثمّ حلت له الفجر؟!

فقال يحيى: لا أدري.

فقال محمّد عليه السلام: هي أمَة نظرها أجنبي بشهوة وهي حرام، ثمّ اشتراها عند ارتفاع النهار، فأعتقها الظهر، وتزوجّها العصر، وظاهر منها المغرب، وكفّر العشاء، وطلقها رجعياً نصف الليل، وراجعها الفجر.

فعند ذلك قال المأمون للعباسيين: قد عرفتم ما كنتم تنكرون؟

ثمّ زوّجه في ذلك المجلس إبنته أُمّ الفضل.

ثمّ توجّه عليه السلام بها إلى المدينة، فأرسلت تشتكي منه عليه السلام أنّه تسرّى[1] عليها فأرسل إليها أبوها: إنّا لم نزّوجك له لنحرّم عليه حلالاً، فلا تعودي لمثله.[2]

---

١. السريّة ـ بضمّ السين ـ : الأمة، منسوبة إلى السرّ، وهو الجماع والإخفاء، لأنّ الإنسان كثيراً ما يسرّها ويسترها عن الحرّة. والجمع: السراري.

٢. الصواعق المحرقة: ج٢ ص٥٩٦.

كلام الشبلنجي

وقال الشبلنجي: فصل في ذكر مناقب محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

أُمّه: أُمّ ولد، يُقال لها: سكينة المريسيّة.

وكنيته: أبو جعفر؛ ككنية جدّه محمد الباقر عليه السلام.

وألقابه كثيرة: الجواد، والقانع، والمرتضى. وأشهرها: الجواد.

صفته: أبيض معتدل.

شاعره: حمّاد.

بوّابه: عمر بن الفرات.

نقش خاتمه: نعم القادر الله.

معاصره: المأمون، والمعتصم.

مولده: ولد أبو جعفر محمد الجواد بالمدينة تاسع عشر شهر رمضان المعظّم، سنة خمس وتسعين ومائة من الهجرة.

وقال: قال صاحب «مطالب السؤول في مناقب آل الرسول صلى الله عليه وآله»:

هذا محمد أبو جعفر الثاني، فإنّه قد تقدّم في آبائه أبو جعفر محمد الباقر بن علي، فجاء هذا بإسمه وكنيته... فعُرف بـ«أبي جعفر الثاني».

وإن كان صغير السن، فهو كبير القدر، رفيع الذكر، ومناقبه عليه السلام كثيرة، نقل غير واحد: إنّ والده علياً الرضا عليه السلام لمّا توفّي وقدم المأمون بغداد بعد وفاته عليه السلام بسنة، اتّفق أنّ المأمون خرج يوماً يتصيّد، فاجتاز بطريق البلد وثمّ صبياناً يلعبون، ومحمد الجواد واقف عندهم، فلمّا أقبل المأمون فرّ الصبيان، ووقف

محمد، وعمره إذ ذاك تسع سنين، فلمّا قرب منه الخليفة نظر إليه؛ فألقى الله في قلبه حبّه، فقال له: يا غلام، ما منعك من الإنصراف كأصحابك!؟

فقال له محمدعليه السلام مُسرعاً: يا أمير، لم يكن بالطريق ضيق فأوسعه لك، وليس لي جرم فأخشاك... إلخ.[١]

كلام الشافعي

قال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي: أبو جعفر محمد بن علي القانع، والمرتضى. هذا أبو جعفر، محمد الثاني؛ فإنّه تقدّم في آبائهعليهم السلام أبو جعفر محمد، وهو الباقر بن علي، فجاء هذا بإسمه، وكنيته، واسم أبيه، فعُرف بـ«أبي جعفر الثاني» وهو وإن كان صغير السن فهو كبير القدر، رفيع الذكر.

وأمّا ولادته، ففي ليلة الجمعة تاسع شهر رمضان سنة مائة وخمس وتسعين للهجرة، وقيل: عاشر رجب منها.

وأمّا نسبه أبّاً، وأُمّاً؛ فأبوه: أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم، وقد تقدّم ذكر ذلك مبسوطاً، وأمّه: أمّ ولد، يُقال لها: سكينة المريسيّة، وقيل: الخيزران.

وأمّا إسمهعليه السلام: فمحمد، وأمّا كنيته: فأبو جعفر، بكنية جدّه محمد الباقرعليه السلام، ولهعليه السلام لقبان: القانع، والمرتضى.

وأمّا مناقبه: فما اتّسعت حلبات مجالها، ولا امتدّت أوقات آجالها، بل قضت عليه الأقدار الإلهية بقلّة بقائه، فما الدنيا بحكمها وأسجالها، فقلّ في الدنيا مقامه، وعجّل القدوم عليه لزيادة حمامه، فلم تطل بها مدّته، ولا امتدّت فيها أيامه، غير

---

١. نور الأبصار: ص١٦٠ فصل في ذكر مناقب محمد الجوادعليه السلام.

أنّ الله عزّ وجلّ خصّه بمنقبة متأنّقة في مطالع التعظيم، بارقة أنوارها، مرتفعة في معارج التفضيل قيمة أقدارها، بادية لعقول أهل المعرفة آية آثارها، وهي إن كانت صغيرة، فدلالتها أكبر وهي: أنّ هذا أبو جعفر محمداً عليه السلام لما توفّي والده علي الرضا عليه السلام وقدم الخليفة المأمون إلى بغداد بعد وفاته بسنة اتّفق أنّه بعد ذلك خرج يوماً يتصيّد، فاجتاز بطرق البلد في طريقه، والصبيان يلعبون، ومحمد واقف معهم، وكان عمره يومئذ إحدى عشرة سنة فما حولها، فلما أقبل الخليفة المأمون انصرف الصبيان... إلى آخر ما تقدّم عن «نور الأبصار» للشبلنجي باختلاف يسير في اللفظ.

قال: وفي هذه الواقعة ما يكفيه منقبة من غيرها، ويستغني بها عن سواها.[١]

كلام ابن تيمية

وقال ابن تيمية: محمد بن علي الجواد كان من أعيان بني هاشم، وهو معروف بالسخاء والسؤدد، ولهذا سُمّي «الجواد» ومات وهو شاب ابن خمسة وعشرين سنة.[٢]

كلام ابن خلّكان

وقال ابن خلّكان: أبو جعفر، محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر، المعروف بـ«الجواد» أحد الأئمّة الإثني عشر أيضاً؛ قدم بغداد وافداً على المعتصم ومعه عليه السلام امرأته أُمّ الفضل ابنة المأمون... وكان عليه السلام يروي مسنداً عن آبائه إلى علي بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: بعثني رسول

---

١. مطالب السؤول: ج٢ ص٧٤ الباب التاسع في أبي جعفر محمد بن علي القانع.

٢. منهاج السنّة: ص١٢٧.

الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن، فقال لي وهو صلى الله عليه وآله يوصيني:

يا علي، ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار. يا علي، عليك بالدلجة[1]؛ فإن. الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار. يا علي، أغد باسم الله؛ فإنّ الله بارك لأُمّتي في بكورها، وكان يقول: من استفاد أخاً في الله فقد استفاد بيتاً في الجنّة.

قال: وقال جعفر بن محمد بن مزيد: كنت ببغداد، فقال لي محمد بن منده بن مهريزد: هل لك أن أدخلك على محمد بن علي الرضا؟

فقلت: نعم.

قال: فأدخلني عليه، فسلّمنا وجلسنا.

فقال ـ محمد بن منده ـ له عليه السلام: حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ فاطمة عليها السلام أحصنت فرجها فحرّم الله ذرّيتها على النار!؟

قال عليه السلام: ذلك خاصّ بالحسن، والحسين عليهما السلام.

قال: وله عليه السلام حكايات، وأخبار كثيرة.[2]

ما رواه صفوان بن يحيى

روى ابن الصبّاغ المالكي، قال: روي عن صفوان بن يحيى، قال: قلت للرضا عليه السلام: قد كنّا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر، من القائم بعدك؟ فتقول: يهب الله لي غلاماً. وقد وهبك الله، وأقرّ عيوننا به، فإن كان كون، ولا أرانا الله يوماً، فإلى مَن؟

فأشار عليه السلام بيده إلى أبي جعفر، وهو قائم بين يديه، وعمره إذ ذاك ثلاث

---

١. الدلجة: سير الليل كلّه.

٢. وفيات الأعيان: ج٤ ص١٧٥ رقم٥٦١.

سنين، فقلت: وهو ابن ثلاث!

قالعليه السلام: وما يضرّ من ذلك؛ فقد قام عيسىعليه السلام بالحجّة وهو ابن أقل من ثلاث سنين.[١]

ما رواه معمّر بن خلاد

روى ابن الصبّاغ المالكي، قال: وعن معمّر بن خلاد، قال: سمعت الرضاعليه السلام يقول، وذكر شيئاً، فقالعليه السلام: ما حاجتكم إلى ذلك؛ هذا أبو جعفر قد أجلسته مجلسي، وصيّرته مكاني. وقالعليه السلام: إنّا أهل بيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا القذّة[٢] بالقذّة.[٣]

كلام القندوزي

روى الشيخ سليمان القندوزي في ينابيع المودّة، قال: وروي: إنّ محمّداً الجواد دخل على عمّ أبيه، علي بن جعفر الصادق؛ فقام واحترمه، وعظّمه، فقالوا: إنّك عمّ أبيه، وأنت تُعظّمه!؟

فأخذ بيده لحيته، وقال: إذا لم يُر الله هذه الشيبة للإمامة؛ أراها أهلاً للنار إذا لم أقرّ بإمامته.[٤]

ما رواه الجيراني

روى ابن الصبّاغ المالكي، قال: روي عن الجيراني، عن أبيه: قال: كنت واقفاً بين يدي أبي الحسن الرضاعليه السلام بخراسان، فقال قائل: يا سيّدي، إن كان كون إلى

---

١. الفصول المهمّة: ص٢٤٧.

٢. القذّة: ريش السهم. يضرب مثلاً للشيئين يستويان، ولا يتفاوتان.

٣. الفصول المهمّة: ص٢٤٧.

٤. ينابيع المودّة: ج٣ ص١٧٠ ب٦٥، نقلاً عن «فصل الخطاب» للخواجة بارسا البخاري.

مَن؟

فقال عليه السلام: إلى ابني أبي جعفر.

فكأن السائل استصغر من أبي جعفر؛ فقال الرضا عليه السلام: إنّ الله بعث عيسى بن مريم نبيّاً، صاحب شريعة مبتدئة في أصغر من السن الذي فيه أبو جعفر.[1]

كرامات الإمام الجواد عليه السلام كثيرة، ومناقبه شهيرة، نشير إلى بعضها حسب ما ورد في كتب أبناء العامّة:

مع المأمون

قال الهيتمي: وممّا اتّفق له أنّه بعد موت أبيه بسنة واقف والصبيان يلعبون في أزقّة بغداد إذ مرّ المأمون؛ ففرّوا، ووقف محمّد، وعمره تسع سنين؛ فألقى الله محبّته في قلبه، فقال له: يا غلام، ما منعك من الإنصراف!؟

فقال له مسرعاً: يا أميرالمؤمنين، لم يكن بالطريق ضيق فأوسعه لك، وليس لي جرم فأخشاك، والظنّ بك حسن أنّك لا تضرّ من لا ذنب له.

فأعجبه كلامه، وحسن صورته، فقال له: ما اسمك، واسم أبيك؟

فقال عليه السلام: محمّد بن علي الرضا.

فترحّم على أبيه، وساق جواده.

وكان معه بزاة للصيد؛ فلمّا بعُد عن العمار، أرسل بازه على درّاجة، فغاب عنه، ثمّ عاد من الجوّ في منقاره سمكة صغيرة، وبها بقاء الحياة، فتعجّب من ذلك غاية العجب! ورجع فرأى الصبيان على حالهم، ومحمّد عندهم؛ ففرّوا إلا محمّداً فدنا منه، وقال له: ما في يدي؟

---

١. الفصول المهمّة: ص٢٤٧.

فقال: يا أميرالمؤمنين، إنّ الله تعالى خلق في بحر قدرته سمكاً صغاراً يصيدها بازات الملوك، والخلفاء؛ فيُختبر بها سلالة أهل بيت المصطفى صلى الله عليه وآله.

فقال له: أنت ابن الرضا حقّاً. وأخذه معه، وأحسن إليه، وبالغ في إكرامه؛ فلم يزل مشفقاً به لما ظهر له بعد ذلك من فضله، وعلمه، وكمال عظمته، وظهور برهانه مع صغر سنّه.[١]

زواجه من أمّ الفضل

روى الشبراوي، قال: وعزم ـ المأمون ـ أن يزوّجه ابنته أُمّ الفضل، وصمّم على ذلك؛ فبلغ ذلك العباسيين، وشقّ[٢] عليهم، واستكرهوه، وخافوا أنّ الأمر ينتهي معه إلى ما انتهى مع أبيه؛ فأجمع الأعيان من العباسيين، فدخلوا عليه وقالوا: ننشدك الله يا أميرالمؤمنين، إلا ما رجعت عن هذه النيّة، وصرفت خاطرك عن هذا الأمر؛ فانّا نخاف ونخشى أن يخرج عنّا ملكنا، فينزع عنا عزّنا الذي ألبسناه الله، ويتحوّل إلى غيرنا، وأنت تعلم ما بيننا وبين هؤلاء القوم، وما كان عليه الخلفاء من قبلك من إبعادهم، وقد كنّا في وَجِلة من عملك مع الرضا ما عملت حتّى كفانا الله المهّم من ذلك، فالله ألله أن تردّها إلى غمّ قد انحسم؛ فاصرف رأيك عن ابن الرضا، وأعدل إلى من تراه من أهل بيتك ممّن يصلح لذلك.

فقال لهم المأمون: أمّا ما بين آل أبي طالب وبينكم؛ فأنتم السبب فيه، ولو أنصفتم القوم لكانوا أولى منكم بالأمر، وأمّا ما كان من الإستخلاف في الرضا عليه السلام فقد درج الرضا عليه السلام وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وأمّا ابنه محمد فأيّ شيء

---

١. الصواعق المحرقة: ج٢ ص٥٩٦.

٢. أي، صعب.

تنقمون منه.

فقالوا: إنّ هذا صبي صغير السن، وأي علم له اليوم، أو معرفة، أو أدب!؟ دعه حتّى يكبر، ثمّ اصنع به ما شئت.

قال ـ المأمون ـ: كأنّكم تشكّون في قولي؛ إن شئتم فاختبروه، أو ادعوا من يختبره، ثمّ بعد ذلك لوموا فيه، أو اعذروا.

قالوا: وتتركنا وذلك!؟

قال: نعم.

قالوا: فيكون ذلك بين يديك لتترك من يسأله عن شيء من أمور الشريعة، فإن أصاب لم يكن في أمره لنا اعتراض، وظهر للخاصة والعامة سديد رأي أميرالمؤمنين، وإن عجز عن ذلك كفينا خطبه ولم يكن لأميرالمؤمنين عذر في ذلك.

فقال لهم المأمون: شأنكم وذلك متى أردتم.

فخرجوا من عنده، واجتمع رأيهم على القاضي يحيى بن أكثم أن يكون هو الذي يسأله ويمتحنه، وتواعدوا ذلك مع القاضي يحيى، ووعدوه بأشياء كثيرة متى قطعه وأخجله، ثمّ عادوا إلى المأمون، وسألوه أن يُعيّن لهم يوماً يجتمعون فيه بين يديه لمسائلته. فعيّن لهم يوماً، واجتمعوا في ذلك اليوم بين يدي أميرالمؤمنين المأمون، وحضر العباسيون، ومعهم القاضي يحيى بن أكثم، وحضر خواصّ الدولة، وأعيانها من أُمرائها، وحُجّابها، وقوّادها، وأمر المأمون أن يُفرش لأبي جعفر محمّد الجواد فرش حسن، وأن يجعل عليه مصورتان؛ ففُعل ذلك. وخرج أبو جعفر فجلس بين الصورتين، وجلس القاضي يحيى مقابله، وجلس الناس في مراتبهم على قدر طبقاتهم، ومنازلهم، فأقبل ابن أكثم على أبي جعفر فسأله عن مسائل أعدّها له، فأجاب عنها بأحسن جواب، وأبان فيها عن وجه

الصواب بلسان ذلق، ووجه طلق، وقلب جسور، ومنطق ليس بعيي، ولا حصور. فعجب المأمون، والقوم من فصاحة كلامه، وحُسن اتّساق منطقه، ونظامه!

فقال المأمون: أجدت يا أبا جعفر، فإن رأيت أن تسأل يحيى كما سألك ولو عن مسألة واحدة.

فقال عليه السلام: ذلك إليه يا أميرالمؤمنين. فقال يحيى بن أكثم: يسأل فإن كان عندي في ذلك جواب؛ أجبت به، وإلا استفدت الجواب، والله أسأل أن يرشد للصواب.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: ما تقول في رجل نظر إلى امرأة في أوّل النهار بشهوة؛ فكان نظره إليها حراماً عليه، فلمّا ارتفع النهار؛ حلّت له، فلمّا زالت الشمس؛ حرمت عليه، فلمّا كان وقت العصر؛ حلّت له، فلمّا غربت الشمس؛ حرمت عليه، فلمّا كان وقت العشاء؛ حلّت له، فلمّا كان نصف الليل؛ حرمت عليه، فلمّا طلع الفجر؛ حلّت له، فبم حلّت هذه المرأة لهذا الرجل، وبماذا حرمت عليه في هذه الأوقات!؟

فقال يحيى: لا أدري. فإن رأيت أن تفيد بالجواب، فذلك إليك.

فقال أبو جعفر عليه السلام: هذه أمة لرجل من الناس نظر إليها شخص من الناس في أوّل النهار بشهوة، وذلك حرام عليه، فلمّا ارتفع النهار ابتاعها من صاحبها؛ فحلّت له، فلمّا كان الظهر أعتقها؛ فحرمت عليه، فلمّا كان العصر تزوّجها؛ فحلّت له، فلمّا كان وقت المغرب ظاهر منها؛ فحرمت عليه، فلمّا كان وقت العشاء كفّر عن الظهار؛ فحلّت له، فلمّا كان نصف الليل طلّقها واحدة؛ فحرمت عليه، فلمّا كان الفجر راجعها؛ فحلّت له.

فأقبل المأمون على من حضر من أهل بيته، فقال: هل أحد فيكم يستحضر أن يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب؟ فقالوا: ذلك فضل الله يؤتيه من

يشاء. فقال: قد عرفتم الآن ما كنتم تُنكرون. وتبيّن في وجه القاضي يحيى الخجل والتغيّر، عرف ذلك كلّ من في المجلس.

فقال المأمون: الحمد لله على ما منّ به عليّ من السداد في الأمر، والتوفيق في الرأي. وأقبل على أبي جعفر عليه السلام، وقال: إنّي مزوّجك ابنتي أُمّ الفضل وإن رغم لذلك أنوف قوم، فاخطب لنفسك، فقد رضيتك لنفسي وابنتي.

فقال أبو جعفر: الحمد لله إقراراً بنعمته، ولا إله الا الله إخلاصاً بوحدانيته، وصلّى الله على سيّدنا محمّد سيّد بريّته، والأصفياء من عترته. أمّا بعد، فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام، فقال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

ثمّ إنّ محمّد بن علي بن موسى خطب إلى الأمير عبد الله المأمون ابنته أُمّ الفضل، وقد بذل لها من الصداق مهر جدّته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله؛ وهو خمسمائة درهم جياد، فهل زوّجني إيّاها الأمير على هذا الصداق المذكور.

فقال المأمون: زوّجتك إياها على ذلك.

فقال أبو جعفر عليه السلام: قبلت نكاحها لنفسي على هذا الصداق المذكور.

قال الرمّاني: وأخرج الخدم مثل السفينة من الفضّة مطلية بالذهب، فيها الغالية مضروبة بأنواع الطيب، والماورد، والمسك؛ فتطيّب منها الحاضرون على قدر منازلهم، ثمّ وضعت موائد الحلواء فأكل الحاضرون، وفرّقت عليهم الجوائز على قدر رتبهم، ثم انصرف الناس.

---

١. سورة النور، الآية: ٣٢.

وتقدّم المأمون بالصدقة على الفقراء والمساكين، وأهل الأربطة[١] والخوانق[٢]، والمدارس، ولم يزل عنده محمّد الجواد معظّماً مكرّماً إلى أن توجّه بزوجته أُمّ الفضل إلى المدينة الشريفة.

وروي: إنّ أُمّ الفضل بعد توجّهها مع زوجها إلى المدينة كتبت إلى أبيها المأمون تشكو أبا جعفر وتقول: يتسرّى عليّ...

فكتب إليها أبوها يقول: يا بُنية، أنا لم أُزوجك لتحرّمي عليه حلالاً؛ فلا تعاوديني بذكر شيء ممّا ذكرت.[٣]

منتهى الجود والكرم

روى أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، قال: وبلغنا عن بعض العلويين، إنّه قال: كنت أهوى جارية بالمدينة، وتقصر يدي عن ثمنها، فشكوت ذلك إلى محمّد بن علي بن موسى الرضا عليه السلام، فبعث فاشتراها سرّاً، فلمّا بلغني أنّها بيعت، ولم أعلم أنّه اشتراها؛ زاد قلقي، فأتيته فأخبرته ببيعها. فقال عليه السلام: من اشتراها؟!

قلت: لا أعلم.

قال عليه السلام: فهل لك في الفرجة؟ قلت: نعم. فخرجنا إلى قصر له عنده ضيعة فيها نخل، وشجر، وقد قُدّم إليه فرشاً، وطعاماً، فلمّا صرنا إلى الضيعة أخذ بيدي ودخلنا، ومنع أصحابه من الدخول، وأقبل يقول لي: بيعت فلانة ولا تدري مَن

---

١. الرباط: هي المعاهد المبنية، والموقوفة للفقراء. المنجد في اللغة للويس معلوف: ص٢٤٥«مادّة ربط».

٢. الخنق ـ في اللغة ـ : التضييق. والخانق: الطريق الضيّق، ومنه سُمّيت الزاوية التي سكنها صوفية الروم «الخانقاه» لتضييقهم على أنفسهم بالشروط التي يلتزمونها في ملازمتها.

٣. الإتحاف بحبّ الأشراف: ص٦٤.

اشتراها!؟ فأقول: نعم، وأبكي، حتّى انتهى إلى بيت على بابه ستر، وفيه جارية جالسة على فرض له قيمة، فتراجعت، فقال عليه السلام: والله، لتدخلن. فدخلت، فإذا الجارية التي كنت أُحبّها بعينها؛ فبهت، وتحيرت!

فقال عليه السلام: أفتعرفها؟ قلت: نعم.

قال عليه السلام: هي لك مع الفرض، والقصر، والضيعة، والغلّة، والطعام، وأقم بحياتي معها، وابلغ وطرك في التمتّع بها، وخرج إلى أصحابه، فقال عليه السلام: أمّا طعامنا فقد صار لغيرنا، فجددوا لنا طعاماً، ثمّ دعا الأكار فعوّضه عن حقّه من الغلّة حتّى صارت لي تامّة، ثمّ مضى.[1]

شجرة النبق

روى العلامة يوسف بن اسماعيل النبهاني، قال: وحكي أنّه لمّا توجّه ـ أبو جعفر عليه السلام ـ من بغداد إلى المدينة الشريفة، خرج معه الناس يشيّعونه للوداع، فسار إلى أن وصل إلى باب الكوفة عند دار المسيب، فنزل هناك مع غروب الشمس، ودخل إلى مسجد قديم مؤسّس بذلك الموضع يُصلّي فيه المغرب، وكانت في صحن المسجد شجرة نبق لم تُثمر قطّ، فدعا بكوز فيه ماء، فتوضّأ في أصل الشجرة، فقام وصلّى معه الناس المغرب. فقرأ في الأولى الحمد، و﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾. وقرأ في الثانية بالحمد، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ثمّ بعد فراغه جلس هُنيهة يذكر الله، وقام فتنفّل بأربع ركعات، وسجد معهن بسجدتي الشكر، ثمّ قام فودّع الناس، وانصرف.

فأصبحت النبقة وقد حملت من ليلتها حملاً حسناً، فرآها الناس، وقد تعجّبوا من ذلك غاية العجب! وكان ما هو أغرب من ذلك، وهو أنّ نبق هذه الشجرة لم

---

١. المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم: ج١١ ص٦٢.

يكن له عجم؛ فزاد تعجّبهم من ذلك!! وهذا من بعض كراماته الجليلة، ومناقبه الجميلة.[١]

ورواه الشبلنجي في نور الأبصار، وابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة، والقرماني في أخبار الدول، والشبراوي في الإتحاف بحبّ الأشراف.[٢]

يا هذا! ما قصّتك؟

روى ابن الصبّاغ المالكي، قال: عن أبي خالد، قال: كنت بالعسكر، فبلغني أنّ هناك رجلاً محبوساً أُتي به من الشام مكبّلاً بالحديد، وقالوا: إنّه تنبّأ. قال: فأتيت باب السجن، ودفعت شيئاً للسجّان حتّى دخلت عليه، فإذا رجل ذو فهم، وعقل، ولبّ.

فقلت: يا هذا! ما قصّتك؟

فقال: إنّي كنت رجلاً بالشام أعبد الله تعالى في الموضع الذي يُقال أنّه نُصب فيه رأس الحسين عليه السلام، فبينما أنا ذات ليلة في موضعي مُقبلاً على المحراب أذكر الله تعالى؛ إذ رأيت شخصاً بين يديّ، فنظرت إليه، فقال لي: قمّ. فقمت معه، فمشى قليلاً؛ فإذا أنا في مسجد الكوفة.

فقال لي: تعرف هذا المسجد!؟

فقلت: نعم، هذا مسجد الكوفة.

قال: فصلّ.

---

١. جامع كرامات الأولياء: ج١ ص١٦٨.

٢. نور الأبصار: ص١٤٩. الفصول المهمّة: ص٢٥٢. أخبار الدول: ص١١٦. الإتحاف بحبّ الأشراف: ص١٦٨ـ١٧٦.

فصلّيت معه، ثمّ انصرف، فانصرفت معه قليلاً، فإذا نحن بمكّة المشرّفة، فطاف، فطفت معه، ثمّ خرج، فخرجت معه، فمشى قليلاً، فإذا أنا بموضعي الذي كنت فيه أعبد الله تعالى بالشام، ثمّ غاب عنّي، فبقيت متعجّباً حولاً ممّا رأيت!

فلمّا كان العام المقبل إذ ذلك الشخص قد أقبل عليّ؛ فاستبشرت به، فدعاني، فأجبته، ففعل معي كما فعل في العام الماضي؛ فلمّا أراد مفارقتي، قلت له: بحقّ الذي أقدرك على ما رأيت منك، إلا ما أخبرتني من أنت!؟

فقال: أنا محمّد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر.

فحدّثت بعض من كان يجتمع بي في ذلك الموضع؛ فرُفع ذلك إلى محمّد بن عبد الملك الزيّات[1]، فبعث إليّ مَن أخذني من موضعي، وكبّلني بالحديد،

---

١. الوزير ابن الزيّات، محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة الوزير، أبو جعفر بن الزيّات. كان أبوه زيّاتاً فنشأ هو، وقرأ الأدب، وقال الشعر البديع، وتوصّل بالكتابة إلى أن وزر للمعتصم والواثق. وسبب وزارته أنّه ورد على المعتصم كتاب بعض العمّال، وفيه ذكر «الكلأ» فقرأه الوزير أحمد بن عمّار بن شاذي، وزير المعتصم عليه، فقال له: ما الكلأ؟! فقال: لا أعلم. فقال المعتصم: خليفة أُمّي، ووزير عامّي! انظروا مَن في الباب؟ فوجدوا ابن الزيّات، فأدخلوه إليه، فقال له: ما الكلأ؟!

فقال: العشب على الإطلاق؛ فإن كان رطباً فهو «الخلا» فإذا يبس فهو «الحشيش». وشرع في تقسيم النبات، فعلم المعتصم فضله؛ فاستوزره، وحكّمه، وبسط يده، وأمر أن لا يمر بأحد إلا يقوم له. ..

وكان ابن الزيّات قد اتّخذ تنّوراً من حديد، وفيه مسامير أطرافها المحدّدة إلى داخل التنوّر وهي قائمة مثل رؤس المسال؛ يُعذّب فيه المصادرين، وأرباب الدواوين المطلوبين بالأموال، فكيفما انقلب أحدهم أو تحرّك من حرارة الضرب دخلت تلك المسال في جسمه؛ فيجد لذلك ألماً عظيماً. وكان إذا قال أحدهم: أيّها الوزير، ارحمني. فيقول: الرحمة خور في الطبيعة.

فلمّا اعتقله المتوكّل أدخله ذلك التنوّر، وقيّده بخمسة عشر رطلاً من الحديد. فقال: يا أميرالمؤمنين، ارحمني. فقال: الرحمة خور في الطبيعة.

وحملني إلى العراق، وحبسني كما ترى، وادّعى عليّ بالمحال!

فقلت له: فأرفع قصّتك إلى محمد بن عبد الملك الزيّات!؟

قال: افعل.

فكتبت عنه قصّته، وشرحت فيها أمره، ورفعتها إلى محمد بن عبد الملك، فوقّع على ظهرها: قُل للذي أخرجك من الشام إلى هذه المواضع التي ذكرتها: يُخرجك من السجن الذي أنت فيه!

قال أبو خالد: فاغتممت لذلك، وسقط في يدي، وقلت: إلى غد آتيه، وآمره بالصبر، وأعده من الله بالفرج، وأخبره بمقالة هذا الرجل المتجبّر. فلمّا كان من الغد، باكرت إلى السجن، فإذا أنا بالحرس، والجند، وأصحاب السجن، وناس كثير في هرج؛ فسألت: ما الخبر؟!

فقيل لي: إنّ الرجل المتنبّي المحمول من الشام فُقد البارحة من السجن وحده بمفرده، وأصبحت قيوده، والأغلال التي كانت في عنقه مرماة في السجن،

فطلب دواةً، وقرطاساً؛ فأخذ ذلك وكتب:

هي السبيل فمن يومٍ إلى يوم ... كأنّه ما تريك العين في النوم
لا تجزعنّ رويداً إنّها دولٌ ... دنيا تنقل من قوم إلى قوم

وسيّرها إلى المتوكّل، فاشتغل عنها ولم يقف عليها إلا في الغد، فلمّا قرأها، أمر بإخراجه، فجاؤوا إليه فوجدوه ميّتاً سنة ثلاث وثلاثين ومائتين. وكانت إقامته في التنوّر أربعين يوماً، ووجد قد كتب بالفحم على جانب التنوّر:

من له عهدٌ بنوم ... يرشد الصب إليه
رحم الله رحيماً ... دل عيني عليه
سهرت عيني ونامت ... عين من هنت لديه

الوافي بالوفيات للصفدي: ج١ ص٤٦١، ترجمة الوزير ابن الزيّات.

لا ندري كيف خلص منها، وطُلب فلم يوجد له أثر، ولا خبر! ولا يدرون أغمس في الماء، أم عرج به إلى السماء؟!

فتعجّبت من ذلك، وقلت في نفسي: استخفاف ابن الزيّات بأمره، واستهزاءه بما وقّع به على قصّته خلّصه من السجن.[1]

ورواه الشبلنجي في نور الأبصار.[2]

حوائج الناس إليك

قال الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام: ما عظمت نعم الله على أحد إلا عظمت إليه حوائج الناس، فمن لم يتحمّل تلك المؤونة؛ عرّض تلك النعمة للزوال.[3]

من اتّقى الله

وقال عليه السلام: من استغنى بالله؛ افتقر الناس إليه، ومن اتّقى الله؛ أحبّه الناس.[4]

بيت في الجنّة

وقال عليه السلام: من استفاد أخاً في الله؛ استفاد بيتاً في الجنّة.[5]

---

١. الفصول المهمّة: ص٢٥٣.

٢. نور الأبصار: ص١٤٨.

٣. الفصول المهمّة للمالكي: ص٢٥٥. نور الأبصار للشبلنجي: ص٢٢٠. جالية الكدر في شرح منظومة البرزنجي للأبياري: ص٢٠٦.

٤. نور الأبصار للشبلنجي: ص٢٢٠.

٥. تاريخ بغداد للبغدادي: ج٣ ص٥٤. الفصول المهمّة للمالكي: ص٢٥٤. نور الأبصار للشبلنجي: ص٢٢١. نزهة الجليس: ج٢ ص٧٠.

الجمال والكمال

وقالعليه السلام: الجمال في اللسان، والكمال في العقل.[١]

الشرف والسؤدد

وقالعليه السلام: الشريف كلّ الشريف؛ مَن شرّفه علمه، والسؤدد كلّ السؤدد؛ لمن اتّقى الله ربّه.[٢]

الناس أشكال

وقالعليه السلام: الناس أشكال، وكلّ يعمل على شاكلته، والناس أُخوان، فمن كانت أخوّته في غير ذات الله تعالى؛ فإنّها تعود عداوة، وذلك قولهعزّ وجلّ: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[٣].[٤]

من كمال المروّة

وقالعليه السلام: حسب المرء من كمال المروّة أن لا يلقي أحداً بما يكره، ومن حسن خلق الرجل كفّه أذاه، ومن سخائه برّه بمن يجب حقّه عليه، ومن كرمه إيثاره على نفسه، ومن صبره قلّة شكواه، ومن عقله إنصافه من نفسه، ومن إنصافه قبول الحقّ إذا بان له، ومن نصحه نهيه عمّا لا يرضاه لنفسه، ومن حفظه لجوارك تركه توبيخك عند أشنانك مع علمه بعيوبك، ومن رفقه تركه عذلك[٥] بحضرة من تكره، ومن حسن صحبته لك إسقاطه عنك مؤنة التحفّظ، ومن

---

١. الفصول المهمّة للمالكي: ص٢٥٥. نور الأبصار للشبلنجي: ص٢٢٠.
٢. الفصول المهمّة للمالكي: ص٢٥٧. نور الأبصار للشبلنجي: ص٢٣١.
٣. سورة الزخرف، الآية: ٦٧.
٤. الفصول المهمّة: ص٢٥٦. نور الأبصار للشبلنجي: ص٢٢١.
٥. العذل: الملامة.

علامة صداقته لك كثرة موافقته، وقلّة مخالفته، ومن شكره معرفته إحسان من أحسن إليه، ومن تواضعه معرفته بقدره، ومن سلامته قلّة حفظه لعيوب غيره، وعنايته بصلاح عيوبه.[١]

لا تعجل

وقالعليه السلام: لا تعاجلوا الأمر قبل بلوغه؛ فتندموا، ولا تُطولنّ عليكم الأمد؛ فتقسوا قلوبكم، وارحموا ضعفاءكم، واطلبوا من الله الرحمة فيهم.[٢]

لا تستحسن القبيح

وقالعليه السلام: من استحسن قبيحاً كان شريكاً فيه.[٣]

الموت بالذنب

وقالعليه السلام: موت الإنسان بالذنوب أكثر من موته بالأجل، وحياته بالبرّ أكثر من حياته بالعمر.[٤]

الشركاء في الظلم

وقالعليه السلام: العامل بالظلم، والمعين عليه، والراضي به شُركاء.[٥]

من أسباب الاختلاف

وقالعليه السلام: لو سكت الجاهل ما اختلف الناس.[٦]

---

١. الفصول المهمّة: ص٢٥٦. نور الأبصار للشبلنجي: ص٢٢١، لكنّه بدل كلمة «أشنانك» ذكر جملة «ذنب أصابك».

٢. الفصول المهمّة للمالكي: ص٢٥٧. نور الأبصار للشبلنجي: ص١٥٠.

٣. الفصول المهمّة للمالكي: ص٢٥٧. نور الأبصار للشبلنجي: ص١٥٠.

٤. الفصول المهمّة للمالكي: ص٢٥٧. نور الأبصار للشبلنجي: ص١٥٠.

٥. الفصول المهمّة للمالكي: ص٢٥٧. نور الأبصار للشبلنجي: ص١٥٠.

٦. الفصول المهمّة للمالكي: ص٢٥٦. نور الأبصار للشبلنجي: ص١٥٠.

بين العقل والحمق

وقال عليه السلام: لا زال العقل والحمق يتغالبان على الرجل إلى أن يبلغ ثماني عشرة سنة، فإذا بلغها؛ غلب عليه أكثرها فيه. وما أنعم الله على عبد نعمة فعلم أنّها من الله إلا كتب الله على اسمه شكرها له قبل أن يحمده. ولا أذنب العبد ذنباً فعلم أنّ الله يطّلع عليه، إن شاء عذّبه، وإن شاء غفر له؛ إلا غفر له قبل أن يستغفر.[١]

القلب الصبور

وقال عليه السلام: من أخطأ وجوه المطالب؛ خذلته الحيل، والطامع في وثاق الذّل، ومن طلب البقاء؛ فليعد للمصائب قلباً صبوراً.[٢]

من آداب الوعظ

وقال عليه السلام: لا تفسد الظّن على صديق قد أصلحك اليقين له، ومن وعظ أخاه سرّاً؛ فقد زانه، ومن وعظه علانية؛ فقد شانه.[٣]

أُخريات المحن

وقال عليه السلام لقيس بن سعد لمّا قدم من مصر:

يا قيس، إنّ للمحن أُخريات لابدّ أن تنتهي إليها، فيجب على العاقل أن ينام لها إلى إدبارها، فإنّ مكابدتها[٤] بالحيلة عند إقبالها؛ زيادة فيها.[٥]

---

١. الفصول المهمّة للمالكي: ص٢٥٧. نور الأبصار للشبلنجي: ص١٥٠.
٢. الفصول المهمّة للمالكي: ص٢٥٧. نور الأبصار للشبلنجي: ص١٥٠.
٣. الفصول المهمّة للمالكي: ص٢٥٧. نور الأبصار للشبلنجي: ص١٥٠.
٤. كابد: قاساه، وتحمّل المشاق في فعله.
٥. الفصول المهمّة للمالكي: ص٢٥٥. نور الأبصار للشبلنجي: ص١٥٠.

قصد القلوب

وقال عليه السلام: القصد إلى الله بالقلوب أبلغ من إثبات الجوارح بالأعمال.[١]

بذل النعم ومنعها

وقال عليه السلام: إنّ لله عباداً يخصّهم بدوام النعم، فلا تزال فيهم ما بذلوها، فإن منعوها نزعها الله عنهم، وحوّلها إلى غيرهم.[٢]

التوكّل على الله

وقال عليه السلام: إنّه مَن وثق بالله؛ أراه السرور. ومن توكّل على الله؛ كفاه الله الأُمور. والثقة بالله حصن لا يتحصّن فيه إلا المؤمن. والتوكّل على الله؛ نجاة من كلّ سوء، وحرز من كلّ عدو. والدين عزّ، والعلم كنز، والصمت نور، وغاية الزهد الورع، ولا هدم للدين مثل البدع، ولا أفسد للرجال من الطمع، وبالراعي تصلح الرعيّة، وبالدعاء تُصرف البليّة، ومن ركب الصبر؛ اهتدى إلى مضمار النصر، ومن غرس أشجار التقى؛ اجتنى أثمار المنى.[٣]

مقتل الرجل

وقال عليه السلام: مقتل الرجل بين فكّيه، والرأي مع الإناءة[٤]، وبئس الظهر[٥]، وبئس

---

١. الفصول المهمّة للمالكي: ص٢٥٤.

٢. نور الأبصار للشبلنجي: ص١٤٥.

٣. الفصول المهمّة للمالكي: ص٢٥٥.

٤. أنياً وإنى: أبطأ وتمهّل. .. والأناة: الإنتظار والتمهّل. .. الإنى: حلول الوقت، والنضج. المنجد«مادّة انى».

٥. ظهر بعلمه: فخر به، وظهره: غلبه، وظهر به: نبذه خلف ظهره واستخف به، وقيل: الظهر: النسيان. المنجد«مادّة ظهر».

الظهير[١]؛ الرأي القصير، والرأي الفطير[٢].[٣]

محاسن الفتن

وقال عليه السلام: العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى، والصبر زينة البلاء، والتواضع زينة الحسب، والفصاحة زينة الكلام، والحفظ زينة الرواية، وخفض الجناح زينة العلم، وحسن الأدب زينة العقل، وبسط الوجه زينة الكرم، وترك المنّ زينة المعروف، والخشوع زينة الصلاة، والتنفّل زينة القناعة، وترك ما لا يعني زينة الورع.[٤]

النجاة في التقوى

وقال عليه السلام: لو كانت السماوات والأرض رتقاً على عبد ثمّ اتّقى الله تعالى؛ لجعل منها مخرجاً.[٥]

يوم العدل أشدّ

وقال عليه السلام: يوم العدل على الظالم أشدّ من يوم الجور على المظلوم.[٦]

الفرصة خلسة

وقال عليه السلام: مَن أمّل إنساناً هابه، ومَن جهل شيئاً عابه، والفرصة خلسة، ومَن

---

١. الظهير: المعين.
٢. الفطير: كلّ ما أعجل عن إدراكه.
٣. الفصول المهمّة للمالكي: ص٢٥٦.
٤. الفصول المهمّة للمالكي: ص٢٥٥.
٥. الفصول المهمة للمالكي: ص٢٥٥.
٦. نور الأبصار للشبلنجي: ص٢٥٦.

كثر همّه سقم جسده، وعنوان صحيفة المسلم: حسن خلقه.[١]

مقومات العمل

وقال عليه السلام: أربع خصال تعين المرء على العمل: الصحّة، والغنى، والعلم، والتوفيق.[٢]

لا تأمل فاجراً

وقال عليه السلام: من أمّل فاجراً كان أدنى عقوبته الحرمان.[٣]

كيف يضيع!؟

وقال عليه السلام: كيف يضيع من الله كافله!؟ وكيف ينجو من الله طالبه!؟[٤]

كفر النعمة

وقال عليه السلام: كفر النعمة داعية المقت، ومن جازاك بالشكر فقد أعطاك أكثر ممّا أخذ منك.[٥]

اصطناع المعروف

وقال عليه السلام: أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه؛ لأنّ لهم أجرهم، وفخره، وذكره، فما اصطنع الرجل من معروف فإنّما يبدأ فيه بنفسه.[٦]

---

١. الفصول المهمّة للمالكي: ص٢٥٥.
٢. الفصول المهمّة: ص٢٥٥. نور الأبصار للشبلنجي: ص١٥٠.
٣. الفصول المهمّة: ص٢٥٥. نور الأبصار للشبلنجي: ص١٥٠.
٤. نور الأبصار للشبلنجي: ص١٥٠.
٥. الفصول المهمّة: ص٢٥٧. نور الأبصار للشبلنجي: ص١٥٠.
٦. الفصول المهمّة للمالكي: ص٢٥٧، ونور الأبصار للشبلنجي: ص١٥٠.

صحيفة السعيد

وقال عليه السلام: عنوان صحيفة السعيد: حسن الثناء عليه.[١]

الصبر على المصيبة

وقال عليه السلام: الصبر على المصيبة مصيبة للشامت.[٢]

الطريق إلى الله

وقال عليه السلام: ثلاث يبلغن بالعبد رضوان الله تعالى: كثرة الإستغفار، ولين الجانب، وكثرة الصدقة.[٣]

ضمان لعدم الندم

وقال عليه السلام: ثلاث من كنّ فيه لم يندم: ترك العجلة، والمشورة، والتوكّل على الله عند العزم.[٤]

من مقومات المروّة

وقال عليه السلام: ثلاث خصال تجلب بهنّ المروّة: الإنصاف في المعاشرة، والمواساة في الشدّة، والإنطواء على قلب سليم.[٥]

العمل على غير علم

وقال عليه السلام: من انقطع إلى غير الله؛ وكّله الله إليه، ومن عمل على غير علم؛

---

١. الفصول المهمّة للمالكي: ص٢٥٧، ونور الأبصار للشبلنجي: ص١٥٠.

٢. الفصول المهمّة للمالكي: ص٢٥٧، ونور الأبصار للشبلنجي: ص١٥٠.

٣. الفصول المهمّة للمالكي: ص٢٥٧، ونور الأبصار للشبلنجي: ص١٥٠.

٤. الفصول المهمّة للمالكي: ص٢٥٧، ونور الأبصار للشبلنجي: ص١٥٠.

٥. الفصول المهمّة للمالكي: ص٢٥٧. نور الأبصار للشبلنجي: ص١٥٠.

أفسد أكثر ممّا يُصلح.[١]

هذا ما تيسّر لنا إيراده من بعض ماتناقلته كتب أهل السنّة من تاريخ حياة الإمام محمّد بن علي الجواد عليه السلام الذي فاق جميع علماء عصره، وغلب عليهم علماً، وفقهاً، وكان عمره يومئذ تسع سنين، فضلاً عمّا أُتي من كرامات، ومعجزات تليق بساحة قربه من الله تعالى.

وعليه، نتساءل علماء السنّة، ونقول لهم:

أهذا الغلام الذي لم يتجاوز عمره الشريف تسع سنين، وقد فاق أكابر علماء عصره، وغلب عليهم فضلاً، وعلماً أحقّ، وأجدر لأن يكون من الخلفاء الإثني عشر الذين أخبر بهم رسول الله صلى الله عليه وآله أم سواه ممّن لم يكن همّه من الحكومة سوى إشباع رغباته الحيوانيّة، وإرضاء نفسه الناقصة من كلّ ما يمتّ إلى شرف الإنسان المتّقي؟ قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[٢].

لا والله، لا يُظنّ بكل ذي عقل سليم، أوعالم بصير، أومتّق حصيف أن يعتقد بأنّ مراد رسول الله صلى الله عليه وآله من الخلفاء الإثني عشر إنّما كان: معاوية ومن مهّد له، أوالسفّاح العباسي، وجريرتهما أمثالهما في الجور، والطغيان، والحكم بما تهوي النفوس دون الحكم بما أنزل الله عزّ وجلّ على رسوله الكريم صلى الله عليه وآله.

تاريخ شهادته عليه السلام، ومدفنه

روى ابن حجر، قال: ثمّ قدم بها ـ أي، بزوجته أُمّ الفضل ـ بطلب من

---

١. الفصول المهمّة للمالكي: ص٢٥٤.

٢. سورة يونس، الآية: ٣٥.

المعتصم لليلتين بقيتا من المحرّم سنة عشرين ومائتين، وتوفّي فيها في آخر ذي القعدة، ودُفن في مقابر قريش في ظهر جدّه الكاظم، وعمره خمس وعشرون سنة. ويُقال: إنّه سُمّ أيضاً... إلخ.[١]

وروى ابن طلحة الشافعي، قال: وأمّا عمره: فإنّه عليه السلام مات في ذي الحجّة من سنة مائتين وعشرين للهجرة في خلافة المعتصم.[٢]

---

١. الصواعق المحرقة: ج٢ ص٥٩٦.

٢. مطالب السؤول: ج٢ ص٧٤ الباب التاسع في أبي جعفر محمد بن علي القانع.

فصل في

بعض ما رواه علماء الشيعة

في عظيم شأنه عليه السلام

زخرت كتب الشيعة بلفيف من الوقائع، والحقائق، والآثار وهي تبحث في سيرة كلّ واحد من أئمّة مذهب الحقّ بدءاً بأولّهم، وأرومتهم أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وانتهاءً بخاتم الحجج محمّد بن الحسن المنتظر عجل الله فرجه.

ولا شكّ فإنّ تحت ضوء هذه العجالة لا يسعنا الإستغراق في البحث عن كلّ ما كُتب عن الإمام محمّد الجواد عليه السلام ـ أُسوة بغيره من أئمّة مذهب الحقّ ـ والإقتصار على ما يمكن به سدّ رمق هنيهة الفرصة من هذا الكتاب؛ علّنا نهتدي بها والأخرون ممّن أصلحوا النفس لاستقبالها بقبول حسن.

اسمه الشريف: أبو جعفر بن أبي الحسن بن أبي ابراهيم بن أبي عبد الله بن أبي جعفر بن أبي محمد بن أبي عبد الله بن أبي الحسن بن أبي طالب عليهم السلام

وكنيته: أبو جعفر.

وألقابه: المختار، والمرضي، والمتوكّل، والمتّقي، والزكي، والتقي، والمنتجب، والمرتضى، والقانع، والجواد ـ هذا أشهرها ـ والعالم الرباني، ظاهر المعاني، قليل التواني، المعروف بأبي جعفر الثاني، المنتجب المرتضى، المتوشّح بالرضا، المستسلم للقضاء، وله من الله أكثر الرضا، ابن الرضا، توارث الشرف كابراً عن كابر، وشهد له بذا الصوامع، استسقى عروقه من منبع النبوّة، ورضعت شجرته ثدي الرسالة، وتهدّلت أغصانه ثمر الإمامة:

فديت إمامي أبا جعفر جواد يلقب بالتاسع[1]

---

١. مناقب آل أبي طالب للمازندراني: ج٣ ص٤٨٦.

الولادة المباركة

قال الشيخ الكليني محمّد بن يعقوب:

ولد عليه السلام في شهر رمضان من سنة خمس وتسعين ومائة، وقُبض عليه السلام سنة عشرين ومائتين في آخر ذي القعدة، وهو ابن خمس وعشرين سنة وشهرين وثمانية عشر يوماً، ودُفن ببغداد في مقابر قريش عند قبر جدّه موسى عليه السلام، وقد كان المعتصم أشخصه إلى بغداد في أوّل هذه السنة التي توفّي فيها، وأُمّه أُمّ ولد يُقال لها: سبيكة النوبيّة، وقيل أيضاً: إنّ اسمها كان خيزران، وروي: إنّها كانت من أهل بيت مارية أُمّ إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله.[1]

وقال المازندراني: ولد عليه السلام بالمدينة ليلة الجمعة التاسع عشر من شهر رمضان، ويقال: للنصف منه، وقال ابن عيّاش: يوم الجمعة لعشر خلون من رجب سنة خمس وتسعين ومائة، وقُبض عليه السلام ببغداد مسموماً في آخر ذي القعدة، وقيل: يوم السبت لست خلون من ذي الحجّة سنة عشرين ومائتين، ودُفن في مقابر قريش إلى جنب موسى بن جعفر عليهما السلام، وعمره خمس وعشرون سنة.

وأُمّه أُمّ ولد تُدعى: درّة، وكانت مريسية[2] ثمّ سمّاها الرضا عليه السلام: خيزران، وكانت من أهل بيت ماريّة القبطيّة، ويقال: إنّها سبيكة، وكانت نوبيّة[3]، ويقال:

١. الكافي: ج١ ص٤٩٢، باب مولد أبي جعفر محمّد بن علي الثاني عليه السلام.

٢. المريس: البلد الذي يتّصل من بلاد النوبة بأسوان يُعرف بـ«مريس». والمريسة قرية بمصر من ناحية الصعيد. راجع الروض المعطار للحميري: ص٥٣٨.

٣. نوابية ـ وإليها ينسب النوبة ـ: وهي مدينة صغيرة، ومنها إلى النيل أربعة أيام، وفي نسائهم جمال فائق، ولهنّ أعراق طيّبة ليست من أعراق السودان من شيء، ويرغب فيهن ملوك مصر، فيتنافسون في إمائهن ويتّخذونهن أُمّهات أولاد... الروض المعطار للحميري: ص٥٨٥.

ريحانة، وتُكنّى: أُمّ الحسن.[١]

فكان في سني إمامته بقيّة ملك المأمون، ثمّ ملك المعتصم، والواثق. وفي ملك الواثق استشهد[٢]... قال ابن بابويه: سمّ المعتصمَ لمحمد بن عليعليه السلام، وأولاده: علي الإمام ـ الهاديعليه السلام ـ وموسى، وحكيمة، وخديجة، وأُمّ كلثوم...

وسبب وروده بغداد؛ إشخاص المعتصم له من المدينة، فورد بغداد لليلتين من المحرّم، سنة عشرين ومائتين، وأقام بها حتّى توفّي في هذه السنة.

النصّ على إمامتهعليه السلام

قال المازندراني: والدليل على إمامتهعليه السلام اعتبار القطع على العصمة، ووجوب كونه أعلم الخلق بالشريعة، واعتبار القول بإمامة الإثني عشر، وتواتر الشيعة، وأمّا قول الكيسانية، والفطحيّة، وغيرهم[٣]، فكلّهم قد انقرضوا، ولو كانوا محقّين لما جاز انقراضهم؛ لأنّ الحقّ لا يجوز أن يخرج عن أُمّة محمّدصلى الله عليه وآله.

وقد ثبت بقول الثقاة إشارة أبيهعليه السلام إليه، منهم: عمّه علي بن جعفر الصادقعليه السلام، وصفوان بن يحيى، ومعمّر بن خلاد، وابن أبي نصر البزنطي، والحسين بن يسار، والحسن بن جهم، وأبو يحيى الصنعاني، ويحيى بن حبيب الزيّات.

وكان بابه عثمان بن سعيد السمّان، ومن ثقاته: أيّوب بن نوح بن درّاج

١. مناقب آل أبي طالب للمازندراني: ج٣ ص٤٨٦.

٢. إنّهعليه السلام لم يدرك ملك الواثق، بل سمّه المعتصم، وتوفّي في ملكه مسموماً سنة عشرين ومائتين. وكان الواثق قد استولى على الحكم سنة سبع وعشرين ومائتين. أُنظر مروج الذهب للمسعودي: ج٣ ص٤٧٦.

٣. أُنظر تفاصيلهم في معجم الفرق الإسلاميّة ليحيى الأمين، والفرق بين الفرق للبغدادي، وفرق الشيعة للنوبختي. وغيرها.

الكوفي، وجعفر بن محمد بن يونس الأحول، والحسين بن مسلم بن الحسن، والمختار بن زياد العبدي البصري، ومحمد بن الحسين بن أبي الخطّاب الكوفي.

ومن أصحابه: شاذان بن الخليل النيشابوري، ونوح بن شعيب البغدادي، ومحمد بن أحمد المحمودي، وأبو يحيى الجرجاني، وأبو القاسم ادريس القمّي، وعلي بن محمد بن هارون بن الحسن بن محبوب، وإسحاق بن إسماعيل النيشابوري، وأبو حامد أحمد بن إبراهيم المراغي، وأبو علي بن بلال، وعبد الله بن محمد الحضيني، ومحمد بن الحسن بن شمون البصري... إلخ.[1]

كلام الإربلي

وقال الإربلي: أبو جعفر القانع، محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام...

قال الفقير إلى الله تعالى عبد الله علي بن عيسى: الجواد عليه السلام في كلّ أحواله جواد، وفيه يصدق قول اللغوي[2] جواد من الجودة، من أجواد. فاق الناس ـ في زمانه ـ بطهارة العنصر، وزكاء الميلاد، وافترع قلّة العلاء، فما قاربه أحد، ولا كاد مجده عالي المراتب، ومكانته الرفيعة تسمو على الكواكب، ومنصبه يشرف على المناصب، إذا أنس الوفد ناراً قالوا: ليتها ناره لانار غالب، له إلى المعالي سمو، وإلى الشرف رواح وغدو، وفي السيادة إغراق وغلو، وعلى هام السماك ارتفاع وعلو، وعن كلّ رذيلة بعد، وإلى كلّ فضيلة دنو، تتأرّج المكارم من أعطافه، ويقطر المجد من أطرافه، وتروى أخبار السماح عنه، وعن أبنائه، وأسلافه عليهم السلام.

---

١. مناقب آل أبي طالب للمازندراني: ج٣ ص٤٨٦.

٢. أُنظر لسان العرب لابن منظور: ج٣ ص١٣٥ «مادة جَوَدَ».

فطوبى لمن سعى في ولائه، والويل لمن رغب في خلافه، إذا أقتسمت غنايم المجد، والمعالي، والمفاخر له‌عليه السلام صفاياها، وإذا امتطيت غوارب السؤدد كان له‌عليه السلام أعلاها، وأسماها. يباري الغيث جواداً وعطيّة، ويجاري الليل نجدة وحميّة، ويبذ السير سيرة رضيّة مرضيّة سريّة.

إذا عدد آبائه الكرام وأبنائه‌عليهم السلام نظم اللآلي الأفراد في عدّه، وجاء بجماع المكارم في رسمه وحدّه، وجمع أشتات المعالي فيه‌عليه السلام، وفي آبائه‌عليهم السلام من قبله، وفي أبنائه من بعده.

فمن له أب كأبيه، أو جدّ كجدّه، فهوعليه السلام شريكهم في المجد، وهم شركاؤه في مجده، وكما ملأوا أيدي العفاة برفدهم ملأ أيديهم برفده، بدور طوالع، جبال روافع، غيوث هوامع، سيول دوافع، بهم اتّضحت سُبل الهدى، وبهم سُلّم من الردى، وبحبّهم ترجى النجاة والفوز غداً، وهم أهل المعروف وأولوا الندى، ما كلّ المدائح دون استحقاقهم، وكلّ مكارم الأخلاق مأخوذة من كريم أخلاقهم، وكل صفات الخير مخلوفة في عنصرهم الشريف، وأعراقهم. فالجنّة في وصالهم، والنار في فراقهم. وهذه الصفات تصدق على الجمع والواحد، وتثبت للغايب منهم والشاهد، وتتنزّل على الولد منهم والوالد. حبّهم فريضة لازمة، ودولتهم باقية دائمة، وأسواق سؤددهم قائمة، وثغور محبّيهم باسمة.

وكفاهم شرفاً أن جدّهم محمدصلى الله عليه وآله، وأبوهم عليعليه السلام، وأُمّهم فاطمةعليها السلام. فمن يُجاريهم في الفخر، أو من يُسابقهم في علو القدر؟

وما تركوا غاية عزّ إلا انتهوا إليها سابقين، ولا مرتبة سؤدد، إلا ارتقوها آمنين من اللاحقين، وهذا حقّ اليقين، بل عين اليقين، الناس كلّهم عيال عليهم، ومنتسبون انتساب العبوديّة إليهم. عنهم أُخذت المآثر، ومنهم تُعلّمت المفاخر، وبشرفهم شرف الأوّل والآخر، ولو أطلت في صفاتهم لم آت بطايل، ولو

حاولت حصرها نادتني: أين الثريا من يد المتناول، وكيف تطيق حصر ما عجز عنه الأواخر والأوائل، وهذا مقام يلبس فيه سحبان وايل فهاهة باقل[١]؛ فكففت عنان القلم، وكففت من انثيال الكلم، واتّبعت العادة في مدحه عليه السلام بشعر، وهو:

حماد حماد للمثني حماد ... على آلاء مولانا الجواد
إمام هدى له شرف ومجد ... علا بهما على السبع الشداد
إمام هدى له شرف ومجد ... أقرّ به الموالي والمعادي
تصوب يداه بالجدوى فتغني ... عن الأنواء في السنة الجماد
يبخل جود كفّه إذا ما ... جرى في الجود منهل للغواد
بنى من صالح الأعمال بيتاً ... بعيد الصيت مرتفع العماد
وشادَ من المفاخر والمعالي ... بناءً لم يشده قوم عاد
فواضله وأنعمه غزار ... عهدن أبرّ من سح المعاد
ويقدم في الوغى اقدام ليث ... ويجري في الندى جري الجواد
فمن يرجو اللحاق به إذا ما ... أتى بطريف فخر أو تلاد
من القوم الذين أقرّ طوعاً ... بفضلهم الأصادق والأعادي
أياديهم وفضلهم جميعاً ... قلايد محكمات في الهوادي
بهم عرف الورى سبل المعالي ... وهم دلّوا الأنام على الرشاد
وهم أهل المعالي والمعاني ... وهم أهل العطايا والأيادي
سموا في الحلم قيسا وابن قيس ... وإن قالوا فمن قسّ الأيادي
وهذا مذهب في الشعر جار ... وأين من الربى خفض الوهاد
لهم أيد جبلن على سماح ... وأفعال طبعن على سداد

---

١. سحبان: اسم رجل باهلي يُضرب به المثل في الخطابة والفصاحة. الفهاهة: السقط من العي، والعجز في الكلام. باقل: رجل يُضرب به المثل في العي.
وكأنّه يرمي إلى تلاشي المقام عنده في وصفهم عليهم السلام سواء أطال أم قصّر، فيكون كمن أعجزته فصاحة سحبان عنها فهاهة ناقل.

وهم من غير ما شكّ وخلف ... إذا أنصفت سادات العباد
أيا مولاي دعوة ذي ولاء ... إليك ينتمي وبكم ينادي
يقدّم حبّكم ذخراً وكنزاً ... يعود إليه في يوم المعاد
جرى بمديح مجدكم لساني ... فأصبح ديني فيكم وعادي
ففيكم رغبتي وعلى هواكم ... محافظتي وحبّكم اعتقادي
إذا محض الوداد الناس قوماً ... محضتكم وإن سخطوا ودادي
وكيف يجوز عن قصد لساني ... وقلبي رايح بهواك غادي
وممّا كانت الحكماء قالت ... لسان المرء من خدم الفؤاد
وقد قدّمتكم زاداً لسيري ... إلى الأُخرى ونعم الزاد زادي
فأنتم عدتي إن ناب دهر ... وأنتم إن عرى خطب عتادي[1]

كلام الطبرسي

قال الشيخ الطبرسي: ولد عليه السلام في شهر رمضان من سنة خمس وتسعين ومائة لسبع عشرة ليلة مضت من الشهر، وقيل: للنصف منه ليلة الجمعة. وفي رواية ابن عيّاش: ولد عليه السلام الجمعة لعشر خلون من رجب، وقبض عليه السلام ببغداد في آخر ذي القعدة سنة عشرين ومائتين، وله عليه السلام يومئذ خمس وعشرون سنة، وكانت مدّة خلافته وولايته سبع عشر سنة، وكانت في أيام إمامته بقيّة ملك المأمون، وقبض عليه السلام في أوّل ملك المعتصم، وأُمّه عليها السلام: أُمّ ولد يُقال لها: سبيكة، ويُقال: درّة، ثمّ سمّاها الرضا عليه السلام: «خيزران» وكانت نوبيّة.

ولقبه عليه السلام: التقي، والمنتجب، والجواد، والمرتضى، ويُقال له عليه السلام: أبو جعفر الثاني.[2]

---

١. كشف الغمّة: ج٣ ص٣٧١.

٢. إعلام الورى: ج٢ ص٩١ الباب الثامن في ذكر الإمام التقي أبي جعفر، محمد بن علي الرضا عليه السلام.

أحسن إلى إخوانك

روى الكليني في الكافي، قال: عن أحمد بن زكريا الصيدلاني، عن رجل من بني حنيفة من أهل بست وسجستان، قال: رافقت أبا جعفر عليه السلام في السنة التي حجّ فيها في أوّل خلافة المعتصم، فقلت له وأنا معه على المائدة، وهناك جماعة من أولياء السلطان: إنّ والينا جعلت فداك، رجل يتولاكم أهل البيت، ويحبّكم، وعليّ في ديوانه خراج، فإن رأيت جعلني الله فِداك، أن تكتب إليه بالإحسان إلي.

فقال عليه السلام: لا أعرفه!

فقلت: جعلت فداك، إنّه على ما قلت؛ من محبّيكم أهل البيت، وكتابك ينفعني عنده.

فأخذ عليه السلام القرطاس فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد: فإنّ موصل كتابي هذا ذكر عنك مذهباً جميلاً، وإنّما لك من عملك ما أنت فيه، فأحسن إلى إخوانك واعلم أنّ الله عزّ وجلّ سائلك عن مثاقيل الذرّ، والخردل.

قال: فلمّا وردت سجستان سبق الخبر إلى الحسين بن عبد الله النيسابوري ـ وهو الوالي ـ فاستقبلني على فرسخين من المدينة؛ فدفعت إليه الكتاب، فقبّله ووضعه على عينيه، وقال لي: حاجتك.

فقلت: خراج عليّ في ديوانك.

قال: فأمر بطرحه عنّي، وقال: لا تؤدّ خراجاً ما دام لي عمل. ثمّ سألني عن عيالي، فأخبرته بمبلغهم، فأمر لي ولهم بما يقوتنا وفضلاً، فما أدّيت خراجاً

مادام حيّاً، ولا قطع عنّي صلته حتّى مات.[١]

مع الكرماني

روى الراوندي في الخرائج، قال: عن محمد بن الوليد الكرماني، قال:

أتيت أبا جعفر ابن الرضا عليه السلام فوجدت بالباب الذي في الفناء قوماً كثيراً، فعدلت إلى مسافر فجلست إليه حتّى زالت الشمس، فقمنا للصلاة، فلمّا صلّينا الظهر وجدت حسّاً من ورائي؛ فالتفتّ فإذا أبو جعفر عليه السلام، فسرت إليه حتّى قبّلت يده، ثمّ جلس، وسأل عن مقدمي، ثمّ قال: سلّم.

فقلت: جُعلت فداك، قد سلّمت! فأعاد القول ثلاث مرّات: «سلّم». وقلت: ذاك ما قد كان في قلبي منه شئ. فتبسّم عليه السلام، وقال: «سلّم».

فتداركتها، وقلت: سلّمت، ورضيت يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله. فأجلى الله عمّا كان في قلبي حتّى لو جهدت ورمت لنفسي أن أعود إلى الشكّ ما وصلت إليه، فعدت من الغد باكراً، فارتفعت عن الباب الأوّل، وصرت قبل الخيل، وما ورائي أحد أعلمه، وأنا أتوقّع أن أجد السبيل إلى الإرشاد إليه، فلم أجد أحداً حتّى اشتد الحرّ والجوع جداً، حتّى جعلت أشرب الماء أطفئ به حرّ ما أجد من الجوع والخواء، فبينما أنا كذلك إذا قبل نحوي غلام قد حمل خواناً عليه طعام، وألوان، وغلام آخر معه طشت، وإبريق حتّى وضع بين يدي، وقالا: أمرك أن تأكل. فأكلت.

فلمّا فرغت، أقبل عليه السلام فقمت إليه، فأمرني بالجلوس وبالأكل، فأكلت، فنظر عليه السلام إلى الغلام، فقال: كلّ معه ينشط. حتّى إذا فرغت، ورُفع الخوان، وذهب الغلام ليرفع ما وقع من الخوان من فتات الطعام، فقال عليه السلام: مه مه؛ ما كان

---

١. الكافي: ج٥ ص١١١ باب شرط مَن أذن له في أعمالهم، ح٦.

في الصحراء فدعه ولو فخذ شاة، وما كان في البيت فالقطه.

ثمّ قال عليه السلام: سل. قلت: جعلني الله فداك، ما تقول في المسك؟

فقال عليه السلام: إنّ أبي عليه السلام أمر أن يُعمل له عليه السلام مسك في بان[١]؛ فكتب إليه الفضل بن سهل يُخبره: إنّ الناس يُعيبون ذلك عليه. فكتب عليه السلام: يا فضل، أما علمت أنّ يوسف عليه السلام كان يلبس ديباجاً مزروراً بالذهب، ويجلس على كراسيّ الذهب؛ فلم ينقص من حكمته شيئاً، وكذلك سليمان عليه السلام. ثمّ أمر أن يُعمل له غالية بأربعة آلاف درهم.

ثمّ قلت: ما لمواليك في موالاتكم.

فقال عليه السلام: إنّ أبا عبد الله عليه السلام كان عنده غلام يمسك بغلته إذا هو عليه السلام دخل المسجد، فبينما هو جالس ومعه بغلة إذ أقبلت رفقة من خراسان، فقال له رجل من الرفقة: هل لك يا غلام أن تسأله عليه السلام أن يجعلني مكانك، وأكون له مملوكاً، وأجعل لك مالي كلّه؟ فإنّي كثير المال من جميع الصنوف، اذهب فاقبضه، وأنا أُقيم معه مكانك. فقال ـ الغلام ـ: اسأله ذلك.

فدخل ـ الغلام ـ على أبي عبد الله عليه السلام، فقال: جُعلت فداك، تعرف خدمتي، وطول صحبتي، فإن ساق الله إلي خيراً؛ تمنعنيه؟!

فقال عليه السلام: أُعطيك من عندي، وأمنعك من غيري؟!

فحكي ـ الغلام ـ له عليه السلام قول الرجل، فقال عليه السلام: إن زهدت في خدمتنا، ورغب الرجل فينا؛ قبلناه، وأرسلناك.

فلمّا ولى ـ الغلام ـ عنه عليه السلام دعاه، فقال له: أنصحك لطول الصحبة، ولك الخيار؛ فإذا كان يوم القيامة كان رسول الله صلى الله عليه وآله متعلّقاً بنور الله، وكان

---

١. البان: شجر، ولحبّ ثمره دهن طيّب.

أميرالمؤمنين عليه السلام متعلّقاً بنور رسول الله صلى الله عليه وآله وكان الأئمّة عليهم السلام متعلّقين بأميرالمؤمنين، وكان شيعتنا متعلّقين بنا، يدخلون مدخلنا، ويردون موردنا.

قال له الغلام: بل أُقيم في خدمتك، وأوثر الآخرة على الدنيا. فخرج الغلام إلى الرجل، فقال له الرجل: خرجت إليّ بغير الوجه الذي دخلت به! فحكى له قوله عليه السلام، وأدخله على أبي عبيد الله عليه السلام؛ فقبل ولاءه، وأمر عليه السلام للغلام بألف دينار، ثمّ قام إليه فودّعه، وسأله عليه السلام أن يدعو له. ففعل.

فقلت: يا سيّدي، لولا عيال بمكّة، وولدي، سرّني أن أطيل المقام بهذا الباب. فأذن لي. وقال لي: توافق غمّاً. ثمّ وضعت بين يديه عليه السلام حقّاً كان له، فأمرني أن أحمله، فتأبّيت، وظننت أنّ ذلك موجدة؛ فضحك عليه السلام إليّ، وقال: خذها إليك؛ فإنّك توافق حاجة. فجئت وقد ذهبت نفقتنا ـ شطر منها ـ فاحتجت إليه ساعة قدمت مكّة.[١]

وآتيناه الحكم صبياً

روى الكليني في الكافي، قال: الحسين بن محمد، عن معلّى بن محمد، عن علي بن أسباط، قال: رأيت أبا جعفر عليه السلام وقد خرج علي؛ فأخذت النظر إليه، وجعلت أنظر إلى رأسه، ورجليه؛ لاصف قامته لأصحابنا بمصر، فبينا أنا كذلك حتّى قعد، فقال عليه السلام: يا علي، إنّ الله احتجّ في الإمامة بمثل ما احتجّ به في النبوّة؛ فقال: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[٢]، وقال: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾[٣]، ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾[٤]. فقد يجوز

---

١. الخرائج والجرائح: ج١ ص٣٨٨ الباب العاشر في معجزات الإمام محمد بن علي الجواد، ح١٧.

٢. سورة مريم، الآية: ١٢.

٣. سورة يوسف، الآية: ٢٢.

٤. سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

أن يؤتى الحكمة وهو صبي، ويجوز أن يؤتاها وهو ابن أربعين سنة.[١]

دفنت أبي الساعة

روى الإربلي في كشف الغمّة، قال: عن معمّر بن خلاّد، عن أبي جعفر عليه السلام. وعن رجل، عن أبي جعفر عليه السلام ـ الشكّ من أبي علي ـ قال:

قال أبو جعفر عليه السلام: يا معمّر، اركب. قلت: إلى أين!؟

قال عليه السلام: اركب كما يُقال لك.

قال: فركبت، فانتهيت إلى واد أو إلى وهدة[٢] ـ الشكّ من أبي علي ـ فقال عليه السلام لي: قف ههنا.

قال: فوقفت؛ فأتاني، فقلت له عليه السلام: جُعلت فداك، أين كنت؟

قال عليه السلام: دفنت أبي الساعة. وكان بخراسان.[٣]

تهيأوا للمأتم

روى الطبرسي في إعلام الورى، قال: روى محمد بن أحمد بن يحيى في كتاب نوادر الحكمة، عن موسى بن جعفر، عن أميّة بن علي، قال:

كنت بالمدينة وكنت أختلف إلى أبي جعفر عليه السلام وأبو الحسن عليه السلام بخراسان، وكان أهل بيته عليه السلام وعمومة أبيه عليه السلام يأتونه ويسلمون عليه، فدعا يوماً الجارية، فقال عليه السلام: قولي لهم: يتهيأون للمأتم!

فلمّا تفرّقوا، قالوا: ألا سألناه مأتم مَن!؟ فلمّا كان من الغد فعل عليه السلام مثل ذلك،

---

١. الكافي: ج١ ص٣٨٤ باب حالات الأئمّة عليهم السلام في السن، ح٧.

٢. الوهدة: الهوّة في الأرض، والوهد: الآرض المنخفض. المنجد.

٣. كشف الغمّة: ج٢ ص٣٦٣.

فقالوا: مأتم مَن!؟

قال عليه السلام: مأتم خير مَن على ظهرها ـ أي، ظهر الأرض ـ .

فأتانا خبر أبي الحسن عليه السلام بعد ذلك بأيام، فإذا هو قد مات في ذلك اليوم.[١]

إبراءه عليه السلام الأعمى

روى الراوندي في الخرائج والجرائح، قال: عن محمد بن ميمون، إنّه كان مع الرضا عليه السلام بمكّة قبل خروجه إلى خراسان، قال: قلت له عليه السلام: أُريد أن أتقدّم إلى المدينة؛ فاكتب معي كتاباً إلى أبي جعفر عليه السلام.

فتبسّم عليه السلام وكتب، وصرت إلى المدينة، وقد كان ذهب بصري، فأخرج الخادم أبا جعفر عليه السلام إلينا يحمله من المهد؛ فناولته الكتاب، فقال عليه السلام لموفّق الخادم: فضّه، وانشره. ففضّه، ونشره بين يديه، فنظر فيه، ثمّ قال لي: يا محمد، ما حال بصرك؟! قلت: يابن رسول الله، اعتلّت عيناي؛ فذهب بصري كما ترى. فقال عليه السلام: ادن منّي. فدنوت منه، فمدّ يده عليه السلام فمسح بها على عيني، فعاد إليّ بصري كأصح ما كان، فقبّلت يده عليه السلام، ورجله، وانصرفت من عنده عليه السلام وأنا بصير.[٢]

قد استغنت عن ذلك

روى الإربلي في كشف الغمّة، قال: وعن عمران بن محمد الأشعري، قال: دخلت على أبي جعفر الثاني عليه السلام، فقضيت حوائجي، وقلت: إنّ أُمّ الحسن تقرؤك السلام، وتسألك ثوباً من ثيابك أجعله كفناً لها.

فقال عليه السلام لي: قد استغنت عن ذلك!

---

١. إعلام الورى بأعلام الهدى: ج٢ ص١٠٠ الفصل لثالث طرف من دلائله، ومعجزاته عليه السلام.

٢. الخرائج والجرائح: ج١ ص٣٧٢ معجزات الإمام محمد بن علي التقي عليه السلام، ح١.

قال: فخرجت، لست أدري ما معنى ذلك؛ فأتاني الخبر: إنّها قد ماتت قبل ذلك بثلاثة عشر يوماً.[١]

أحبّ إلي

روى الراوندي في الخرائج والجرائح، قال: عن محمد بن أرومة، عن الحسين المكاري، قال: دخلت على أبي جعفرعليه السلام ببغداد، وهو على ما كان من أمره، فقلت في نفسي: هذا الرجل لا يرجع إلى موطنه أبداً، وأنا أعرف مطعمه، قال: فأطرقعليه السلام رأسه، ثمّ رفعه وقد اصفرّ لونه؛ فقالعليه السلام: يا حسين، خبز شعير، وملح جريش في حرم جدّي رسول اللهصلى الله عليه وآله أحب إليّ ممّا تراني فيه.[٢]

حجّة الله على خلقه

روى الإربلي في كشف الغمّة، قال: وقال القاسم بن عبد الرحمن ـ وكان زيدياً ـ: خرجت إلى بغداد، فبينا أنا بها إذ رأيت الناس يتعادون، ويتشرّفون، ويقفون؛ فقلت: ما هذا!؟ فقالوا: ابن الرضا. فقلت: والله، لأنظرنّ إليه. فطلع على بغل، أو بغلة، فقلت: لعن الله أصحاب الإمامة حيث يقولون: إنّ الله افترض طاعة هذا؛ فعدلعليه السلام إليّ، وقال: يا قاسم بن عبد الرحمن! ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾[٣]. فقلت في نفسي: ساحر والله. فعدل إليّ فقالعليه السلام: ﴿أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾[٤]. قال: فانصرفت، وقلت بالإمامة،

---

١. كشف الغمّة: ج٢ ص٣٦٣.
٢. الخرائج والجرائح: ج١ ص٣٨٣ معجزات الإمام محمد بن علي التقيعليه السلام، ح١١.
٣. سورة القمر، الآية: ٢٤.
٤. سورة القمر، الآية: ٢٥.

وشهدت أنّه حجّة الله على خلقه، واعتقدته.[١]

مَن الإمام

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: محمد بن أبي العلاء: سألت يحيى بن أكثم بعد التحف والطرف، فقلت له: علّمني من علوم آل محمد عليهم السلام؟

فقال: أخبرك بشرط أن تكتمه علي حال حياتي!

فقلت: نعم.

قال: دخلت المدينة فوجدت محمد بن علي الرضا عليه السلام يطوف عند قبر النبي صلى الله عليه وآله، فناظرته في مسائل فأجابني، فقلت في نفسي: خفيّة أُريد أن أُبديها. فقال عليه السلام: إنّي أُخبرك بها؛ تُريد أن تسأل: من الإمام في هذا الزمان؟

فقلت: هو والله، هذا.

فقال عليه السلام: إنّني.

فسألته عليه السلام علامة؟ فتكلّم عصاً في يده عليه السلام فقال: إنّ مولاي إمام هذا الزمان، وهو الحجّة.[٢]

هذه رقعة فلان

روى الكليني في الكافي، قال: علي بن محمد، عن سهل بن زياد، عن داود بن القاسم الجعفري، قال:

دخلت على أبي جعفر عليه السلام ومعي ثلاث رقاع غير منعوتة[٣]، واشتبهت عليّ،

---

١. كشف الغمّة: ج٢ ص٣٦٣.

٢. مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٣٩٣.

٣. النعت: الصفة.

فاغتممت؛ فتناول عليه السلام أحداهما، وقال: هذه رقعة زياد بن شبيب، ثمّ تناول الثانية، فقال: هذه رقعة فلان، فبهتّ أنا، فنظر إليّ فتبسّم، وأعطاني ثلاثمائة دينار، وأمرني أن أحملها إلى بعض بني عمّه، وقال عليه السلام: أما أنّه سيقول لك: دلّني على حرّيف يشتري لي بها متاعاً؛ فدلّه عليه.

قال: فأتيته بالدنانير، فقال لي: يا أبا هشام، دلّني على حرّيف يشتري لي بها متاعاً.

فقلت: نعم.

قال: وكلّمني جمّال أن أكلّمه له يدخله في بعض أموره، فدخلت عليه لأكلّمه له، فوجدته يأكل ومعه جماعة ولم يُمكنّي كلامه، فقال عليه السلام: يا أبا هاشم، كلّ. ووضع بين يديّ، ثم قال عليه السلام ـ ابتداءً منه عليه السلام من غير مسألة ـ: يا غلام، أُنظر إلى الجمّال الذي أتانا به أبو هاشم؛ فضمّه إليك.

قال: ودخلت معه ذات يوم بستاناً فقلت له عليه السلام: جُعلت فداك، إنّي لمولع بأكل الطين، فادعو الله لي.

فسكت عليه السلام ثمّ قال لي بعد ثلاثة أيام ـ ابتداءً منه ـ: يا أبا هاشم، قد أذهب الله عنك أكل الطين. قال أبو هاشم: فما شيء أبغض إليّ منه اليوم.[1]

لا تخرجا اليوم

روى الإربلي في كشف الغمّة، قال: وعن أُميّة بن علي القيسي، قال: دخلت أنا، وحمّاد بن عيسى على أبي جعفر عليه السلام بالمدينة لنودّعه، فقال عليه السلام لنا: لا تخرجا اليوم، وأقيما إلى غد! فلمّا خرجنا من عنده عليه السلام، قال لي حمّاد: أنا أخرج؛ فقد

---

١. الكافي: ج١ ص٤٩٥ مولد أبي جعفر محمد بن علي الثاني عليه السلام، ح٥.

خرج ثقلي[١]. فقلت: أمّا أنا فأُقيم؛ فخرج حمّاد؛ فجرى الوادي[٢] تلك الليلة؛ فغرق فيه، وقبره بسيّالة.[٣]

مع الرخجي

روى الكليني في الكافي، قال: الحسين بن محمد، عن معلّي بن محمد، عن أحمد بن محمد بن عبد الله، عن محمد بن سنان، قال: دخلت على أبي الحسن ـ الثالث الهادي عليه السلام ـ ، فقال: يا محمد، حدث بآل فرج حدث؟

فقلت: مات عمر.

فقال عليه السلام: الحمد لله.

حتّى أحصيت له أربعاً وعشرين مرّة، فقلت: يا سيّدي، لو علمت أنّ هذا يسرّك لجئت حافياً أعدو إليك.

قال عليه السلام: يا محمد، أو لا تدري ما قال لعنه الله لمحمد بن علي، أبي؟!

قلت: لا.

قال عليه السلام: خاطبه عليه السلام في شيء، فقال: أظنّك سكران!!

فقال أبي عليه السلام: اللهمّ، إن كنت تعلم أمسيت لك صائماً؛ فأذقه طعم الحرب، وذلّ الأسر. فو الله، إن ذهبت الأيام حتّى حرب[٤] ماله، وما كان له، ثمّ أُخذ أسيراً، وهو ذا قد مات، لا رحمه الله، وقد أدال الله عزّ وجلّ منه ـ أي، أخذ الدولة منه

---

١. أي، خرجت الدوابّ التي تحمل المتاع.

٢. الوادي: جمع أودية، وهو منفرج بين جبال أو آكام يكون منفذاً للسيل.

٣. كشف الغمّة: ج٢ ص٣٦٥.

٤. حَرَب: سلبه ماله وتركه بلا شيء.

وحوّلها إلى غيره ـ وما زال يديل أولياءه من أعدائه.[١]

إستجابة دعائهعليه السلام

روى الحرّ العاملي في إثبات الهداة: عن ابن أرومة، إنّه قال:

إنّ المعتصم دعا جماعة من وزرائه، فقال: اشهدوا لي على محمد بن علي زوراً، واكتبوا كتاباً أنّه أراد أن يخرج. ثمّ دعاهعليه السلام، فقال له: إنّك أردت أن تخرج عليّ؟!

فقالعليه السلام: والله، ما فعلت شيئاً من ذلك.

قال: فإنّ فلاناً، وفلاناً شهدوا عليك بذلك. فأُحضروا، فقالوا: نعم، هذا الكتاب أخذناه من بعض غلمانك.

قال: فكان جالساً في بهو[٢]، فرفع أبو جعفرعليه السلام يده، وقال: اللهمّ، إن كانوا كذبوا عليّ؛ فخذهم.

قال: فنظرنا إلى ذلك البهو كيف يرجف، ويذهب ويجيئ، وكلّما قام منّا واحد؛ وقع.

فقال المعتصم: يا ابن رسول الله، إنّي تائب ممّا قلت، فادع الله أن يُسكنه.

فقالعليه السلام: اللهمّ، أسكنه، إنّك تعلم أنّهم أعداؤك، وأعدائي. فسكن.[٣]

صاحبكم مذبوح

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: عن أحمد بن علي بن كلثوم

---

١. الكافي: ج١ ص٤٩٦ مولد أبي جعفر محمد بن علي الثانيعليه السلام، ح٩.

٢. البهو: البيت المقدم أمام البيوت، أو المكان المخصص للاستقبال.

٣. راجع إثبات الهداة: ج٦ ص١٨٧ ح٣٣.

السرخسي، قال: قال أبو زينبة: وفي حلق الحكم بن يسار المروزي شبه الخط، كأنّه أثر الذبح، فسألته عن ذلك، فقال: كنّا سبعة نفر في حجرة واحدة ببغداد في زمان أبي جعفر الثاني عليه السلام، فغاب عنّا الحكم عند العصر، ولم يرجع تلك الليلة، وكان جوف الليل جاءنا توقيع من أبي جعفر عليه السلام: إنّ صاحبكم الخراساني مذبوح مطروح في لبد في مزبلة كذا وكذا، فاذهبوا وداووه بكذا وكذا. فذهبنا، فحملناه وداويناه بما أمرنا به؛ فبرأ من ذلك.[1]

ردّه عليه السلام إليه عمامته

روى الراوندي في الخرائج والجرائح، قال: روي عن القاسم بن المحسن، قال: كنت فيما بين مكّة والمدينة، فمرّ بي أعرابي ضعيف الحال، فسألني شيئاً، فرحمته، وأخرجت له رغيفاً فناولته إياه.

فلمّا مضى عنّي هبّت ريح شديدة زوبعة، فذهبت بعمامتي من رأسي، فلم أرها كيف ذهبت، وأين مرّت، فلمّا دخلت على أبي جعفر بن الرضا عليه السلام، فقال لي: يا قاسم، ذهبت عمامتك في الطريق؟!

قلت: نعم.

قال عليه السلام: يا غلام، أخرج إليه عمامته.

فأخرج اليّ عمامتي بعينها، قلت: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله، كيف صارت إليك!؟

قال عليه السلام: تصدّقت على الأعرابي؛ فشكر الله لك، وردّ عمامتك، وإن الله لا يضيع أجر المحسنين.[2]

---

١. مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٣٩٧.

٢. الخرائج والجرائح: ج١ ص٣٧٦ ح٦.

من كرامات قبره عليه السلام

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: ابن الهمداني الفقيه، في تتمّة تاريخ أبي شجاع الوزير، ذيلّه على تجارب الأمم، قال: إنّه لمّا حرقوا القبور بمقابر قريش؛ جادلوا حفر ضريح أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام، وإخراج رمته، وتحويلها إلى مقابر أحمد؛ فحال تراب الهدم، وزناد الحريق بينهم وبين معرفة قبره عليه السلام.[١]

من التراب سبيكة

روى الإربلي في كشف الغمّة، قال: وروي عن إسماعيل بن عيّاش الهاشمي، قال: جئت الى أبي جعفر عليه السلام يوم عيد، فشكوت إليه ضيق المعاش.

فرفع عليه السلام المصلّى وأخذ من التراب سبيكة من ذهب، فأعطانيها، فخرجت بها إلى السوق، فكان فيها ستّة عشرة مثقالاً من ذهب.[٢]

السدرة اليابسة

روى الكليني في الكافي، قال: أحمد بن إدريس، عن محمد بن حسّان، عن أبي هاشم الجعفري، قال: صلّيت مع أبي جعفر عليه السلام في مسجد المسيّب فصلّى بنا في موضع القبلة سواء، وذكر ـ أبو هاشم ـ أن السدرة التي كانت في المسجد كانت يابسة، ليس عليها ورق، فدعا عليه السلام بماء، وتهيّأ وتوضأ تحت السدرة، فعاشت السدرة، وأورقت، وحملت من عامها.[٣]

---

١. مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٣٩٧.

٢. كشف الغمّة: ج٢ ص٣٦٨.

٣. الكافي: ج١ ص٤٩٧ مولد أبي جعفر محمد بن علي الثاني عليه السلام، ح١٠.

خطبته عليه السلام في صغره

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: كان الإمام الجواد عليه السلام شديد الأدمة؛ فشكّ فيه المرتابون وهو عليه السلام بمكّة، فعرضوه على القافة[١]؛ فلما نظروا إليه خرّوا لوجوههم سجّداً، ثمّ قاموا فقالوا: يا ويحكم! أمثل هذا الكوكب الدرّي، والنور الزاهر تعرضونه على مثلنا! وهذا والله، الحسب الزكي، والنسب المهذّب الطاهر، ولدته النجوم الزواهر، والأرحام الطواهر. والله، ما هو إلا من ذرّيّة النبي صلى الله عليه وآله وأميرالمؤمنين عليه السلام. وهو في ذلك الوقت ابن خمس وعشرين شهراً، فنطق عليه السلام بلسان أرهف من السيف[٢]، وأفصح من الفصاحة، يقول:

الحمد لله الذي خلقنا من نوره، واصطفانا من بريته، وجعلنا أُمناء على خلقه، ووحيه. معاشر الناس، أنا محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي سيّد العابدين بن الحسين الشهيد بن أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب، وابن فاطمة الزهراء بنت محمد المصطفى صلى الله عليه وآله، أفي مثلي يُشكّ، وعلى الله تبارك وتعالى وعلى جدّي صلى الله عليه وآله يُفترى؛ وأُعرض على القافة!؟

إنّي والله، لأعلم ما في سرائرهم، وخواطرهم. وإنّي والله، لأعلم الناس أجمعين بما هم إليه صائرون. أقول حقّاً، وأُظهر صدقاً؛ علماً قد نبّأه الله تبارك وتعالى قبل الخلق أجمعين، وقبل بناء السماوات والأرضين. وأيم الله، لولا

---

١. القائفُ: الذي يَعرف الآثار. والجمع «القافةُ» يُقال: قُفْت أثره. إذا اتَّبعْته... ويُقال: هو أَقْوف الناس. وفي الحديث: إنّ مُجَزِّزاً كان قائفاً. القائف الذي يتَتبع الآثار، ويعرفها، ويعرف شَبَه الرجل بأخيه، وأبيه. ويُقال: فلان يقُوف الأَثر، ويَقْتافه قِيافة. مثل قفا الأثر، واقتفاه. .. منه قيل للذي ينظر إلى شبه الولد بأبيه: قائف. والقِيافة؛ المَصْدر. راجع لسان العرب لابن منظور: ج٩ ص٢٩٣«مادّة قوف».

٢. أرهف السيف: رقّق حدّه.

تظاهر الباطل علينا، وغواية ذرّيّة الكفر، وتوثّب أهل الشرك، والشكّ، والشقاق علينا لقلت قولاً يعجب منه الأولون والآخرون.

ثمّ وضع عليه السلام يده على فيه، ثمّ قال عليه السلام: يا محمد، اصمت كما صمت آباؤك ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾[١].

ثمّ أتى عليه السلام إلى رجل بجانبه؛ فقبض على يده فما زال يمشي يتخطّى رقاب الناس، وهم يفرجون له. قال ـ الراوي ـ: فرأيت مشيخة أجلائهم ينظرون إليه ويقولون: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[٢]. فسألت عنهم؛ فقيل: هؤلاء قوم من بني هاشم، من أولاد عبد المطّلب.

فبلغ الرضا عليه السلام وهو في خراسان ما صنع ابنه، فقال عليه السلام: الحمد لله. ثمّ ذكر عليه السلام ما قُذفت به ماريّة القبطيّة[٣]. ثمّ قال عليه السلام: الحمد لله الذي جعل في ابني محمد أُسوة برسول الله صلى الله عليه وآله وابنه إبراهيم.[٤]

---

١. سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

٢. سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

٣. روى محمد بن الحنفيّة، عن أبيه أميرالمؤمنين عليه السلام، قال: كان قد كثر على مارية القبطيّة أمّ ابراهيم في ابن عمّ لها قبطي كان يزورها، ويختلف إليها؛ فقال لي النبي صلى الله عليه وآله: خُذ هذا السيف وانطلق به، فإن وجدته عندها فاقتله. قلت: يا رسول الله، أكون في أمرك كالسكّة المحماة أمضي لما أمرتني، أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله: بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب. فأقبلت متوشّحاً بالسيف؛ فوجدته عندها، فاخترطت السيف، فلمّا أقبلت نحوه علم أنّي أُريده؛ فأتى نخلة، فرقي إليها ثمّ رمى بنفسه على قفاه، وشغر برجليه؛ فإذا أنّه أجبّ أمسح ما له مما للرجال قليل ولا كثير فغمدت السيف ورجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال الحمد لله الذي يصرف عنا أهل البيت. الأمالي للسيّد المرتضى: ج١ ص٥٤، ومجمع الزوائد للهيثمي: ج٤ ص٣٢٩ باب الغيرة.

٤. مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٣٨٧.

هذا دَينَك

روى الكليني في الكافي، قال: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحجّال، وعمرو بن عثمان، عن رجل من أهل المدينة، عن المطرفي، قال: مضى أبو الحسن الرضا عليه السلام ولي عليه أربعة آلاف درهم، فقلت في نفسي: ذهب مالي! فأرسل إليّ أبو جعفر عليه السلام: إذا كان غداً فأتني وليكن معك ميزان، وأوزان!

فدخلت على أبي جعفر عليه السلام، فقال لي: مضى أبو الحسن عليه السلام ولك عليه أربعة آلاف درهم؟

فقلت: نعم. فرفع عليه السلام المصلّى الذي كان تحته، فإذا تحته دنانير فدفعها إلي.[1]

مات أبي فجأة

روى قطب الدين الراوندي في الخرائج والجرائح، قال: قال أبو هاشم الجعفري: جاء رجل إلى محمد بن علي بن موسى عليهم السلام، فقال: يا ابن رسول الله، إنّ أبي مات وكان له مال، ففجأه الموت، ولست أقف على ماله، ولي عيال كثير، وأنا من مواليكم؛ فأغثني.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: إذا صلّيت العشاء الآخرة، فصلّ على محمد وآل محمد؛ فإنّ أباك يأتيك في النوم ويُخبرك بأمر المال.

ففعل الرجل ذلك؛ فرأى أباه في النوم، فقال: يا بني، مالي في موضع كذا، فخذه واذهب به إلى ابن رسول الله فاخبره إنّي دللتك على المال.

فذهب الرجل، فأخذ المال، وأخبر الإمام بخبر المال، وقال: الحمد لله الذي

---

١. الكافي: ج١ ص٤٩٧ مولد أبي جعفر محمد بن علي الثاني عليه السلام، ح١١.

أكرمك، واصطفاك.[١]

آخر الوداع

روى الإربلي في كشف الغمّة، قال: ومن كتاب الدلائل عن أميّة بن علي، قال: كنت مع أبي الحسن ـ الرضا عليه السلام ـ بمكّة في السنة التي حجّ فيها، ثمّ صار إلى خراسان ومعه أبو جعفر عليه السلام وأبو الحسن عليه السلام يودّع البيت، فلمّا قضى طوافه عدل إلى المقام فصلّى عنده، فصار أبو جعفر عليه السلام على عنق موفّق يطوف به، فصار أبو جعفر عليه السلام إلى الحجر فجلس فيه، فأطال، فقال له موفّق: قُم جُعلت فداك. فقال عليه السلام: ما أُريد أن أبرح من مكاني هذا إلاّ أن يشاء الله، واستبان في وجهه الغمّ، فأتى موفّق أبا الحسن عليه السلام، فقال له: جُعلت فداك، قد جلس أبو جعفر عليه السلام في الحجر وهو يأبى أن يقوم.

فقام أبو الحسن عليه السلام فأتى أبا جعفر عليه السلام، فقال: قم يا حبيبي. فقال: ما أُريد أن أبرح من مكاني هذا! قال عليه السلام: بلى يا حبيبي. ثمّ قال عليه السلام: كيف أقوم وقد ودّعت البيت وداعاً لا ترجع إليه!؟

فقال له: قم يا حبيبي. فقام معه عليه السلام.[٢]

لا تؤذوا ابا جعفر

روى الشيخ الطوسي في اختيار معرفة الرجال، قال: محمد بن مسعود، قال: حدّثني المحمودي: إنّه دخل على ابن أبي داود وهو في مجلسه، وحوله أصحابه، فقال لهم ابن أبي داود: يا هؤلاء، ما تقولون في شئ قاله الخليفة

---

١. الخرائج والجرائح: ج٢ ص٦٦٥.

٢. كشف الغمّة: ج٢ ص٣٦٢.

البارحة!؟

فقالوا: وما ذلك!؟

قال: قال الخليفة: ما ترى العلائية[١] تصنع إن أخرجنا إليهم أبا جعفر سكران ينشئ، مُضمّخاً بالخلوق!؟

قالوا: إذاً تبطل حجّتهم، ويبطل مقالهم.

قلت: إنّ العلائية يُخالطوني كثيراً، ويفضون إلي بسرّ مقالتهم، وليس يلزمهم هذا الذي جرى.

فقال: ومن أين قلت؟ قلت: إنّهم يقولون: لابدّ في كلّ زمان، وعلى كلّ حال لله في أرضه من حجّة؛ يقطع العذر بينه وبين خلقه.

قلت: فإن كان في زمان الحجّة مَن هو مثله، أو فوقه في النسب، والشرف كان أدلّ الدلائل على الحجّة؛ لصلة السطان من بين أهله، وولوعه به[٢].

قال: فعرض ابن أبي داود هذا الكلام على الخليفة، فقال: ليس إلى هؤلاء القوم حيلة؛ لا تؤذوا أبا جعفر.[٣]

الغضّ عن المحارم

روى الكليني في الكافي، قال: علي بن محمد، عن بعض أصحابنا، عن محمد بن الريّان، قال: احتال المأمون على أبي جعفر عليه السلام بكلّ حيلة؛ فلم يمكنه

---

١. أراد بهم: الشيعة.

٢. بمعنى، إعتقاد الإماميّة بحتمية وجوب الحجّة في كلّ زمان، وإفراد السلطان بالأذى لمن هو بتلك الصفة دون سواه لغرض تمييع مكانته في نفوس معتقديه؛ إنّما يؤكّد بالدليل القاطع على صدق معتقدهم، ونُبل مُبتناهم.

٣. اختيار معرفة الرجال «المعروف برجال الكشّي»: ج٢ ص٨٣٣ رقم١٠٥٨.

فيه شيء، فلمّا اعتلّ وأراد أن يبني عليه ابنته دفع إليّ مائتي وصيفة من أجمل ما يكون، إلى كل واحدة منهن جاماً فيه جوهر يستقبلن أبا جعفر عليه السلام إذا قعد عليه السلام في موضع الأخيار؛ فلم يلتفت عليه السلام إليهن.

وكان رجل يُقال له: مُخارق، صاحب صوت، وعود، وضرب، طويل اللحية، فدعاه المأمون، فقال: يا أميرالمؤمنين، إن كان في شيء من أمر الدنيا؛ فأنا أكفيك أمره. فقعد بين يدي أبي جعفر عليه السلام... وجعل يضرب بعوده، ويُغني، فلمّا فعل ساعة؛ وإذا أبو جعفر عليه السلام لا يلتفت إليه، لا يميناً، ولا شمالاً، ثمّ رفع إليه رأسه عليه السلام، وقال: إتقّ الله يا ذا العثنون[1].

قال: فسقط المضراب من يده، والعود؛ فلم ينتفع بيديه إلى أن مات. قال: فسأله المأمون عن حاله، قال: لمّا صاح بي أبو جعفر؛ فزعت فزعة لا أفيق منها أبداً.[2]

خاف عليه السلام الإفتتان به

روى الكليني في الكافي، قال: الحسين بن محمد الأشعري، قال: حدثّني شيخ من أصحابنا يُقال له: عبد الله بن رزين، قال: كنت مجاوراً بالمدينة ـ مدينة الرسول صلى الله عليه وآله ـ وكان أبو جعفر عليه السلام يجيئ في كلّ يوم مع الزوال إلى المسجد؛ فينزل في الصحن، ويصير إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، ويُسلّم عليه ويرجع إلى بيت فاطمة عليها السلام، فيخلع نعليه ويقوم فيُصلّي؛ فوسوس إلي الشيطان، فقال: إذا نزل فاذهب حتّى تأخذ من التراب الذي يطأ عليه. فجلست في ذلك اليوم أنتظره لأفعل هذا، فلمّا أن كان وقت الزوال أقبل عليه السلام على حمار له، فلم ينزل في

---

١. أي، ذو اللحية الطويلة.

٢. الكافي: ج١ ص٤٩٤ مولد أبي جعفر محمد بن علي الثاني عليه السلام، ح٤.

الموضع الذي كان ينزل فيه، وجاء حتّى نزل على الصخرة التي على باب المسجد، ثمّ دخل فسلّم على رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: ثمّ رجع إلى المكان الذي كان يُصلّي فيه، ففعل هذا أياماً! فقلت: إذا خلع نعليه؛ جئت فأخذت الحصا الذي يطأ عليه بقدميه. فلمّا أن كان من الغد جاء عند الزوال، فنزل على الصخرة ثمّ دخل فسلّم على رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ جاء إلى الموضع الذي كان يُصلّي فيه، فصلّى في نعليه، ولم يخلعهما، حتّى فعل ذلك أياماً!! فقلت في نفسي: لم يتهيأ لي ههنا، ولكن أذهب إلى باب الحمّام، فإذا دخل إلى الحمّام أخذت من التراب الذي يطأ عليه. فسألت عن الحمّام الذي يدخله، فقيل لي: إنّه يدخل حمّاماً بالبقيع لرجل من ولد طلحة. فتعرّفت اليوم الذي يدخل فيه الحمّام، وصرت إلى باب الحمّام، وجلست إلى الطلحي أُحدّثه وأنا أنتظر مجيئه عليه السلام، فقال الطلحي: إن أردت دخول الحمّام، فقم فادخل؛ فإنّه لا يتهيأ لك ذلك بعد ساعة!

قلت: ولِمَ!؟

قال: لأن ابن الرضا يُريد دخول الحمّام!

قال: قلت: ومَن ابن الرضا!؟

قال: رجل من آل محمّد عليهم السلام له صلاح وورع.

قلت له: ولا يجوز أن يدخل معه الحمّام غيره؟

قال: نُخلّي له الحمّام إذا جاء.

قال: فبينا أنا كذلك إذ أقبل عليه السلام، ومعه غلمان له، وبين يديه غلام معه حصير، حتّى أدخله المسلخ فبسطه، ووافى فسلّم ودخل الحجرة على حماره، ودخل المسلخ، ونزل على الحصير!

فقلت للطلحي: هذا الذي وصفته بما وصفت من الصلاح والورع؟!

فقال: يا هذا! لا والله، ما فعل هذا قطّ إلا في هذا اليوم.

فقلت في نفسي: هذا من عملي؛ أنا جنيته. ثمّ قلت: أنتظره حتّى يخرج؛ فلعلّي أنال ما أردت إذا خرج. فلمّا خرج وتلبّس دعا بالحمار، فأُدخل المسلخ، وركب من فوق الحصير، وخرج عليه السلام.

فقلت في نفسي: قد والله، آذيته؛ ولا أعود، ولا أورم ما رمت منه أبداً. وصحّ عزمي على ذلك، فلمّا كان وقت الزوال من ذلك اليوم أقبل عليه السلام على حماره حتّى نزل في الموضع الذي كان ينزل فيه في الصحن، فدخل وسلّم على رسول الله صلى الله عليه وآله، وجاء إلى الموضع الذي كان يُصلّي فيه في بيت فاطمة عليها السلام، وخلع نعليه، وقام يُصلّي.[1]

اذا اصطاد المحرم

روى إبن شهر آشوب في المناقب، بسنده: عن ريّان بن شبيب، ويحيى الزيّات، وغيرهما: إنّ المأمون قد شغف بأبي جعفر عليه السلام لما رأى من فضله مع صغر سنّه، فعزم أن يزوّجه بابنته أُمّ الفضل؛ فغلظ ذلك على العبّاسيين، فاجتمعوا عنده وقالوا: ننشدك الله، يا أميرالمؤمنين أن تُقيم على هذا الأمر الذي قد عزمت؛ فتُخرج به عنّا أمر قد ملّكناه الله، وتنزع منّا عزّاً قد ألبسناه الله، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً، وحديثاً وما كان عليه الخلفاء من التصغير بهم، وقد كنّا في وهلة[2] من عملك مع الرضا عليه السلام حتّى إنّه عليه السلام مات.

فأجابهم المأمون لكلّ كلمة جواباً، ثمّ قال: وأمّا أبو جعفر عليه السلام؛ فقد برز على كافّة أهل الفضل مع صغر سنّه. فقالوا: إنّ هذا الفتى وإن راقك منه هديه، لا معرفة له، فأمهل ليتأدّب، ثمّ افعل ما تراه.

---

۱. الكافي: ج۱ ص۴۹۳ مولد أبي جعفر محمد بن علي الثاني عليه السلام، ح۲.
۲. أي فزع.

فقال المأمون: ويحكم! إنّي أعرف به منكم، وإنّ أهل هذا البيت علمهم من الله، ومواده وإلهامه، فإن شئتم فامتحنوه.

فقالوا: رضينا بذلك، واجتمع رأيهم على أن يسأله قاضي القضاة يحيى بن أكثم مسألة لا يعرف الجواب فيها ووعده بأموال نفيسة على ذلك. فجلس المأمون في دست، وأبو جعفر في دست.

فسأله يحيى: ما تقول جُعلت فداك، في محرم قتل صيداً؟

فقال عليه السلام: قتل في حل أو حرم، عالماً كان المحرم أم جاهلاً، عمداً كان أو خطأ، حرّاً كان أو عبداً، صغيراً كان أم كبيراً، مبتدئاً أو مُعيداً، من ذوات الطير كان الصيد أم غيرها من ذوات الظلف[1]، من صغار الصيد كان أم من كبارها، مصرّاً على ما فعل أو نادماً، في الليل كان قتله للصيد أم نهاراً، محرماً كان بالعمرة إذ قتله أم بالحجّ كان محرماً!؟

فانقطع يحيى.

فسأله عليه السلام المأمون عن بيانه، فأجابه بما هو مسطور في كتب الفقه.

ثمّ التمس عليه السلام منه ـ من المأمون ـ أن يسأل يحيى.

فقال عليه السلام: رجل نظر أوّل النهار إلى امرأة، فكان نظره إليها حراماً، فلمّا ارتفع النهار حلّت له، وعند الزواج حرمت، وعند العصر حلّت، وعند الغروب حرمت، وعند العشاء حلّت، وعند انتصاف الليل حرمت، وعند الفجر حلّت، وعند ارتفاع النهار حرمت، وعند الظهر حلّت؟

تفسيره: هذا رجل نظر إلى أمة غيره، ثمّ ابتاعها، ثمّ أعتقها، ثمّ تزوجها، ثمّ ظاهرها، ثمّ كفّر عن الظهار، ثمّ طلّقها طلقة واحدة، ثمّ راجعها، ثمّ خلعها، ثمّ

---

١. الظِلف: هو لما اجتر من الحيوانات كالبقر والجمل والضبي بمنزلة الحافر من الفرس. المنجد.

استأنف العقد، وذلك بالإجماع. وفي رواية: إنّه ارتدّ عن الإسلام، ثمّ تاب.

وقد أتاه ابن أكثم جدلاً   فانصاع لما يعلمه قطعه[١]

سلوا رحمكم الله

روى الشيخ المفيد في الإختصاص، قال: علي بن إبراهيم بن هاشم، قال: حدثني أبي، قال: لمّا مات أبو الحسن الرضا عليه السلام حججنا فدخلنا على أبي جعفر عليه السلام وقد حضر خلق من الشيعة من كلّ بلد لينظروا إلى أبي جعفر عليه السلام، فدخل عمّه عبد الله بن موسى، وكان شيخاً كبيراً نبيلاً عليه ثياب خشنة، وبين عينيه سجّادة، فجلس، وخرج أبو جعفر عليه السلام من الحجرة وعليه قميص قصب، ورداء قصب، ونعل جدد بيضاء، فقام عبد الله فاستقبله، وقبّل بين عينيه، وقام الشيعة، وقعد أبو جعفر عليه السلام على كرسي، ونظر الناس بعضهم إلى بعض وقد تحيّروا لصغر سنّه، فابتدر رجل من القوم فقال لعمّه: أصلحك الله، ما تقول في رجل أتى بهيمة؟

فقال: تُقطع يمينه، ويُضرب الحدّ. فغضب أبو جعفر عليه السلام، ثمّ نظر إليه فقال: يا عم! اتقّ الله، اتقّ الله!! إنّه لعظيم أن تقف يوم القيامة بين يدي الله عزّ وجلّ فيقول لك: لم أفتيت الناس بما لا تعلم.

فقال له عمّه: أستغفر الله يا سيّدي، أليس قال هذا أبوك صلوات الله عليه؟!

فقال أبو جعفر عليه السلام: إنّما سُئل أبي عن رجل نبش قبر امرأة؛ فنكحها، فقال أبي: تُقطع يمينه للنبش، ويُضرب حدّ الزنا؛ فإنّ حرمة الميّتة كحرمة الحيّة.

فقال: صدقت يا سيّدي، وأنا أستغفر الله. فتعجّب الناس، وقالوا: يا سيّدنا،

---

١. مناقب آل ابي طالب: ج٤ ص٣٨١.

أتأذن لنا ان نسألك؟

قالعليه السلام: نعم. فسألوه في مجلس عن ثلاثين ألف مسألة؛ فأجابهم فيها وله تسع سنين.[١]

العلم بأسرار الطبّ

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: عن الحسين بن أحمد التميمي، روى عن أبي جعفر الثانيعليه السلام: إنّه استدعى فاصداً في أيام المأمون، فقالعليه السلام له: أفصدني في العرق الزاهر.

فقال له: ما أعرف هذا العرق يا سيّدي، ولا سمعته! فأراه إيّاه، فلمّا فصده خرج منه ماء أصفر فجرى حتّى امتلأ الطست، ثمّ قال له: أمسكه. فأمر بتفريغ الطست، ثمّ قالعليه السلام: خلّ عنه. فخرج دون ذلك، فقالعليه السلام: شدّه الآن. فلمّا شدّ يدهعليه السلام أمر له بمائة دينار. فأخذها وجاء إلى بخناس، فحكى له ذلك، فقال: والله، ما سمعت بهذا العرق مذ نظرت في الطبّ، ولكن ههنا فلان الأُسقف قد مضت عليه السنون، فامض بنا إليه، فإن كان عنده علمه، وإلا لم نقدر على من يعلمه. فمضيا ودخلا عليه، وقصّ القصص، فأطرق مليّاً، ثمّ قال: يوشك أن يكون هذا الرجل نبيّاً، أو من ذرّيّة نبيّ.[٢]

قطع يد السارق

روى العيّاشي في تفسيره، قال: عن زرقان صاحب ابن أبي داود، وصديقه بشدّة، قال: رجع ابن أبي داود ذات يوم من عند المعتصم وهو مغتم! فقلت له

---

١. الإختصاص: ص١٠٢.

٢. مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٣٨٩.

في ذلك، فقال: وددت اليوم أنّي قد متّ منذ عشرين سنة!

قال: قلت له: ولم ذاك؟!

قال: لما كان من هذا الأسود؛ أبا جعفر محمد بن علي بن موسى اليوم بين يدى أميرالمؤمنين المعتصم!!

قال: قلت له: وكيف كان ذلك؟!

قال: إنّ سارقاً أقرّ على نفسه بالسرقة، وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدّ عليه؛ فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه، وقد أُحضر محمد بن علي. فسألنا عن القطع في أي موضع يجب أن يقطع؟

قال: فقلت من الكرسوع[1].

قال: وما الحجّة في ذلك؟

قال: قلت: لأنّ اليد: هي الأصابع، والكفّ إلى الكرسوع؛ لقول الله في التيمم: ﴿فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم﴾[2]. واتّفق معي على ذلك قوم. وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق.

قال: وما الدليل على ذلك؟ قالوا: لأنّ الله لمّا قال: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾[3]. في الغسل؛ دلّ ذلك على أنّ حدّ اليد، هو: المرفق.

قال: فالتفت إلى محمد بن على، فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟

فقال: قد تكلّم القوم فيه يا أميرالمؤمنين. قال: دعني ممّا تكلّموا به؛ أي شئ عندك؟

---

١. الكرسوع: طرف الزند الذي يلي الخنصر.

٢. سورة المائدة، الآية: ٦.

٣. سورة المائدة، الآية: ٦.

قال: اعفني عن هذا يا أميرالمؤمنين.

قال: اقسمت عليك بالله، لمّا أخبرت بما عندك فيه.

فقال: أمّا إذا أقسمت علي بالله؛ إنّي أقول: إنّهم أخطئوا فيه السنّة؛ فإنّ القطع يجب أن يكون من مفصل أُصول الأصابع، فيُترك الكفّ.

قال: وما الحجّة في ذلك؟

قال: قول رسول الله صلى الله عليه وآله: السجود على سبعة أعضاء: الوجه، واليدين، والركبتين، والرجلين. فإذا قطعت يده من الكرسوع، أو المرفق؛ لم يبق له يد يسجد عليها. وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾[1]. يعنى به هذه الأعضاء السبعة التي يُسجد عليها ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[2]. وما كان لله لم يُقطع.

قال: فأعجب المعتصم ذلك، وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكفّ.

قال ابن أبى داود: قامت قيامتي، وتمنّيت أنّي لم أك حياً.

قال زرقان: إنّ ابن أبى داود، قال: صرت إلى المعتصم بعد ثالثة، فقلت: إنّ نصيحة أميرالمؤمنين علي واجبة، وأنا أُكلّمه بما أعلم أنّي أدخل به النار.

قال: وما هو!؟

قلت: إذا جمع أميرالمؤمنين في مجلسه فقهاء رعيته، وعلماءهم لأمر واقع من أمور الدين فسألهم عن الحكم فيه، فأخبروه بما عندهم من الحكم في ذلك وقد حضر مجلسه أهل بيته، وقواده، ووزراؤه، وكتّابه، وقد تسامع الناس بذلك من وراء بابه، ثمّ يترك أقاويلهم كلّهم لقول رجل يقول شطر هذه الأُمّة بإمامته،

---

١. سورة الجنّ، الآية: ١٨.

٢. سورة الجنّ، الآية: ١٨.

ويدّعون: إنّه أولى منه بمقامه. ثمّ يحكم دون حكم الفقهاء؟!

قال: فتغيّر لونه ـ أي، المعتصم ـ وانتبه لما نبّهته لـه، وقـال: جـزاك الله عـن نصيحتك خيراً.

قال: فأمر يوم الرابع فلاناً من كتّاب وزرائه بأن يدعوه ـ أي، الإمام الجواد عليه السلام ـ إلى منزله.

فدعاه؛ فأبى عليه السلام أن يجيبه، وقال: قد علمت أنّي لا أحضر مجالسكم.

فقال: إنّي أنّما أدعوك إلى الطعام، وأُحـبّ أن تطـأ ثيـابي، وتـدخل منزلـي، فأتبرّك بذلك، فقد أحبّ فلان ابن فلان من وزراء الخليفة لقاءك.

فصار عليه السلام إليه، فلمّا طعم منه؛ أحسّ السمّ، فدعا بدابّته، فسأله ربّ المنزل أن يُقيم.

قال عليه السلام: خروجي من دارك خير لك. فلم يزل يومـه ذلـك وليلـه فـي خلفـه حتّى قُبض عليه السلام.[1]

حدّ القطّاع

روى العيّاشي في تفسيره، قال: عن أحمد بن الفضل الخاقاني ـ من آل رزين ـ قال: قُطع الطريق بجلولا[2] على السابلة[3] من الحجّاج وغيرهم، وأفلت[4] القطّـاع،

---

١. تفسير العيّاشي: ج١ ص٣١٩ رقم١٠٩، مورد تفسير سورة المائدة، الآية: ٣٨.

٢. جلولا ـ بالمد ـ: ناحية في طريق خراسان، بينها وبين خانقين سبعة فراسخ، وبها كانت الوقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة ١٦هـ فاستباحهم المسلمون فسمّيت «جلولا الوقيعة» لما أوقع بهم المسلمون.

٣. السابلة: المارّون على الطريق.

٤. أفلت: تخلّص. وتفلّت، وانفلت أيضاً بمعناه.

فبلغ الخبر المعتصم، فكتب إلى عامل له كان بها: تأمر الطريق بذلك فيُقطع على طرف إذن أميرالمؤمنين، ثمّ انفلت القطّاع! فإن أنت طلبت هؤلاء، وظفرت بهم؛ وإلا أمرت بأن تُضرب ألف سوط، ثمّ تُصلب بحيث قُطع الطريق.

قال: فطلبهم العامل حتّى ظفر بهم، واستوثق منهم، ثمّ كتب بذلك إلى المعتصم؛ فجمع الفقهاء، وابن أبى داود، ثمّ سأل الآخرين عن الحكم فيهم وابو جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام حاضراً، فقالوا: قد سبق حكم الله فيهم في قول ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾[1]، ولأميرالمؤمنين أن يحكم بأي ذلك شاء فيهم.

قال: فالتفت إلى أبي جعفر عليه السلام، فقال له: ما تقول فيما أجابوا فيه؟

فقال عليه السلام: قد تكلّم هؤلاء الفقهاء، والقاضي بما سمع أميرالمؤمنين!

قال: وأخبرني بما عندك؟

قال عليه السلام: إنّهم قد أضلّوا فيما أفتوا به؛ والذي يجب في ذلك أن ينظر أميرالمؤمنين في هؤلاء الذين قطعوا الطريق فإن كانوا أخافوا السبيل فقط، ولم يقتلوا أحداً، ولم يأخذوا مالاً؛ أمر بإيداعهم الحبس، فإنّ ذلك معنى «نفيهم من الأرض بإخافتهم السبيل» وإن كانوا أخافوا السبيل، وقتلوا النفس؛ أمر بقتلهم. وإن كانوا أخافوا السبيل، وقتلوا النفس، وأخذوا المال؛ أمر بقطع أيديهم، وأرجلهم من خلاف، وصلبهم بعد ذلك.

قال: فكتب إلى العامل: بأن يمثل ذلك فيهم.[2]

---

١. سورة المائدة، الآية: ٣٣.

٢. تفسير العيّاشي: ج١ ص٣١٤ رقم٩١، مورد تفسير سورة المائدة، الآية: ٣٣.

نصّ الإمام علي الرضا عليه السلام على إمامة ولده الإمام محمد الجواد في مواطن عديدة، فضلاً عمّا اشتهر من توارد النصّ عن النبي صلى الله عليه وآله للأئمّة من آل بيته عليهم السلام واحداً بعد واحد، وكذلك التصريح بالنصوص الوارد عن جملة من الأئمّة الأطهار وهي تُشير إلى الأئمّة بأجمعهم عليهم السلام، أو المؤكّدة على إمامة مَن ارتاب ضعاف الإيمان بإمامته:

فممّن روى النصّ عن أبي الحسن الرضا عليه السلام على ابنه أبي جعفر عليه السلام بالإمامة:

علي بن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وصفوان بن يحيى، ومعمّر بن خلاد، والحسين بن بتّار، وابن أبي نصر البزنطي، والحسن بن الجهم، وأبو يحيى الصنعاني، والخيراني، ويحيى بن حبيب الزيّات، وجماعة كثيرة يطول بذكرهم المقام.

رواية علي بن جعفر

روى الشيخ المفيد في الإرشاد، قال: كان علي بن جعفر بن محمد يُحدّث الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين، فقال في حديثه:

لقد نصر الله أبا الحسن الرضا عليه السلام لمّا بغى عليه اخوته، وعمومته. وذكر حديثاً طويلاً حتى انتهى إلى قوله: فقمت وقبضت على يد أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام وقلت له عليه السلام: أشهد أنّك إمام عند الله. فبكى الرضا عليه السلام وقال: يا عم، ألم تسمع أبي وهو يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بأبي ابن خيرة الإماء النوبيّة الطيّبة، يكون من ولده الطريد، الشريد، الموتور بأبيه وجدّه، صاحب الغيبة، فيُقال: مات أو هلك، أيّ واد سلك؟

فقلت: صدقت جُعلت فداك.[١]

ابن ثلاث سنين

روى الإربلي في كشف الغمّة، قال: وعن يحيى بن صفوان، قال: قلت للرضا عليه السلام: قد كنّا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر؛ فكنت تقول: يهب الله لي غلاماً. وقد وهبك الله، وأقرّ عيوننا، فلا أرانا الله يومك، فإن كان كون فإلى مَن؟

فأشار عليه السلام بيده إلى أبي جعفر عليه السلام وهو قائم بين يديه، فقلت له عليه السلام: جُعلت فداك، وهذا ابن ثلاث سنين؟!

قال عليه السلام: وما يضرّه من ذلك، وقد قام عيسى بن مريم بالحجّة وهو ابن أقل من ثلاثة سنين.[٢]

هذا أبو جعفر

روى الشيخ الكليني في الكافي، قال: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن معمّر بن خلاد، قال: سمعت الرضا عليه السلام وذكر شيئاً، فقال: ما حاجتكم إلى ذلك؛ هذا أبو جعفر قد أجلسته مجلسي، وصيرته مكاني.

وقال عليه السلام: إنّا أهل بيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا القذّة بالقذّة.[٣]

---

١. الإرشاد: ص٣١٧.

٢. كشف الغمّة: ج٣ ص١٤٣.

٣. الكافي: ج١ ص٣٢٠ الإشارة والنصّ على أبي جعفر الثاني عليه السلام، ح٢.

الفارق بين الحقّ والباطل

روى الشيخ الكليني في الكافي، قال: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن جعفر بن يحيى، عن مالك بن أشيم، عن الحسين بن بشّار، قال: كتب ابن قياما إلى أبي الحسن عليه السلام كتاباً يقول فيه: كيف تكون إماماً وليس لك ولد؟!

فأجابه أبو الحسن الرضا عليه السلام ـ شُبه المُغضب ـ : وما علمك أنّه لا يكون لي ولد؟! والله، لا تمضي الأيام والليالي حتّى يرزقني الله ولداً ذكراً يفرق به بين الحقّ والباطل.[١]

إبني الامام بعدي

روى الشيخ الكليني في الكافي، قال: بعض أصحابنا، عن محمد بن علي، عن معاوية بن حكيم، عن ابن أبي نصر، قال: قال لي ابن النجاشي: من الإمام بعد صاحبك؟ فأشتهي أن تسأله حتّى أعلم.

فدخلت على الرضا عليه السلام فأخبرته، قال: فقال عليه السلام لي: الإمام ابني.

ثم قال عليه السلام: هل يتجرئ أحد أن يقول ابني وليس له ولد؟![٢]

أقول: ولم يكن أنذاك قد ولد له عليه السلام ولد؛ فلم تمض الأيام حتّى ولد له الإمام أبو جعفر عليه السلام.

الأعظم بركة

روى الشيخ المفيد في الإرشاد، بسنده: عن أبي يحيى الصنعاني، قال: كنت

---

١. الكافي: ج١ ص٣٢٠ الإشارة والنصّ على أبي جعفر الثاني عليه السلام، ح٤.

٢. الكافي: ج١ ص٣٢٠ الإشارة والنصّ على أبي جعفر الثاني عليه السلام، ح٥.

عند أبي الحسن عليه السلام فجيء بإبنه أبي جعفر عليه السلام وهو صغير، فقال عليه السلام: هذا المولود الذي لم يولد مولود أعظم على شيعتنا بركة منه.[1]

يُثبّت الحقّ

روى الشيخ الكليني في الكافي، قال: أحمد، عن محمد بن علي، عن ابن قياما الواسطي، قال: دخلت على علي بن موسى عليهما السلام، فقلت له: أيكون إمامان!؟

قال عليه السلام: لا، إلا وأحدهما صامت.

فقلت له: هو ذا أنت؛ ليس لك صامت ـ ولم يكن ولد له أبو جعفر عليه السلام بعد ـ فقال لي: والله، ليجعلنّ الله منّي ما يُثبّت به الحقّ وأهله، ويمحق به الباطل وأهله.

فولد له بعد سنة أبو جعفر عليه السلام. وكان ابن قياما واقفياً.[2]

ختم الإمامة

روى الشيخ المفيد في الإرشاد، قال: أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمد، عن محمد بن يعقوب، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن علي، عن الحسن بن الجهم، قال: كنت مع أبي الحسن عليه السلام جالساً فدعا بابنه وهو صغير، فأجلسه في حجري، وقال لي: جرّده؛ انزع قميصه.

فنزعته، فقال عليه السلام لي: انظر بين كتفيه. فنظرت؛ فإذا في إحدى كتفيه شبه الخاتم داخل اللحم.

ثمّ قال عليه السلام لي: أترى هذا؟ مثله في هذا الموضع كان من أبي عليه السلام.[1]

---

١. الإرشاد: ج٢ ص٢٧٩ النصّ على إمامة محمد بن علي الجواد عليه السلام.

٢. الكافي: ج١ ص٣٢١ الإشارة والنصّ على أبي جعفر الثاني عليه السلام، ح٧.

إلى أبي جعفر

روى الشيخ المفيد في الإرشاد، بسنده: عن الخيراني، عن أبيه، قال: كنت واقفاً بين يدي أبي الحسن الرضاعليه السلام بخراسان، فقال قائل: يا سيّدي إن كان كون؛ فإلى مَن؟

قال عليه السلام: إلى أبي جعفر ابني. فكأن القائل استصغر سنّ أبي جعفر عليه السلام؛ فقال أبو الحسن عليه السلام: إنّ الله بعث عيسى بن مريم رسولاً نبيّاً صاحب شريعة مبتدأة في أصغر سنّ من السنّ الذي فيه أبو جعفر عليه السلام.[٢]

جدّدوا به عهداً

روى الإربلي في كشف الغمّة، قال: وعن يحيى بن حبيب الزيّات، قال: أخبرني من كان عند أبي الحسن عليه السلام جالساً، فلمّا نهض القوم قال لهم الرضاعليه السلام: ألقوا أبا جعفر فسلّموا عليه، وجدّدوا به عهداً. ثمّ التفت عليه السلام إليّ، وقال: رحم الله المفضّل؛ إنّه كان ليقنع بدون هذا.[٣]

ألا أحدثك بحديث

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: بنان بن نافع، قال: سألت علي بن موسى الرضاعليه السلام، فقلت: جُعلت فداك، من صاحب الأمر بعدك؟

فقال عليه السلام لي: يا ابن نافع، يدخل عليك من هذا الباب مَن ورث ما ورثته من قبلي، وهو حجّة الله تعالى من بعدي.

---

١. الإرشاد: ج٢ ص٢٧٨ النصّ على إمامة محمد بن علي الجوادعليه السلام.

٢. الإرشاد: ج٢ ص٢٧٩ النصّ على إمامة محمد بن علي الجوادعليه السلام.

٣. كشف الغمّة: ج٣ ص١٤٥ إثبات إمامته، والنصّ عليه من أبيه عليهما السلام.

فبينما أنا كذلك إذ دخل علينا محمد بن علي عليهما السلام، فلمّا بصر بي، قال عليه السلام لي: يا ابن نافع، ألا أُحدّثك بحديث؟

إنّا معاشر الأئمّة إذا حملت أُمّه يسمع الصوت من بطن أُمّه أربعين يوماً، فإذا أتى له في بطن أُمّه أربعة أشهر، رفع الله تعالى له أعلام الأرض؛ فقرب لـه ما بعد عنه حتّى لا يعزب عنه حلول قطرة غيث نافعة، ولا ضارّة. وإنّ قولك لأبـي الحسن عليه السلام: مَن حجّة الدهر والزمان من بعده. فالذي حدّثك أبو الحسن عليه السلام ما سألت عنه هو الحجّة عليك.

فقلت ـ ابن نافع ـ : أنا أوّل العابدين.

ثمّ دخل علينا أبو الحسن عليه السلام فقال لي: يا ابن نافع، سلّم، وأذعن له بالطاعة، فروحه روحي، وروحي روح رسول الله صلى الله عليه وآله.[1]

عليك بأبني محمد

روى الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام، قال: حدّثنا علي بن عبد الله الورّاق، قال: حدّثنا أبو الحسين محمد بن جعفر الكوفي الأسدي، قال: حدّثنا الحسن بن عيسى الخرّاط، قال: حدّثنا جعفر بن محمد النوفلي، قال: أتيت الرضا عليه السلام وهو بقنطرة أربق[2]، فسلّمت عليه، ثمّ جلست وقلت: جُعلت فداك، إنّ إناساً يزعمون أنّ أباك حي!

فقال عليه السلام: كذبوا لعنهم الله! ولو كان حيّاً ما قُسّم ميراثه، ولا نُكح نساؤه؛ ولكنّه

---

١. مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٣٣٨.

٢. أربق ـ بالفتح، ثمّ السكون، وباء مفتوحة موحدة، وقد تُضمّ، وقاف، ويُقال: بالكاف مكان القاف وقد ذكربعده ـ : من نواحي رامهرمز من نواحي خوزستان. معجم البلدان للحموى: ج١ ص١٣٧ «مادّة أربق».

والله، ذاق الموت كما ذاقه علي بن أبي طالبعليه السلام.

قال: فقلت له: ما تأمرني؟

قالعليه السلام: عليك بابني محمد من بعدي. وأمّا أنا؛ فإنّي ذاهب في وجه الأرض، لا أرجع منه.[١]

أبو جعفر وصيي

روى الصدوق في عيون أخبار الرضاعليه السلام، قال: حدّثنا الحاكم أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي، قال: حدّثني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدّثنا عون بن محمد، قال: حدّثنا أبو الحسين بن محمد بن أبي عبّاد ـ وكان يكتب للرضاعليه السلام ضمّه إليه الفضل بن سهل ـ قال: ما كانعليه السلام يذكر محمداً ابنه إلا بكُنيته، يقول: كتب إلي أبو جعفرعليه السلام. وكنت أكتب إلى أبي جعفرعليه السلام وهو صبي بالمدينة؛ فيُخاطبهعليه السلام بالتعظيم، وترد كتب أبي جعفرعليه السلام في نهاية البلاغة، والحسن؛ فسمعته يقولعليه السلام: أبو جعفر؛ وصيي، وخليفتي في أهلي من بعدي.[٢]

الإمام يعينه الله ورسوله

روى الكليني في الكافي، قال: أحمد بن مهران، عن محمد بن علي، عن أبي الحكم الأرمني، قال: حدّثني عبد الله بن إبراهيم بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، عن يزيد بن سليط الزيدي. قال أبو الحكم: وأخبرني عبد الله بن محمد بن عمارة الجرمي، عن يزيد بن سليط، قال: لقيت أبا إبراهيم ـ الإمام

---

١. عيون أخبار الرضاعليه السلام: ج٢ ص٢١٦ رقم٢٣.

٢. عيون أخبار الرضاعليه السلام: ج٢ ص٢٤٠ نصّ الرضاعليه السلام علي ابنه أبي جعفر محمد بن عليعليه السلام بالإمامة والخلافة، رقم١.

موسى الكاظم عليه السلام ـ ونحن نُريد العمرة في بعض الطريق، فقلت: جُعلت فداك، هل تثبت هذا الموضع الذي نحن فيه؟

قال عليه السلام: نعم، فهل تثبته أنت؟

قلت: نعم، إنّي أنا وأبي لقيناك ههنا مع أبي عبد الله عليه السلام، ومعه أخوتك، فقال له عليه السلام أبي: بأبي أنت وأُمّي، أنتم كلّكم أئمّة مطهّرون، والموت لا يعرى منه أحد؛ فأحدث إليّ شيئاً أُحدّث به من يخلفني من بعدي، فلا يضلّوا.

فقال عليه السلام: نعم يا أبا عمارة، هؤلاء ولدي، وهذا سيّدهم ـ وأشار إليك ـ وقد علم الحكم، والفهم، وله السخاء، والمعرفة بما يحتاج إليهِ الناس، وما اختلفوا فيه من أمر دينهم ودنياهم، وفيه حسن الخلق، وحسن الجوار، وهو باب من أبواب الله عزّ وجلّ، وفيه آخر خير من كلّ هذه.

فقال له عليه السلام أبي: وما هي؟!

فقال عليه السلام: يُخرج الله منه غوث هذه الأُمّة وغياثها، وعَلَمَها، ونورها؛ خير مولود، وخير ناشئ، يحقن الله به الدماء، ويُصلح به ذات البين، ويلم به الشعث، ويُشعب الصدع، ويكسو به العاري، ويُشبع به الجائع، ويؤمن به الخائف، ويُنزل الله به القطر[١]، ويرحم به العباد. خير كهل، وخير ناشئ؛ قوله حكم، وصمته علم، يُبيّن للناس ما يختلفون فيه، ويسود عشيرته من قبل أوان حلمه.

فقال له عليه السلام أبي: بأبي أنت وأُمّي، ما يكون له ولد بعده؟

فقال عليه السلام: نعم. ثمّ قطع الكلام.

قال يزيد ـ ابن سليط ـ فقلت له عليه السلام: بأبي أنت وأُمّي، فأخبرني أنت بمثل ما أخبرنا به أبوك ـ الصادق عليه السلام ـ .

---

١. القطر: المطر.

فقال عليه السلام لي: نعم، إنّ أبي عليه السلام كان في زمان ليس هذا الزمان مثله.

فقلت له عليه السلام: من رضى بهذا منك؛ فعليه لعنة الله.

قال: فضحك أبو إبراهيم عليه السلام ثمّ قال عليه السلام: أخبرك يا أبا عمارة: إنّي خرجت من منزلي؛ فأوصيت إلى ابني فلان، وأشركت معه بنيّ في الظاهر، وأوصيته في الباطن، وأفردته وحده، ولو كان الأمر إليّ لجعلته في القاسم؛ لحبّي إيّاه، ورقّتي عليه، ولكن ذلك إلى الله؛ يجعله حيث يشاء، ولقد جاءني بخبره رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ أرانيه، وأراني من يكون بعده، وكذلك نحن لا نوصي أحداً منّا حتّى يخبره رسول الله صلى الله عليه وآله، وجدّي علي بن أبي طالب عليه السلام.

ورأيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله خاتماً، وسيفاً، وعصاً، وكتاباً، وعمامة، فقلت: ما هذا يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وآله لي: أمّا العمامة: فسلطان الله، وأمّا السيف: فعزّ الله، وأمّا الكتاب: فنور الله، وأمّا العصا: فقوّة الله، وأمّا الخاتم: فجامع هذه الأمور. ثمّ قال صلى الله عليه وآله: والأمر قد خرج منك إلى غيرك!

فقلت: يا رسول الله، أرنيه أيّهم هو؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما رأيت من الأئمّة أحداً أجزع على فراق هذا الأمر منك، ولو كانت بالمحبّة لكان اسماعيل أحبّ إلى أبيك منك، ولكن ذلك إلى الله عزّ وجلّ.

ثمّ قال أبو إبراهيم عليه السلام: ورأيت ولدي جميعاً الأحياء منهم، والأموات. فقال لي أميرالمؤمنين عليه السلام: هذا سيّدهم ـ وأشار إلى ابني علي ـ فهو منّي، وأنا منه.

قال يزيد ـ ابن سليط ـ: ثمّ قال أبو إبراهيم عليه السلام: يا يزيد، إنّها وديعة عندك؛ فلا تُخبر بها إلا عاقلاً، أو عبداً تعرفه صادقاً، وإن سُئلت عن الشهادة، فاشهد بها، وهو قول الله عزّ وجلّ، لنا:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾[١]. وقال لنا: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ﴾[٢].

قال يزيد: وقال أبـو إبـراهيم عليه السلام: فأقبلـت علـى رسـول الله صلى الله عليه وآله فقلـت: قـد اجتمعوا إليّ بأبي أنت وأمّي، فأيّهم هو؟

فقال صلى الله عليه وآله: هو الذي ينظر بنور الله، ويسمع بتفهيمه، وينطق بحكمته، ويـصيب فلا يخطئ، ويعلم فلا يجهل؛ هو هذا. وأخذ بيد علـي ابنـي ـ الرضـا عليه السلام ـ ثـمّ قال صلى الله عليه وآله: ما أقلّ مقامك معه، فإذا رجعت من سـفرتك فـأوص، وأصـلح أمـرك، وأفرغ ممّا أردت، فإنّك منتقل عنه، ومجـاور غيـرهم، وإذا أردت فـادع عليـاً ـ الرضا عليه السلام ـ فمره فليغسّلك، وليكفّنك، وليتطهّر لك، ولا يصلح إلا ذلـك، وذلـك سنّة قد مضت.

ثمّ قال أبو إبراهيم عليه السلام: إنّي أوخذ في هذه الـسنة، والأمـر إلـى ابنـي علـي ـ الرضا عليه السلام ـ فسمّى علي، وعلي؛ فأمّا علي الأوّل: فعلي بن أبي طالـب عليه السلام. وأمّـا علي الآخر: فعلي بن الحسين عليهما السلام، أُعطي فهم الأوّل، وحكمتـه، وبـصره، وودّه، ودينه، ومحنة الآخر، وصبره على ما يكره، وليس بـه أن يـتكلّم إلا بعـد مـوت هارون ـ العبّاسي ـ بأربع سنين.

ثمّ قال عليه السلام: يا يزيد، فإذا مررت بهذا الموضع، ولقيتـه، وسـتلقاه؛ فبـشّره أنّـه سيولد له غلام أمين، مأمون، مبارك، وسيعلمك أنّك لقيتني، فأخبره عنـد ذلـك: إنّ الجارية التي يكون منها هذا الغلام؛ جارية من أهل بيت ماريّة القبطيّة، جارية رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن قدرت أن تبلغها منّي السلام فافعل ذلك.

---

١. سورة النساء، الآية: ٥٨.

٢. سورة البقرة، الآية: ١٤٠.

قال يزيد: فلقيت بعد مضي أبي إبراهيمعليه السلام علياً ـ الرضاعليه السلام ـ فبدأني، فقال لي: يا يزيد، ما تقول في العمرة.

فقلت: فداك أبي وأُمّي، ذاك إليك، وما عندي نفقة.

فقالعليه السلام: سبحان الله! ما كنّا نكلّفك، ولا نُكفيك.

فخرجنا حتّى إذا انتهينا إلى ذلك الموضع، ابتدأني فقالعليه السلام: يا يزيد، إنّ هذا الموضع لكثيراً ما لقيت فيه خيراً لك من عمرتك.

فقلت: نعم، ثمّ قصصت عليه الخبر.

فقالعليه السلام لي: أمّا الجارية، فلم تجيء بعد، فإذا دخلت أبلغتها منك السلام. فانطلقنا إلى مكّة، واشتراها تلك السنة، فلم تلبث إلا قليلاً حتّى حملت، فولدت ذلك الغلام.

قال يزيد: وكان أُخوة علي ـ الرضاعليه السلام ـ يرجون أن يرثوه؛ فعادوني من غير ذنب، فقال لهم إسحاق بن جعفر: والله، لقد رأيت وإنّه ليقعد من أبي إبراهيمعليه السلام المجلس الذي لا أجلس فيه أنا.[١]

مع علي بن جعفر

روى الكليني في الكافي، قال: الحسين بن محمد، عن محمد بن أحمد النهدي، عن محمد بن خلاّد الصيقل، عن محمد بن الحسن بن عمّار، قال: كنت عند علي بن جعفر بن محمد جالساً بالمدينة، وكنت أقمت عنده سنتين، أكتب عنه ما سمع من أخيه ـ يعني، أبا الحسنعليه السلام ـ إذ دخل عليه أبو جعفر محمد بن علي الرضاعليه السلام المسجد ـ مسجد الرسولصلى الله عليه وآله ـ فوثب علي بن جعفر

١. الكافي: ج١ ص٣١٣ الإشارة والنصّ على أبي الحسن الرضاعليه السلام، ح١٤.

بلا حذاء ولا رداء، فقبّل يده، وعظّمه.

فقال له أبو جعفرعليه السلام: يا عمّ، اجلس رحمك الله.

فقال: يا سيّدي كيف أجلس وأنت قائم؟!

فلمّا رجع علي بن جعفر إلى مجلسه جعل أصحابه يوبّخونه، ويقولون: أنت عمّ أبيه، وأنت تفعل به هذا الفعل؟!

فقال: أسكتوا؛ إذا كان الله عزّ وجلّ ـ وقبض على لحيته ـ لم يؤهّل هذه الشيبة، وأهّل هذا الفتى، ووضعه حيث وضعه؛ أنكر فضله؟! بالله ممّا تقولون، بل أنا له عبد.[1]

أن تكون القائم

روى الشيخ الصدوق في كمال الدين وتمام النعمة، قال: حدّثنا محمد بن أحمد الشيباني، قال: حدّثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، عن سهل بن زياد الآدمي، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني قال: قلت لمحمد بن علي بن موسىعليهم السلام: إنّي لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمدعليهم السلام الذي يملا الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً!

فقالعليه السلام: يا أبا القاسم، ما منّا إلا وهو قائم بأمر الله عزّ وجلّ، وهاد إلى دين الله، ولكنّ القائم الذي يُطهّر الله عزّ وجلّ به الأرض من أهل الكفر، والجحود، ويملاها عدلاً، وقسطاً هو الذي تخفى على الناس ولادته، ويغيب عنهم شخصه، ويحرم عليهم تسميته؛ وهو سمي رسول اللهصلى الله عليه وآله، وكنيه، وهو الذي تُطوى له الأرض، ويذل له كلّ صعب، ويجتمع إليه من أصحابه عدّة أهل بدر: ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أقاصي الأرض، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا

---

١. الكافي: ج١ ص٣٢٢ الإشارة والنصّ على أبي جعفر الثانيعليه السلام، ح١٢.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١]. فإذا اجتمعت له هذه العدّة من أهل الإخلاص؛ أظهر الله أمره. فإذا كمل له العقد، وهو: عشرة آلاف رجل؛ خرج بإذن الله عزّ وجلّ، فلا يزال يقتل أعداء الله حتّى يرضى الله عزّ وجلّ.

قال عبد العظيم: فقلت له: يا سيّدي، وكيف يعلم أنّ الله عزّ وجلّ قد رضي!؟

قال عليه السلام: يَلقي في قلبه الرحمة، فإذا دخل المدينة أخرج اللات، والعزى فأحرقهما.[٢]

إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة على إمامته عليه السلام مما هو مذكور في المفصلات.

---

١. سورة البقرة، الآية: ١٤٨.

٢. كمال الدين وتمام النعمة: ص٣٧٧ ح٢.

فصل في

بعض كلماته عليه السلام الدرّيّة

وأحاديثه الشريفة

الله شيء

روى عن الحسين بن سعيد، قال: سُئل أبو جعفر الثاني عليه السلام: يجوز أن يُقال لله: إنّه شيء؟

قال عليه السلام: نعم، يُخرجه من الحدّين: حدّ التعطيل، وحدّ التشبيه.[1]

قوله عليه السلام: حدّ التعطيل: هو عدم إثبات الوجود، والصفات الكمالية، والفعليّة، والإضافيّة له سبحانه وتعالى.

وحدّ التشبيه: الحكم بالإشتراك مع الممكنات في حقيقة الصفات، وعوارض الممكنات.[2]

من نعبد؟

روى عن عبد الرحمن بن أبي نجران، قال: كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام ـ أو قلت له ـ : جعلني الله فداك، نعبد الرحمن الرحيم الواحد الأحد الصمد؟

فقال عليه السلام: إنّ من عبد الإسم دون المسمّى بالأسماء؛ فقد أشرك وكفر، وجحد ولم يعبد شيئاً، بل أُعبد الله الواحد الأحد الصمد المسمّى بهذه الأسماء دون الأسماء؛ إنّ الأسماء صفات وصف بها نفسه.[3]

أسماء الله وصفاته

روي عن أبي هاشم الجعفري، قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام، فسأله رجل، فقال: أخبرني عن الربّ تبارك وتعالى؛ له أسماء وصفات في كتابه!؟

١. الكافي: ج١ ص٨٢ إطلاق القول بأنّه شئ، ح٢.

٢. مرآة العقول للمجلسي: ج١ ص٢٧٤ كتاب التوحيد.

٣. الكافي: ج١ ص٨٧ باب المعبود، ح٣.

وأسماؤه وصفاته هي هو؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: إنّ لهذا الكلام وجهين: إن كنت تقول: هي هو. أي، إنّه ذو عدد وكثرة؛ فتعالى الله عن ذلك. وإن كنت تقول: هذه الصفات، والأسماء لم تزل. فإنّ «لم تزل» محتمل معنيين: فإن قلت: لم تزل عنده في علمه، وهو مستحقّها؛ فنعم. وإن كنت تقول: لم يزل تصويرها، وهجاؤها وتقطيع حروفها؛ فمعاذ الله أن يكون معه غيره، بل كان الله، ولا خلق، ثمّ خلقها وسيلة بينه وبين خلقه؛ يتضرّعون بها إليه، ويعبدونه، وهي ذكره. وكان الله، ولا ذكر، والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل، والأسماء والصفات مخلوقات، والمعاني والمعنيّ بها هو الله، الذي لا يليق به الإختلاف، ولا الإئتلاف، وإنّما يختلف ويأتلف المتجزّئ، فلا يُقال: الله مؤتلف. ولا: الله قليل، ولا كثير، ولكنّه القديم في ذاته؛ لأنّ ما سوى الواحد متجزّئ، والله واحد لا متجزّئ، ولا متوهّم بالقلّة والكثرة، وكلّ متجزّئ أو متوهّم بالقلّة والكثرة فهو مخلوق دالّ على خالق له. فقولك: إنّ الله قدير. خبّرت أن لا يعجزه شيء. فنفيت بالكلمة العجز، وجعلت العجز سواه، وكذلك قولك: عالم. إنّما نفيت بالكلمة الجهل، وجعلت الجهل سواه، وإذا أفنى الله الأشياء؛ أفنى الصورة، والهجاء، والتقطيع. ولا يزال مَن لَم يزل عالماً.

فقال الرجل: فكيف سمّينا ربّنا: «سميعاً»؟!

فقال عليه السلام: لأنّه لا يخفى عليه ما يُدرك بالأسماع؛ ولم نصفه بالسمع المعقول في الرأس، وكذلك سمّيناه: «بصيراً» لأنّه لا يخفى عليه ما يُدرك بالأبصار من لون، أو شخص، أو غير ذلك؛ ولم نصفه ببصر لحظة العين، وكذلك سمّيناه: «لطيفاً» لعلمه بالشيء اللطيف، مثل البعوضة، وأخفى من ذلك، وموضع النشوء منها، والعقل، والشهوة للسفاد، والحدب على نسلها، وإقام بعضها على بعض،

ونقلها الطعام والشراب إلى أولادها في الجبال، والمفاوز، والأودية، والقفار؛ فعلمنا أنّ خالقها لطيف بلا كيف، وإنّما الكيفيّة للمخلوق المكيّف، وكذلك سمّيناه: «قويّاً» لا بقوّة البطش المعروف من المخلوق، ولو كانت قوّته قوّة البطش المعروف من المخلوق؛ لوقع التشبيه، ولاحتمل الزيادة، وما احتمل الزيادة احتمل النقصان، وما كان ناقصاً كان غير قديم، وكان عاجزاً، فربّنا تبارك وتعالى لا شبه له، ولا ضدّ، ولا ندّ، ولا كيف، ولا نهاية، ولا تبصار بصر، ومحرّم على القلوب أن تمثّله، وعلى الأوهام أن تحدّه، وعلى الضمائر أن تكوّنه، جلّ وعزّ عن أداة خلقه، وسمات بريّته، وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.[١]

---

١. الكافي: ج١ ص١١٦ باب معاني الأسماء واشتقاقها، ح٧.

قال العلامة محمد باقر المجلسي: قوله عليه السلام: «له أسماء وصفات» الظاهر: إنّ المراد: بـ«الأسماء» ما دلّ على الذات من غير ملاحظة صفة، وبـ«الصفات» ما دلّ على الذات مع ملاحظة الإتصاف بصفة؛ فأجاب عليه السلام بالإستفسار عن مراد السائل، وذكر عليه السلام محتملاته، وهي ثلاثة، وينقسم بالتقسيم:

الأوّل: إلى احتمالين؛ لأنّ المراد: إمّا معناه الظاهر، ومؤول بمعنى مجازي، لكون معناه الظاهر في غاية السخافة. فالأوّل، وهو معناه الظاهر: أن يكون المراد كون كلّ من تلك الأسماء والحروف المؤلّفة المركبّة عين ذاته تعالى، وحكم بأنّه تعالى منزّه عن ذلك؛ لاستلزامه تركّبه، وحدوثه، وتعدّده تعالى الله عن ذلك.

الثاني: أن يكون قوله: «هي هو» كناية عن كونها دائماً معه في الأزل، فكأنّها عينه. وهذا يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون المراد: إنّه تعالى كان في الأزل مستحقّاً لإطلاق تلك الأسماء عليه، وكون تلك الأسماء في علمه تعالى من غير تعدّد في ذاته تعالى، وصفاته، ومن غير أن يكون معه شيء في الأزل؛ فهذا حقّ.

وثانيهما: أن يكون المراد: كون تلك الأسماء، والحروف المؤلّفة دائماً معه في الأزل، فمعاذ الله أن يكون معه غيره في الأزل؛ وهذا صريح في نفي تعدّد القدماء، ولا يقبل تأويل القائلين بمذاهب الحكماء.

وقوله عليه السلام: «تصويرها» أي، إيجادها بتلك الصور والهيئات. و«هجاؤها» أي، التكلّم بها. وفي القاموس: الهجاء: ككساء. تقطيع اللفظ بحروفها، وهجيت الحروف، وتهجيته. انتهى.

فقوله عليه السلام: «وتقطيع حروفها» كالتفسير له. ثمّ أشار عليه السلام إلى حكمة خلق الأسماء، والصفات بأنّها وسيلة بينه وبين خلقه؛ يتضرّعون بها إليه ويعبدونه. «وهي ذكره» بالضمير؛ أي، يُذكر بها، والمذكور بالذكر قديم، والذكر حادث. ..

قوله عليه السلام: «والأسماء، والصفات مخلوقات» قال: ههنا اختلف نسخ الحديث، ففي توحيد الصدوق: (مخلوقات المعاني) أي، معانيها اللغويّة، ومفهوماتها الكليّة مخلوقة. وفي احتجاج الطبرسي: (ليس لفظ المعاني أصلاً، والمعاني بالعطف) ـ أي، على مخلوقاً ـ فالمراد: إمّا مصداق مدلولاتها، ويكون قوله: «والمعنى بها» عطف تفسير له، أو هي ـ المعاني ـ معطوفة على الأسماء. أي، والمعاني، وهي حقائق مفهومات الصفات مخلوقة.

أو المراد: بـ«الأسماء» الألفاظ، وبـ«الصفات» ما وضع أسماؤها له، وقوله عليه السلام: «مخلوقات والمعاني» خبران للأسماء، والصفات. أي، الأسماء مخلوقات، والصفات هي المعاني، والمعنيّ بها هو: الله. أي، المقصود بها المذكور بالذكر، ومصداق تلك المعاني المطلوب بها هو ذات الله تعالى، والمراد: بـ«الإختلاف» تكثّر الأفراد، أو تكثّر الصفات، والأحوال المتغيّرة، أو اختلاف الأجزاء، وتباينها بحسب الحقيقة، أو الإنفكاك والتحلّل، وبـ«الإئتلاف» التركّب من الأجزاء، أو اتّفاق الأجزاء في الحقيقة.

وحاصل الكلام: إنّ ذات الله سبحانه ليس بمؤتلف، ولا مختلف؛ لأنّه واحد حقيقي، وكلّ ما يكون واحداً حقيقياً لا يكون مؤتلفاً، ولا مختلفاً. أمّا أنّه واحد حقيقي؛ فلقدَمه، ووجوب وجوده لذاته.

وأمّا أنّ الواحد لا يصحّ عليه الإئتلاف، والإختلاف؛ لأنّ كلّ متجزّء، أو متوهّم بالقلّة والكثرة، مخلوق، ولا شيء من المخلوق بواحد حقيقي؛ لمغايرة الوجود والمهيّة، وللتحلّل إلى المهيّة والتشخّص، فلا شيء من الواحد بمتجزّئ، ولا شيء من المتجزّئ بواحد.

وقوله عليه السلام: «فقولك: إنّ الله قدير» بيان لحال توصيفه سبحانه بالصفات كالقدرة، والعلم، وأنّها مغايرة للذات، فمعنى قولك «إنّ الله قدير» خبر بهذا القول أنّه لا يعجزه شيء، فمعنى القدرة فيه نفي العجز عنه، لا صفة وكيفية موجودة، فجعلت العجز مغايراً له، منفيّاً عنه، ونفي المغاير للشيء مغاير له كالمنفي عنه، وكذا العلم وسائر الصفات.

وقوله عليه السلام: «فإذا أفنى الله الأشياء» استدلال على مغايرته تعالى للأسماء وهجائها وتقطيعها، والمعاني الحاصلة منها من جهة النهاية، كما أنّ المذكور سابقاً كان من جهة البداية.

والحاصل: إنّ علمه تعالى ليس عين قولنا: عالم. وليس اتّصافه تعالى به متوقّفاً على التكلّم بذلك، وكذا الصور الذهنية ليست عين حقيقة ذاته وصفاته تعالى، وليس اتّصافه تعالى بالصفات متوقّفاً على حصول تلك الصور، إذ بعد فناء الأشياء تفنى تلك الأمور مع بقائه تعالى متّصفاً بجميع الصفات الكماليّة، كما أنّ قبل حدوثها كان متّصفاً بها، وهذا الخبر ممّا يدلّ على أنّه سبحانه يفني جميع الأشياء قبل القيامة.

ثمّ اعلم أنّ المقصود بما ذكر في هذا الخبر، وغيره من أخبار البابين؛ هو نفي تعقّل كنه ذاته، وصفاته تعالى، وبيان أنّ صفات المخلوقات مشوبة بأنواع النقص والعجز، والله تعالى متّصف بها، معرّى عن جهات النقص، والعجز، كالسمع؛ فإنّه فينا العلم بالمسموعات بالحاسّة المخصوصة، ولمّا كان توقّف علمنا على الحاسّة لعجزنا، وكان حصولها لنا من جهة تجسّمنا، وامكاننا، ونقصنا. وأيضاً ليس علمنا من ذاتنا

لعجزنا، وعلمنا حادث لحدوثنا، وليس علمنا محيطاً بحقائق ما نسمعه كما هي لقصورنا عن الإحاطة. وكلّ هذه نقائص شابت ذلك الكمال، فلذا أثبتنا له سبحانه ما هو الكمال؛ وهو أصل العلم، ونفينا عنه جميع تلك الجهات التي هي سمات النقص، والعجز. ولّما كان علمه سبحانه غير متصوّر لنا بالكنه، ورأينا الجهل فينا نقصاً فنفيناه عنه، فكأنّا لم نتصوّر من علمه تعالى إلا عدم الجهل، فإثباتنا العلم له تعالى إنّما يرجع إلى نفي الجهل؛ لأنّا لم نتصوّر علمه تعالى إلا بهذا الوجه، وإذا وفيت في ذلك حقّ النظر؛ وجدته نافياً لما يدّعيه القائلون بـ : الإشتراك اللفظي في الوجود، وسائر الصفات لا مثبتاً له. وقد عرفت أنّ الأخبار الدالّة على نفي التعطيل ينفي هذا القول.

قوله عليه السلام: «بالسمع المعقول في الرأس» أي، الذي نتعقّله في الرأس، ونحكم بأنّه فيه. واللطيف قد يكون بمعنى رقيق القوام، أو عديم اللون من الأجسام، أو صغير الجسم. وفيه سبحانه لا يتصوّر هذه الأمور؛ لكونها من لوازم الأجسام، فقد يُراد به: التجرّد مجازاً، أو بمعنى لطيف الصنعة، أو العالم بلطائف الأمور كما فُسّر به هذا الخبر.

و«موضع النشوء منها» أي، المواد التي جعلها في أبدانها، وبها ينمو، وموضع نمو كلّ عضو، وقدر نموّها بحيث لا يخرج عن التناسب الطبيعي بين الأعضاء. و«النشوء» ـ بالهمزة ـ النموّ، وربّما يُقرأ: بكسر النون، والواو. خبراً بمعنى شمّ الريح. جمع«النشوة» أي، يعلم محلّ القوّة الشامّة منها. وفي التوحيد ـ للصدوق ـ : «موضع الشبق» أي، شهوة الجماع. وفي الإحتجاج ـ للطبرسي ـ : «موضع المشي، والعقل» أي، موضع قواها المدركة، والحدب: مُحركة التعطّف. ويمكن عطفه على موضع النشو، وعلى النشو.

و«أقام بعضها» الإقام: مصدر بمعنى الإقامة، كقوله تعالى: ﴿أَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ حذفت التاء المعوّضة عن العين (الساقطة من إقوام) وأقيمت الإضافة مقامها، و«القفار» جمع القفر: وهو مفازة لا نبات فيها، ولا ماء.

قوله عليه السلام: «لوقع التشبيه». .. قال بعض الأفاضل: أبطل كون قوّته قوّة البطش المعروف من المخلوقين بوجهين:

أحدهما: لزوم وقوع التشبيه وكونه مادّياً مصوّراً بصورة المخلوق.

وثانيهما: لزوم كونه سبحانه محتملاً للزيادة.

لأنّ الموصوف بمثل هذه الكيفيّة لابدّ لها من مادّة قابلة لها، متقوّمة بصورة جسمانية، موصوفة بالتقدّر بقدر، والتناهي، والتحدّد بحدّ لا محالة، فيكون لا محالة حينئذ موصوفاً بالزيادة على ما دونه من ذوي الأقدار، وكلّ موصوف بالزيادة الإضافيّة موصوف بالنقصان الإضافي؛ لوجهين:

أحدهما: إنّ المقادير الممكنة لا حدّ لها تقف عنده في الزيادة، كما لا حدّ لها في النقصان، فالمتقدّر بمقدار متناه يتّصف بالنقص الإضافي بالنسبة إلى بعض الممكنات وإن لم يدخل في الوجود.

وثانيهما: إنّه يكون حينئذ لا محالة موصوفاً بالنقص الإضافي بالنسبة إلى مجموع الموصوف بالزيادة الإضافيّة، والمقيس إليه، فيكون أنقص من مجموعهما، وما كان ناقصاً بالنسبة إلى غيره من الممكنات

بينه تعالى وبين خلقه

روي عن أبي جعفر الثاني عليه السلام، إنّه قال: إنّ الله خلو من خلقه، وخلقه خلو منه، وكلّما وقع عليه اسم شيء فهو مخلوق ما خلا الله.[١]

لا يكون قديماً واجب الوجود لذاته؛ لأنّه علّة ومبدء لكلّ ما يُغايره. والمبدء المفيض أكمل، وأتمّ من المعلول الصادر عنه، المفاض عليه منه، فكلّ ناقص إضافي أحقّ بالمعلولية من المبدئية لما هو أكمل وأزيد منه، وهذا يُنافي ربوبيّته، ويتمّ به المطلوب، لكنّه لمّا أراد إلزام ما هو أظهر فساداً؛ وهو لزوم عجزه عن قوّته، ضمّ إليه قوله عليه السلام: «وما كان غير قديم كان عاجزاً» لأنّه كان معلولاً لعلّته ومبدئه، مسخراً له غير قوي على مقاومته.

إذا عرفت ذلك؛ فربّنا تبارك وتعالى لا شبه له؛ لأنّ شبه الممكن ممكن، ولا ضدّ له؛ لأنّ الشيء لا يضاد علّته، ومقتضى العلّية والمعلولية الملازمة، والإجتماع في الوجود، فلا يُجامع المضادة، ولا ندّ له؛ لأنّ المثل المقاوم لا يكون معلولاً، ولا قديم سواه بدليل التوحيد، ولا كيف له؛ لكونه تامّاً كاملاً في ذاته، غير محتمل لما يفقده، ولا نهاية له؛ لتعاليه عن التقدّر، والقابلية لما يغايره.

«ولا يبصار بصر» ـ وفي بعض النسخ: «ولا تبصار» بالتاء. أي، التبصّر بالبصر ـ «ومحرّم على القلوب أن تمثّله» أي، أن يجعل حقيقته موجوداً ظلّياً مثالياً، ويأخذ منه حقيقة كلية معقولة لكونه واجب الوجود بذاته لا تنفك حقيقته عن كونه موجوداً عينياً شخصياً، وعلى الأوهام أن تحدّه لعجزها عن أخذ المعاني الجزئية عمّا لا يحصل في القوى والأذهان، ولا يُحاط بها، فلا تأخذ منه صورة جزئية. وعلى الضمائر أن تكوّنه الضمير السرّ، وداخل الخاطر والبال، ويُطلق على محلّه، كما أنّ الخاطر في الأصل ما يخطر بالبال ويدخله. .. إلخ. مرآة العقول: ج٢ ص٤٢ـ٤٧.

١. الكافي: ج١ ص٨٢ اطلاق القول بأنّه شئ، ح٣.

قال العلامة محمد باقر المجلسي: قوله عليه السلام: «خلو من خلقه» والخلو ـ بكسر الخاء، وسكون اللام ـ: الخالي. فقوله عليه السلام: «خلو من خلقه» أي، من صفات خلقه، أو من مخلوقاته. فيدلّ على نفي ما ذهب إليه الأشاعرة من الصفات الموجودة الزائدة؛ لأنّها لابدّ أن يكون مخلوقة لله تعالى بانضمام المقدّمتين الأخيرتين المبنيتين على التوحيد، واتّصافه ـ سبحانه وتعالى ـ بمخلوقه مستحيل؛ لما تقرّر من أنّ الشيء لا يكون فاعلاً وقابلاً لشيء واحد، وأيضاً: الفاقد للشيء لا يكون معطياً له.

وكذا يدلّ على نفي ما ذهبت إليه الكرّاميّة من اتّصافه سبحانه بالصفات الموجودة الحادثة. وعلى نفي ما ذهب إليه بعض الصوفيّة من عروض المهيّات الممكنة للوجود القائم بالذات؛ تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

قوله عليه السلام: «وخلقه خلو منه» أي، من صفاته، أو المراد: إنّه لا يحلّ في شيء بوجه من الوجوه، فينفي كونه

معنى الواحد

روي عن أبي هاشم الجعفري، قال: سألت أبا جعفر الثاني عليه السلام: ما معنى

عارضاً لشيء، أو حالاً فيه، أو متمكّناً فيه؛ إذ ما من شيء إلا وهو مخلوق له بحكم المقدّمتين الأخيرتين؛ فيدلّ على نفي قول النصارى القائلين: بأنّه سبحانه جوهر واحد ثلاثة أقانيم، هي: الوجود، والعلم، والحياة. المعبّر عنها عندهم بـ : الأب، والابن، وروح القدس.

ويقولون: الجوهر: القائم بنفسه، والأقنوم: الصفة. وجعل الواحد ثلاثة؛ إمّا جهالة محضة، أو ميل إلى أنّ الصفات عين الذات؛ لكنّه لا يستقيم ذلك مع سائر كلماتهم. واقتصارهم على العلم، والحياة دون القدرة، وغيرها جهالة أُخرى، وكأنّهم يجعلون القدرة راجعة إلى الحياة، والسمع والبصر إلى العلم.

ثمّ قالوا ـ أي، النصارى ـ : الكلمة: وهي أقنوم العلم اتّحدت بجسد المسيح، وتدرّعت بناسوته بطريق الإمتزاج كالخمر بالماء عند الملكائية، وبطريق الإشراق كما تشرق الشمس من كوّة على بلّور عند النسطورية، وبطريق الإنقلاب لحماً ودماً بحيث صار الإله هو المسيح عند اليعقوبيّة.

ومنهم من قال: ظهر اللاهوت بالناسوت كما يظهر الملك في صورة البشر، وقيل: تركّبت اللاهوت والناسوت كالنفس مع البدن، وقيل: إنّ الكلمة قد تداخل الجسد، فيصدر عنه خوارق العادات، وقد تفارقه فتحلّه الآلام والآفات، الى غير ذلك في الهذيانات.

وينفي أيضاً مذهب بعض الغلاة القائلين: بأنّه لا يمتنع ظهور الروحاني بالجسماني كجبرائيل في صورة دحية الكلبي، وكبعض الجنّ، والشياطين في صورة الأناسيّ؛ فلا يبعد أن يظهر الله تعالى في صورة بعض الكاملين؛ وأولى الناس بذلك أميرالمؤمنين، وأولاده المخصوصون الذين هم خير البريّة في العلم، والكمالات العلميّة والعمليّة، فلهذا كان يصدر عنهم من العلوم والأعمال ما هو فوق الطاقة البشريّة.

وينفي أيضاً مذاهب أكثر الصوفيّة، فإن بعضهم يقول: إنّ السالك إذا أمعن في السلوك، وخاض لجّة الوصول، فربّما يحلّ الله ـ سبحانه وتعالى عمّا يقولون ـ فيه كالنار في الجمر بحيث لا تمايز، أو يتّحد به بحيث لا اثنينيّة، ولا تغاير، وصحّ أن يقول: هو أنا، وأنا هو. وحينئذ يرتفع الأمر والنهي، ويظهر منه من الغرائب والعجائب ما لا يتصوّر من البشر. ويظهر من كلام بعضهم: إنّ الواجب تعالى هو الموجود المطلق، وهو واحد لا كثرة فيه أصلاً، وإنّما الكثرة في الإضافات والتعينات التي هي بمنزلة الخيال والسراب، إذ الكلّ في الحقيقة واحد يتكرّر على المظاهر لا بطريق المخالطة، ويتكثّر في النواظر لا بطريق الإنقسام.

فأمره دائر بين القول: باتّحاد جميع الموجودات مع الواجب تعالى، أو القول: بعدم تحقّق موجود آخر غير الواجب في الواقع. وكلّ منهما سفسطة، تحكم بديهة العقل ببطلانه، وضرورة الدين بفساده، وطغيانه. مرآة العقول: ج١ ص٢٨٢.

الواحد؟

فقال عليه السلام: إجماع الألسن عليه: بـ«الوحدانيّـة» كقولـه تعـالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[1].[2]

معنى الصمد

روي عن داود بن القاسم الجعفري، قال: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام: جُعلـت فداك، ما الصمد؟

قال عليه السلام: السيّد المصمود إليه في القليل، والكثير.[3]

---

١. سورة الزخرف، الآية: ٨٧.

٢. الكافي: ج١ ص١١٨ باب معنى الأسماء واشتقاقها، ح١٢.

قال العلامة محمد باقر المجلسي: قوله عليه السلام: «إجماع الألسن» أي، معنى الواحد في أسمائه، وصفاته سبحانه ما أجمع عليه الألسن من وحدانيّته، وتفرّده بالخالقيّة، والأُلوهيّة. كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾. أي، جميع الخلق إذ رجعوا إلى أنفسهم، وجانبوا الأغراض الفاسدة التي صرفتهم عن مقتضى عقولهم. أو المـراد: هم مشركو مكّة؛ فإنّ شركهم كان في المعبوديّة لا الخالقيّة. .. . مرآة العقول: ج٢ ص٤٩.

٣. الكافي: ج١ ص١٢٣ باب تأويل الصمد، ح١.

قال العلامة محمد باقر المجلسي: إعلم أنّ العلماء اختلفوا في تفسير الصمد، فقيل: إنّه فعل بمعنى المفعول من صمد إليه إذا قصده، وهو السيّد المقصود إليه في الحوائج، كما ورد في هذا الخبر، وروت العامّـة عـن ابن عباس: إنّه لمّا نزلت هذه الآية: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾. قيل: ما الصمد؟ قال صلى الله عليه وآله: هو السيّد الـذي يُـصمد إليه في الحوائج. وقيل: إنّ الصمد: هو الذي لا جوف له. وقال بعض اللغويّين: الصمد: هـو الأملـس من الحجر، لا يقبل الغبار، ولا يدخله، ولا يخرج منه شيء.

فعلى الأوّل: عبارة عن وجوب الوجود، والإستغناء المطلق، واحتياج كلّ شيء في جميع أمـوره إليـه. أي، الذي يكون عنده ما يحتاج إليه كلّ شيء، ويكون رفع حاجة الكلّ إليه، ولم يفقد في ذاتـه شـيئاً ممّـا يحتاج الكلّ، وإليه يتوجّه كلّ شيء بالعبادة والخضوع، وهو المستحق لذلك.

وأمّا على الثاني: فهو مجاز عن أنّه تعالى أحديّ الذات، أحديّ المعنى، ليست له أجزاء ليكون بين الأجزاء جوف، ولا صفات زائدة فيكون بينها وبين الذات جوف، أو عن أنّه الكامل بالذات، ليس فيـه جهـة استعداد وإمكان، ولا خلو له عمّا يليق به، فلا يكون له جوف يصلح أن يدخله ما ليس لـه في ذاتـه فيستكمل به، فالجوف كناية عن الخلو عمّا يصلح اتّصافه به.

لا تُدركه الأبصار

روى عن أبي هاشم الجعفري، قال: قلت لأبي جعفرعليه السلام: لا تُدركه الأبصار وهو يُدرك الأبصار!؟

فقالعليه السلام: يا أبا هاشم، أوهام القلوب أدقّ من أبصار العيون؛ أنت قد تُدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها، ولا تدركها ببصرك، وأوهام القلوب لا تدركه، فكيف أبصار العيون.[1]

بيت في الجنّة

وقالعليه السلام: من استفاد أخاً في الله فقد استفاد بيتاً في الجنّة.[2]

من وثق بالله

وقالعليه السلام: من وثق بالله أراه السرور، ومن توكّل عليه كفاه الأُمور، والثقة بالله حصن لا يتحصّن فيه إلا مؤمن أمين، والتوكّل على الله نجاة من كلّ سوء، وحرز من كلّ عدوّ، والدين عزّ، والعلم كنز، والصمت نور، وغاية الزهد الورع، ولا هدم للدين مثل البدع، ولا أفسد للرجل من الطمع، وبالراعي تصلح الرعيّة،

وأمّا على الثالث: فهو كناية عن عدم الإنفعال والتأثّر عن الغير، وكونه محلاً للحوادث كما مرّ عن الإمام الصادقعليه السلام: إنّ الرضا دخال يدخل عليه؛ فينقله من حال إلى حال؛ لأنّ المخلوق أجوف معتمل، مركّب، للأشياء فيه مدخل. وخالقنا لا مدخل للأشياء فيه لأنّه واحد، واحديّ الذات، واحديّ المعنى. وقد ورد بكلّ من تلك المعاني أخبار. ..

وقد نقل بعض المفسّرين عن الصحابة، والتابعين، والأئمّة، واللغويّين، قريباً من عشرين معنى، ويمكن إدخال جميعها فيما ذكرنا. مرآة العقول: ج٢ ص٦٠.

١. الكافي: ج١ ص٩٩ باب في إبطال الرؤية، ح١١.

٢. كشف الغمّة للإربلي: ج٢ ص٣٤٦.

وبالدعاء تُصرف البليّة، ومن ركب مركب الصبر اهتدى إلى مضمار النصر، ومن عاب عُيّب، ومن شتم أُجيب، ومن غرس أشجار التُقى اجتنى ثمار المُنى.[1]

معشوقهم عنده

روى الحسن بن نصر الحلواني في نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، قال: وقال عليه السلام: من استغنى كرم على أهله.

فقيل له: وعلى غير أهله؟

فقال عليه السلام: لا، إلا أن يكون يجدي عليهم نفعاً. ثمّ قال عليه السلام للذي قال له: من أين قلت؟!

قال: لأنّ رجلاً قال في مجلس بعض الصادقَين عليهما السلام: إنّ الناس يُكرمون الغني وإن كانوا لا ينتفعون بغناه!

فقال عليه السلام: ذلك لأنّ معشوقهم عنده.[2]

لا تُبطلوا صدقاتكم

روى الإمام العسكري عليه السلام في التفسير المنسوب إليه، قال: ودخل رجل على محمد بن علي بن موسى الرضا عليه السلام وهو مسرور، فقال عليه السلام: ما لي أراك مسروراً؟!

قال: يا بن رسول الله، سمعت أباك عليه السلام يقول: أحق يوم بأن يُسرّ العبد فيه يوم يرزقه الله صدقات، ومبرّات، وسدّ خلات من إخوان له مؤمنين. وإنّه قصدني اليوم عشرة من إخواني المؤمنين الفقراء لهم عيالات؛ قصدوني من بلد

---

١. كشف الغمّة للإربلي: ج٢ ص٣٤٦. نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص١٣٥.

٢. نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص١٣٥.

كذا، وكذا؛ فأعطيت كلّ واحد منهم؛ فلهذا سروري.

فقال محمد بن علي عليهما السلام: لعمري، إنّك حقيق بأن تُسرّ إن لم تكن أحبطته، أو لم تحبطه فيما بعد!

فقال الرجل: وكيف أحبطته وأنا من شيعتكم الخلّص؟!

قال عليه السلام: هاه[1]، قد أبطلت برّك بإخوانك، وصدقاتك!!

قال: وكيف ذاك يا بن رسول الله؟

قال له محمد بن علي عليهما السلام: إقرأ قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾[2].

قال الرجل: يا بن رسول الله، ما مننت على القوم الذين تصدّقت عليهم، ولا آذيتهم؟!

قال له محمد بن علي عليهما السلام: إنّ الله عز وجل إنّما قال: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾. ولم يقل: «لا تبطلوا بالمنّ على من تتصدّقون عليه، وبالأذى لمن تتصدّقون عليه» وهو كلّ أذى. أفترى أذاك للقوم الذين تصدّقت عليهم أعظم، أم أذاك لحَفَظَتك، وملائكة الله المقرّبين حواليك، أم أذاك لنا!؟

فقال الرجل: بل هذا يا بن رسول الله.

فقال عليه السلام: فقد آذيتني، وآذيتهم، وأبطلت صدقتك.

قال: لماذا؟

قال عليه السلام: لقولك: وكيف أحبطته وأنا من شيعتكم الخلّص؟!

---

١. هه: كلمة تذكر وتكون بمعنى التحذير أيضاً، فإذا مددتها، وقلت: هاه. كانت وعيداً في حال، وحكاية لضحك الضاحك في حال. لسان العرب لابن منظور: ج١٣ ص٥٥١ «مادّة هو».

٢. سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

ويحك! أتدري من شيعتنا الخلّص!؟

قال: لا.

قال عليه السلام: شيعتنا الخلص: حزقيل المؤمن؛ مؤمن آل فرعون. وصاحب يس الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾[1]. وسلمان، وأبو ذر، والمقداد، وعمّار. أسوّيت نفسك بهؤلاء! أما آذيت بهذا الملائكة، وآذيتنا؟!

فقال الرجل: أستغفر الله وأتوب إليه. فكيف أقول؟

قال عليه السلام: قل: أنا من مواليكم، ومحبّيكم، ومعادي أعدائكم، وموالي أوليائكم.

فقال: كذلك أقول، وكذلك أنا يابن رسول الله، وقد تبت من القول الذي أنكرته، وأنكرته الملائكة؛ فما أنكرتم ذلك إلا لإنكار الله عزّ وجلّ.

فقال محمد بن علي بن موسى الرضا عليه السلام: الآن قد عادت إليك مثوبات صدقاتك، وزال عنها الإحباط.[2]

خصال أربع

وقال عليه السلام: أربع خصال تعين المرء على العمل: الصحّة، والغنى، والعلم، والتوفيق.[3]

الحسن والحسين عليهما السلام

وقال عليه السلام وقد سُئل عن حديث النبي صلى الله عليه وآله: إنّ فاطمة عليها السلام أحصنت فرجها؛ فحرّم الله ذرّيّتها على النار؟

---

١. سورة يس، الآية: ٢٠.

٢. تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص٣١٤ رقم ١٦٠، مورد تفسير سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

٣. كشف الغمّة للإربلي: ج٢ ص٣٤٦.

فقال عليه السلام: خاصٌ للحسن والحسين عليهما السلام.[١]

طلب العلم

وقال عليه السلام: عليكم بطلب العلم؛ فإنّ طلبه فريضة، والبحث عنه نافلة، وهو صلة بين الإخوان، ودليل على المروءة، وتحفة في المجالس، وصاحب في السفر، وأُنس في الغربة.[٢]

العلم علمان

وقال عليه السلام: العلم علمان: مطبوع، ومسموع. ولا ينفع مسموع إذا لم يكن مطبوع.

ومن عرف الحكمة لم يصبر على الإزدياد منها.

الجمال في اللسان، والكمال في العقل.[٣]

الزينة في الأشياء

وقال عليه السلام: العفاف؛ زينة الفقر، والشكر؛ زينة الغنى، والصبر؛ زينة البلاء، والتواضع؛ زينة الحسب، والفصاحة؛ زينة الكلام، والعدل؛ زينة الإيمان، والسكينة؛ زينة العبادة، والحفظ؛ زينة الرواية، وخفض الجناح؛ زينة العلم، وحسن الأدب؛ زينة العقل، وبسط الوجه؛ زينة الحلم، والإيثار؛ زينة الزهد، وبذل المجهود؛ زينة النفس، وكثرة البكاء؛ زينة الخوف، والتقلّل؛ زينة القناعة،

---

١. كشف الغمّة للإربلي: ج٢ ص٣٤٦.

٢. كشف الغمّة للإربلي: ج٢ ص٣٤٧.

٣. كشف الغمّة للإربلي: ج٢ ص٣٤٧.

وترك المنّ؛ زينة المعروف، والخشوع؛ زينة الصلاة، وترك ما لا يعنى؛ زينة الورع.[١]

حسب المرء

وقال عليه السلام: حسب المرء من كمال المروّة، وتركه ما لا يحمل به. ومن حيائه أن لا يلقى أحداً بما يكره. ومن عقله حسن رفقه. ومن أدبه أن لا يترك ما لابدّ له منه. ومن عرفانه علمه بزمانه. ومن ورعه غضّ بصره، وعفّة بطنه. ومن حسن خلقه كفّه أذاه. ومن سخائه برّه بمن يجب حقّه عليه، وإخراجه حقّ الله من ماله. ومن إسلامه تركه ما لا يعنيه، وتجنّبه الجدال والمراء في دينه. ومن كرمه إيثاره على نفسه. ومن صبره قلّة شكواه. ومن عقله إنصافه من نفسه. ومن حلمه تركه الغضب عند المخالفة. ومن إنصافه قبوله الحقّ إذا بان له. ومن نصحه نهيه عمّا لا يرضاه لنفسه. ومن حفظه جوارك تركه توبيخك عند إساءتك مع علمه بعيوبك. ومن رفقه ترك عذلك عند غضبك بحضرة من تكره. ومن حسن صحبته لك إسقاطه عنك مؤونة أذاك. ومن صداقته كثرة موافقته، وقلّة مخالفته. ومن صلاحه شدّة خوفه من ذنوبه. ومن شكره معرفة إحسان من أحسن إليه. ومن تواضعه معرفته بقدره. ومن حكمته علمه بنفسه. ومن سلامته قلّة حفظه لعيوب غيره، وعنايته بإصلاح عيوبه.[٢]

هلاك المرء

وقال عليه السلام: لن يستكمل العبد حقيقة الإيمان حتّى يؤثر دينه على شهوته، ولن

---

١. كشف الغمّة للإربلي: ج٢ ص٣٤٧.

٢. كشف الغمّة للإربلي: ج٢ ص٣٤٧.

يهلك حتّى يؤثر شهوته على دينه.[١]

أقسام الفضائل

وقال عليه السلام: الفضائل أربعة أجناس:

أحدها: الحكمة، وقوامها في الفكرة.

والثاني: العفّة، وقوامها في الشهوة.

والثالث: القوّة، وقوامها في الغضب.

والرابع: العدل، وقوامه في اعتدال قوى النفس.[٢]

الراضي بالظلم

وقال عليه السلام: العامل بالظلم، والمعين له، والراضي به شركاء.[٣]

اقصد العلماء

وقال عليه السلام: أقصد العلماء للمحجّة؛ المُمسك عند الشبهة. والجدل يورث الرياء. ومن أخطأ وجوه المطالب؛ خذلته الحيل. والطامع في وثاق الذل. ومن أحبّ البقاء؛ فليعد للبلاء قلباً صبوراً.[٤]

---

١. كشف الغمّة للإربلي: ج٢ ص٣٤٨.

٢. كشف الغمّة للإربلي: ج٢ ص٣٤٨.

٣. كشف الغمّة للإربلي: ج٢ ص٣٤٨.

٤. كشف الغمّة للإربلي: ج٢ ص٣٤٨.

العلماء غرباء

وقال عليه السلام: العلماء غرباء؛ لكثرة الجهّال بينهم.[١]

دعائم التوبة

وقال عليه السلام: التوبة على أربعة دعائم: ندم بالقلب، واستغفار باللسان، وعمل بالجوارح، وعزم لا يعود.[٢]

عمل الأبرار

وقال عليه السلام: ثلاث من عمل الأبرار: إقامة الفرائض، واجتناب المحارم، واحتراس من الغفلة في الدين.[٣]

موجبات رضوان الله

وقال عليه السلام: ثلاث يبلغن بالعبد رضوان الله: كثرة الإستغفار، وخفض الجانب، وكثرة الصدقة.[٤]

الإيمان الكامل

وقال عليه السلام: أربع من كنّ فيه استكمل الإيمان: من أعطى لله، ومنع في الله، وأحبّ لله، وأبغض فيه.[٥]

---

١. كشف الغمّة للإربلي: ج٢ ص٣٤٩.
٢. كشف الغمّة للإربلي: ج٢ ص٣٤٩.
٣. كشف الغمّة للإربلي: ج٢ ص٣٤٩.
٤. كشف الغمّة للإربلي: ج٢ ص٣٤٩.
٥. كشف الغمّة للإربلي: ج٢ ص٣٤٩.

هكذا لا تندم

وقال عليه السلام: ثلاث من كنّ فيه لم يندم: ترك العجلة، والمشورة، والتوكّل عند العزم على الله عزّ وجلّ.[١]

موجبات المحبّة

وقال عليه السلام: ثلاث خصال تجتلب بهنّ المحبّة: الإنصاف في المعاشرة، والمواساة في الشدّة، والإنطواع[٢] والرجوع إلى قلب سليم.[٣]

الإنسان معيار

وقال عليه السلام: إنّ ابن آدم أشبه شيء بالمعيار، إمّا راجح بعلم، أو ناقص بجهل.[٤]

للمحن غايات

وقال عليه السلام: إنّ للمحن غايات لابدّ أن يُنتهى إليها؛ فيجب على العاقل أن ينام لها إلى إدبارها؛ فإنّ مكابدتها بالحيلة عند إقبالها زيادة فيها.[٥]

في قبال نعم الله

وقال عليه السلام: إنّ لله عباداً يخصّهم بالنعم، ويُقرّها فيهم ما بذلوها، فإذا منعوها

---

١. كشف الغمّة للإربلي: ج٢ ص٣٤٩.
٢. تطوّع: تكلّف الطاعة، وانقاد إليه. والمطواع: المطيع.
٣. كشف الغمّة للإربلي: ج٢ ص٣٤٩.
٤. كشف الغمّة للإربلي: ج٢ ص٣٤٦.
٥. كشف الغمّة للإربلي: ج٢ ص٣٤٦.

نزعها عنهم، وحوّلها إلى غيرهم.[١]

النعمة ومؤونة الناس

وقال عليه السلام: ما عظمت نعمة الله على عبد إلا عظمت عليه مؤونة الناس، فمن لم يحتمل تلك المؤونة فقد عرّض النعمة للزوال.[٢]

أهل المعروف والحاجة

وقال عليه السلام: أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه؛ لأنّ لهم أجره، وفخره، وذكره. فمهما اصطنع الرجل من معروف؛ فإنّما بدأ فيه بنفسه، فلا يطلبنّ شكر ما صنع إلى نفسه من غيره.[٣]

الفرصة خلسة

وقال عليه السلام: من أمل إنساناً؛ فقد هابه، ومن جهل شيئاً؛ عابه، والفرصة خلسة، ومن كثر همّه؛ سقم جسده، والمؤمن لا يشتفي غيظه، وعنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه، وعنوان صحيفة السعيد حسن الثناء عليه.[٤]

من استغنى بالله

وقال عليه السلام: من استغنى بالله؛ افتقر الناس إليه، ومن اتّقى الله؛ أحبّه الناس وإن

---

١. كشف الغمّة للإربلي: ج٢ ص٣٤٦.
٢. كشف الغمّة للإربلي: ج٢ ص٣٤٧.
٣. كشف الغمّة للإربلي: ج٢ ص٣٤٧.
٤. كشف الغمّة للإربلي: ج٢ ص٣٤٧.

كرهوا.[١]

عليكم بطلب العلم

وقال عليه السلام: عليكم بطلب العلم، فإنّ طلبه فريضة، والبحث عنه نافلة، وهو صلة بين الإخوان، ودليل على المروّة، وتحفة في المجالس، وصاحب في السفر، وأُنس في الغربة.[٢]

بئس الظهير

وقال عليه السلام: مقتل الرجل بين لحييه، والرأي مع الأناة، وبئس الظهير[٣] الرأي الفطير[٤].[٥]

العليلان

وقال عليه السلام: اثنان عليلان أبداً: صحيح محتم[٦]، وعليل مخلط[٧]. موت الإنسان بالذنوب أكثر من موته بالأجل، وحياته بالبرّ أكثر من حياته بالعمر.[٨]

---

١. كشف الغمّة للإربلي: ج٢ ص٣٤٧.
٢. كشف الغمّة للإربلي: ج٢ ص٣٤٧.
٣. الظهير: الظهر والمساندة.
٤. الفطير: غير الناضج.
٥. كشف الغمّة للإربلي: ج٢ ص٣٤٩.
٦. احتمى المريض: امتنع. ومنه اتّقاه.
٧. خلط المريض ـ باب التفعيل ـ: أكل ما يضرّه.
٨. كشف الغمّة للإربلي: ج٢ ص٣٥٠.

معرفتهم عليهم السلام

وقال عليه السلام لعسكر مولاه: يا عسكر! تشكّون؛ فننبـؤكم، وتـضعفون؛ فنقـوّيكم. والله، لا وصل إلى حقيقة معرفتنا إلا من منّ الله عليه، وارتضاه لنا وليّاً.[١]

النبوّة والإمامة

وقال عليه السلام لمعلى بن محمد: يا معلى، إنّ الله احتجّ في الإمامة بمثل ما احـتجّ به في النبوّة؛ فقال تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[٢].[٣]

توسّد الصبر

قال له عليه السلام رجل: أوصني.

قال عليه السلام: وتقبل!؟

قال: نعم.

قال عليه السلام: توسّد[٤] الصبر، واعتنق الفقر، وارفـض الـشهوات، وخـالف الهـوى، واعلم أنّك لن تخلو من عين الله، فانظر كيف تكون.[٥]

التبرّي والتولّي

وقال عليه السلام: أوحى الله إلى بعض الأنبياء: أمّا زهدك في الدنيا؛ فتعجلك الراحة،

---

١. مناقب آل أبي طالب للمازندراني: ج٤ ص٣٨٨.

٢. سورة مريم، الآية: ١٢.

٣. إعلام الورى للطبرسي: ص٣٤٩.

٤. وسد: اتّكأ عليه واعتمده.

٥. تُحف العقول للبحراني: ص٤٥٥.

وأمّا انقطاعك إليّ؛ فيُعزّزك بي، ولكن هل عاديت لي عدواً، وواليت لي وليّاً؟[١]

بين الصبر والجزع

وروي: إنّه حمل لهعليه السلام حمل بزّ[٢] له قيمة كثيرة فسُلّ[٣] في الطريق، فكتب إليه الذي حمله يُعرّفه الخبر؛ فوقّععليه السلام بخطّه:

إنّ أنفسنا وأموالنا من مواهب الله الهنيئة، وعواريه المستودعة، يُمتّع بما متّع منها في سرور وغبطة، ويأخذ ما أخذ منها في أجر وحسبة، فمن غلب جزعه على صبره؛ حبط أجره. ونعوذ بالله من ذلك.[٤]

الرضا بالعمل

وقالعليه السلام: من شهد أمراً فكرهه كان كمن غاب عنه، ومن غاب عن أمر فريضة كان كمن شهده.[٥]

من أحكام الإصغاء

وقالعليه السلام: من أصغى إلى ناطق فقد عبده؛ فإن كان الناطق عن الله؛ فقد عبد الله، وإن كان الناطق ينطق عن لسان ابليس؛ فقد عبد إبليس.[٦]

---

١. تُحف العقول للبحراني: ص٤٥٥.
٢. البزّ من الثياب: أمتعة التاجر، ومنه قدم بزّ من اليمن. والبزّة بالكسر مع الهاء: الأثواب، والسلاح.
٣. سل: سرقه خفية. والسال: السارق.
٤. تُحف العقول للبحراني: ص٤٥٦.
٥. تُحف العقول للبحراني: ص٤٥٦.
٦. تُحف العقول للبحراني: ص٤٥٦.

من تهوى؟

وكتب عليه السلام إلى بعض أوليائه: أمّا هذه الدنيا فإنّا فيها معترفون، ولكن من كان هواه هوى صاحبه، ودان بدينه؛ فهو معه حيث كان.

والآخرة هي دار القرار، فإذا كان ميلك وهواك إليّ، وتحبّني؛ كنت أنت معي حيث كنت أنا.[١]

تأخير التوبة

وقال عليه السلام: تأخير التوبة؛ اغترار، وطول التسويف؛ حيرة، والإعتلال على الله؛ هلكة، والإصرار على الذنب أمن لمكر الله. ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٢].[٣]

مما يفسد الشيء

وقال عليه السلام: اظهار الشيء قبل أن يستحكم مفسدة له.[٤]

ما يحتاجه المؤمن

وقال عليه السلام: المؤمن يحتاج إلى توفيق من الله، وواعظ من نفسه، وقبول ممّن ينصحه.[٥]

---

١. تُحف العقول للبحراني: ص٤٥٦.

٢. سورة الأعراف، الآية: ٩٩.

٣. تُحف العقول للبحراني: ص٤٥٦.

٤. تُحف العقول للبحراني: ص٤٥٧.

٥. تُحف العقول للبحراني: ص٤٥٧.

الفساد والصلاحه

وقالعليه السلام: فساد الأخلاق بمعاشرة السفهاء، وصلاح الأخلاق بمنافسة العقلاء.

والخلق أشكال، فكلٌ يعمل على شاكلته.

والناس أُخوان، فمن كانت أخوّته في غير ذات الله؛ فإنّها تحرز عداوة، وذلك قوله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[1].[2]

في رحيل زكريا بن آدم

روى الشيخ المفيد في الإختصاص، قال: حدّثنا جعفر بن محمد بن قولويه، عن الحسن بن بنان، عن محمد بن عيسى، عن أبيه، عن علي بن مهزيار، عن بعض القميّين، عن محمد بن إسحاق، والحسن بن محمد، قالا: خرجنا بعد وفاة زكريا بن آدم إلى الحجّ، فتلقّانا كتابهعليه السلام في بعض الطريق:

ذكرت ما جرى من قضاء الله في الرجل المتوفّي ـ زكريا بن آدم ـ رحمه الله يوم ولد، ويوم قُبض، ويوم يُبعث حيّاً؛ فقد عاش أيّام حياته عارفاً بالحقّ، قائلاً به، صابراً، محتسباً للحقّ، قائماً بما يُحبّ الله ورسولهصلى الله عليه وآله، ومضىرحمه الله غير ناكث، ولا مُبدّل؛ فجزاه الله أجر نيّته، وأعطاه جزاء سعيه.

وذكرت الرجل الموصى إليه، فلم أجد فيه رأينا، وعندنا من المعرفة به أكثر ممّا وصفت ـ يعني، الحسن بن محمد بن عمران ـ.[3]

---

١. سورة الزخرف، الآية: ٦٧.

٢. كشف الغمّة للإربلي: ج٢ ص٣٤٩.

٣. الإختصاص: ص٨٧، أحوال زكريا بن آدم.

غفر الله لك

روى الطوسي في الغيبة، قال: ومنهم عبد العزيز بن المهتدي القمّي الأشعري؛ خرج فيه عن أبي جعفر عليه السلام: قبضت والحمد لله، وقد عرفت الوجوه التي صارت إليك منها. غفر الله لك، ولهم الذنوب، ورحمنا وإيّاكم.

وخرج فيه: غفر الله لك ذنبك، ورحمنا وإيّاك، ورضي عنك برضائي عنك.[١]

حشرك الله معنا

روى الشيخ الطوسي في الغيبة، قال: أخبرني جماعة، عن التلعكبري، عن أحمد بن علي الرازي، عن الحسين بن علي، عن أبي الحسن البلخي، عن أحمد بن مابندار الإسكافي، عن العلاء النداري، عن الحسن بن شمون، قال: قرأت هذه الرسالة على علي بن مهزيار، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام بخطّه:

بسم الله الرحمن الرحيم.

يا علي، أحسن الله جزاك، وأسكنك جنّته، ومنعك من الخزي في الدنيا والآخرة، وحشرك الله معنا.

يا علي، قد بلوتك، وخبرتك في النصيحة، والطاعة والخدمة، والتوقير، والقيام بما يجب عليك؛ فلو قلت: إنّي لم أر مثلك؛ لرجوت أن أكون صادقاً. فجزاك الله جنّات الفردوس نُزُلاً. فما خفي عليّ مقامك، ولا خدمتك في الحرّ والبرد، في الليل والنهار. فأسأل الله إذا جمع الخلائق للقيامة أن يحبوك برحمة تغتبط بها. إنّه سميع الدعاء.[٢]

---

١. الغيبة: ص٣٤٩ رقم٣٠٥.

٢. الغيبة: ص٣٤٩ رقم ٣٠٦

قد وصل الحساب

روى الطوسي في إختيار معرفة الرجال، قال: علي بن محمد، قال: حدثني محمد بن أحمد، عن عمر بن علي بن عمر بن يزيد، عن إبراهيم بن محمد، قال:

وكتب عليه السلام إليّ: قد وصل الحساب؛ تقبّل الله منك، ورضى عنهم، وجعلهم معنا في الدنيا والآخرة. وقد بعثت إليك من الدنانير بكذا، ومن الكسوة بكذا؛ فبارك لك فيه، وفي جميع نعم الله إليك.

وقد كتبت إلى النضر؛ أمرته أن ينتهي عنك، وعن التعرّض لك وبخلافك، وأعلمته موضعك عندي، وكتبت إلى أيوّب؛ وأمرته بذلك أيضاً، وكتبت إلى مواليّ بهمدان كتاباً أمرتهم بطاعتك، والمصير إلى أمرك؛ وأن لا وكيل سواك.[1]

بعض احتجاجاته عليه السلام

روى الشيخ الطبرسي في الإحتجاج، قال: وروي: إنّ المأمون بعدما زوّج ابنته أُمّ الفضل أبا جعفر عليه السلام، كان في مجلس وعنده أبو جعفر عليه السلام، ويحيى بن أكثم، وجماعة كثيرة. فقال له يحيى بن أكثم: ما تقول يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله في الخبر الذي روي: إنّه نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: يا محمد صلى الله عليه وآله إنّ الله عزّ وجلّ يقرؤك السلام، ويقول لك: سل أبا بكر هل هو عنّي راض؟ فإنّي عنه راض؟

فقال عليه السلام:... يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع: قد كثرت عليّ الكذّابة، وستكثر بعدي، فمن

---

١. إختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٨٦٩ رقم١١٣٦

كذّب عليّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار؛ فإذا أتاكم الحديث عنّي، فاعرضوه على كتاب الله وسنّتي، فما وافق كتاب الله وسنّتي، فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنّتي، فلا تأخذوا به. وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[1]. فالله عزّ وجلّ خفي عليه رضاء أبي بكر من سخطه حتّى سأل عن مكنون سرّه؟! هذا مستحيل في العقول.

وقال يحيى أيضاً: وقد روي: إنّ مثل أبي بكر وعمر في الأرض كمثل جبرئيل وميكائيل في السماء.

فقال عليه السلام: وهذا أيضاً يجب أن ينظر فيه؛ لأنّ جبرئيل وميكائيل ملكان لله، مقرّبان لم يعصيا الله قطّ، ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة، وهما ـ أبو بكر، وعمر ـ قد أشركا بالله عزّ وجلّ وإن أسلما بعد الشرك، فكان أكثر أيّامهما الشرك بالله؛ فمحال أن يشبّههما بهما.

وقال يحيى أيضاً: وقد روي: إنّهما سيّدا كهول أهل الجنّة. فما تقول فيه؟

فقال عليه السلام: وهذا الخبر محال أيضاً؛ لأنّ أهل الجنّة كلّهم يكونون شباباً، ولا يكون فيهم كهل، وهذا الخبر وضعه بنو أُميّة لمضادة الخبر الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله في الحسن والحسين عليهما السلام: بأنّهما سيّدا شباب أهل الجنّة.

فقال يحيى: وروي: إنّ عمر بن الخطّاب سراج أهل الجنّة.

فقال عليه السلام: وهذا أيضاً محال؛ لأنّ في الجنّة ملائكة الله المقرّبين، وآدم عليه السلام، ومحمد صلى الله عليه وآله، وجميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام لا تضيء الجنّة بأنوارهم حتّى يضيء بنور عمر؟!

---

١. سورة ق، الآية: ١٦.

فقال يحيى: وقد روي: إنّ السكينة تنطق على لسان عمر.

فقال عليه السلام:... ولكن أبا بكر أفضل من عمر، فقال ـ على رأس المنبر ـ: إنّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا ملت؛ فسدّدوني.

فقال يحيى: قد روي: إنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: لو لم أُبعث لبُعث عمر.

فقال عليه السلام: كتاب الله أصدق من هذا الحديث، يقول الله في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾[1]، فقد أخذ الله ميثاق النبيين، فكيف يمكن أن يُبدّل ميثاقه؟! وكلّ الأنبياء عليهم السلام لم يُشركوا بالله طرفة عين، فكيف يبعث بالنبوّة من أشرك وكان أكثر أيامه مع الشرك بالله؟! وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: نُبّئت وآدم بين الأرواح والجسد.

فقال يحيى: وقد روي أيضاً: إنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: ما احتبس عنّي الوحي قطّ إلا ظننته قد نزل على آل الخطّاب.

فقال عليه السلام: وهذا محال أيضاً؛ لأنّه لا يجوز أن يشكّ النبي صلى الله عليه وآله في نبوّته، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾[2]، فكيف يمكن أن ينتقل النبوّة ممّن اصطفاه الله تعالى إلى من أشرك به؟!

قال يحيى: روي: إنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: لو نزل العذاب لما نجى منه إلا عمر.

فقال عليه السلام: وهذا محال أيضاً؛ لأنّ الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[3]، فأخبر سبحانه: إنّه لا يُعذّب أحداً ما دام فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وما داموا يستغفرون.[4]

---

١. سورة الأحزاب، الآية: ٧.

٢. سورة الحجّ، الآية: ٧٥.

٣. سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

٤. الإحتجاج: ج٢ ص٢٤٥.

أجل، وهكذا بمحضر المأمون قد أبطل الإمام الجواد عليه السلام بالأدلّة القاطعة، والبراهين الساطعة كلّ ما سأله به يحيى بن أكثم ممّا كان يعتقده من موضوعات، وافتراءات قد حاكت خيوطها أيادي الحسد، والجحود زاعمة نسبتها عن رسول الله صلى الله عليه وآله زوراً، وبهتاناً، فبهُت يحيى بن أكثم ولم يحر جواباً.

روايته عليه السلام في التفسير

روى الكليني في الكافي، قال: محمد بن أبي عبد الله، ومحمد بن الحسن، عن سهل بن زياد، ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، جميعاً عن الحسن بن العباس بن الحريش، عن أبي جعفر الثاني، الإمام الجواد عليه السلام، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام ـ الإمام الصادق عليه السلام ـ :

بينا أبي عليه السلام ـ الإمام الباقر عليه السلام ـ يطوف بالكعبة، إذا رجل معتجر[1] قد قُيّض له[2]، فقطع عليه أسبوعه حتّى أدخله إلى دار جنب الصفا، فأرسل إليّ فكنّا ثلاث، فقال ـ الرجل المعتجر ـ : مرحباً بابن رسول الله. ثمّ وضع يده على رأسي، وقال: بارك الله فيك يا أمين الله بعد آبائه. يا أبا جعفر، إنّ شئت فأخبرني، وإن شئت فأخبرتك، وإن شئت سلني، وإن شئت سألتك، وإن شئت فاصدقني، وإن شئت صدقتك؟

قال عليه السلام: كلّ ذلك أشاء.

قال: فإيّاك أن ينطق لسانك عند مسألتي بأمر تضمر لي غيره[3].

قال عليه السلام: إنّما يفعل ذلك مَن في قلبه علمان يُخالف أحدهما صاحبه، وإنّ

---

١. الإعتجار: التنقّب ببعض العمامة.
٢. قوله: عليه السلام «قُيّض له»: أي، جيء به من حيث لا يحتسب.
٣. أي، أخبرني بعلم يقيني لا يكون عندك احتمال خلافه.

اللهﷻ أبى أن يكون له علم فيه اختلاف.

قال: هذه مسألتي وقد فسّرت طرفاً منها. أخبرني عن هذا العلم الذي ليس فيه اختلاف؛ مَن يعلمه؟

قال عليه السلام: أمّا جملة العلم؛ فعند الله جلّ ذكره، وأمّا ما لابدّ للعباد منه؛ فعند الأوصياء.

قال ـ الإمام الصادق عليه السلام ـ: ففتح الرجل عجيرته، واستوى جالساً، وتهلّل وجهه، وقال: هذه أردت، ولها أتيت. زعمت: إنّ علم ما لا اختلاف فيه من العلم عند الأوصياء. فكيف يعلمونه؟

قال عليه السلام: كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعلمه، إلا أنّهم لا يرون ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يرى؛ لأنّه كان نبيّاً، وهم ـ الأوصياء ـ محدثون، وأنّه صلى الله عليه وآله كان يفد إلى اللهﷻ فيسمع الوحي، وهم لا يسمعون.

فقال: صدقت يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله. سآتيك بمسألة صعبة!

أخبرني عن هذا العلم؛ ما له لا يظهر كما كان يظهر مع رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال ـ الصادق عليه السلام ـ: فضحك أبي عليه السلام، وقال: أبى اللهﷻ أن يُطلع على علمه إلا مُمتحناً للإيمان كما قضى على رسول الله صلى الله عليه وآله أن يصبر على أذى قومه، ولا يُجاهدهم إلا بأمره. فكم من اكتتام قد اكتتم به حتّى قيل له: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[1].

وأيم الله، إنّه لو صدع قبل ذلك لكان آمناً، ولكنّه إنّما نظر في الطاعة، وخاف الخلاف؛ فلذاك كفّ، فوددت أن عينك تكون مع مهدي هذه الأمّة، والملائكة بسيوف آل داود بين السماء والأرض تُعذّب أرواح الكفرة من الأموات، وتُلحق

---

١. سورة الحجر، الآية: ٩٤.

بهم أرواح أشباههم في الأحياء.

ثمّ أخرج ـ الرجل المعتجر ـ سيفاً، ثمّ قال: ها إنّ هذا منها ـ أي، من سيوف آل داود ـ.

قال ـ الصادق عليه السلام ـ: فقال أبي عليه السلام: إي والذي اصطفى محمداً صلى الله عليه وآله على البشر.

قال ـ الصادق ـ: فردّ الرجل اعتجاره، وقال: أنا إلياس. ما سألتك عن أمرك وبي منه جهالة، غير أنّي أحببت أن يكون هذا الحديث قوّة لأصحابك، وسأُخبرك بآية أنت تعرفها، إن خاصموا بها؛ فلجوا[1].

قال ـ الصادق عليه السلام ـ: فقال له أبي عليه السلام: إن شئت أخبرتك بها؟

قال ـ إلياس ـ: قد شئت.

قال ـ الإمام الباقر عليه السلام ـ: إنّ شيعتنا إن قالوا لأهل الخلاف لنا: إنّ الله عزّ وجلّ يقول لرسوله صلى الله عليه وآله ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[2] ـ إلى آخرها ـ فهل كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعلم من العلم شيئاً لا يعلمه في تلك الليلة، أو يأتيه به جبرئيل عليه السلام في غيرها؟

فإنّهم سيقولون: لا. فقل لهم: فهل كان صلى الله عليه وآله لما علم بُدّ من أن يظهر؟

فيقولون: لا. فقل لهم: فهل كان فيما أظهر رسول الله صلى الله عليه وآله من علم الله عزّ ذكره اختلاف؟

فإن قالوا: لا. فقل لهم: فمَن حكم بحكم الله فيه اختلاف، فهل خالف رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فيقولون: نعم.

فإن قالوا: لا؛ فقد نقضوا أوّل كلامهم. فقل لهم: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ

---

١. أي، ظفروا.

٢. سورة القدر، الآية: ١.

﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[١].

فإن قالوا: مَن الراسخون في العلم؟ فقل: مَن لا يختلف في علمه.

فإن قالوا: فمَن هو ذاك؟ فقل: كان رسول الله ﷺ صاحب ذلك، فهل بلّغ أو لا؟

فإن قالوا: قد بلّغ. فقل: فهل مات ﷺ، والخليفة من بعده يعلم علماً ليس فيه اختلاف؟

فإن قالوا: لا. فقل: إنّ خليفة رسول الله ﷺ مؤيّد، ولا يستخلف رسول الله ﷺ إلا مَن يحكم بحكمه، وإلا من يكون مثله إلا النبوّة. وإن كان رسول الله ﷺ لم يستخلف في علمه أحداً؛ فقد ضيّع مَن في أصلاب الرجال ممّن يكون بعده.

فإن قالوا لك: فإنّ علم رسول الله ﷺ كان من القرآن؟ فقل: ﴿حم ۞ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۞ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۞ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۞ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾[٢].

فإن قالوا لك: لا يرسل الله ﷻ إلا إلى نبي. فقل: هذا الأمر الحكيم الذي يفرق فيه هو من الملائكة والروح التي تنزل من سماء إلى سماء، أو من سماء إلى أرض؟

فإن قالوا: من سماء إلى سماء. فليس في السماء أحد يرجع من طاعة إلى معصية.

فإن قالوا: من سماء إلى أرض ـ وأهل الأرض أحوج الخلق إلى ذلك ـ فقل:

---

١. سورة آل عمران، الآية: ٧.

٢. سورة الدخان، الآية: ١ـ٥.

فهل لهم بدّ من سيّد يتحاكمون إليه؟

فإن قالوا: فإنّ الخليفة هو حكمهم. فقل: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ـ إلى قوله: ـ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1].

لعمري، ما في الأرض، ولا في السماء وليّ لله عزّ ذكره إلا وهو مؤيّد، ومن أُيّد لم يخط، وما في الأرض عدوّ لله عزّ ذكره، إلا وهو مخذول، ومن خُذل لم يُصب، كما أنّ الأمر لابدّ من تنزيله من السماء يحكم به أهل الأرض، كذلك لابدّ من وال.

فإن قالوا: لا نعرف هذا. فقل لهم: قولوا ما أحببتم، أبى الله عزّ وجلّ بعد محمّد صلى الله عليه وآله أن يترك العباد ولا حجّة عليهم.

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: ثمّ وقف ـ إلياس ـ فقال: ههنا يا ابن رسول الله باب غامض؛ أرأيت إن قالوا: حجّة الله القرآن؟

قال عليه السلام: إذن أقول: إنّ القرآن ليس بناطق يأمر، وينهى؛ ولكنّ للقرآن أهل يأمرون، وينهون.

وأقول: قد عرضت لبعض أهل الأرض مصيبة ما هي في السنّة، والحكم الذي ليس فيه اختلاف، وليست في القرآن، أبى الله لعلمه بتلك الفتنة أن تظهر في الأرض، وليس في حكمه راد لها، ومفرّج عن أهلها!!

فقال ـ إلياس ـ: ههنا تفلحون يا ابن رسول الله، أشهد أنّ الله عزّ ذكره قد علم بما يُصيب الخلق من مصيبة في الأرض، أو في أنفسهم من الدين أو غيره؛ فوضع القرآن دليلاً.

قال ـ الصادق عليه السلام ـ: فقال الرجل ـ إلياس ـ: هل تدري يا ابن رسول الله

---

١. سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

دليل ما هو؟

قال أبو جعفرعليه السلام: نعم، فيه جمل الحدود، وتفسيرها عند الحكم. فقال عليه السلام: أبى الله أن يُصيب عبداً بمصيبة في دينه، أو في نفسه، أو في ماله، ليس في أرضه من حكمه قاض بالصواب في تلك المصيبة.

قال ـ الصادق عليه السلام ـ : فقال الرجل: أمّا في هذا فقد فلجتهم بحجّة إلا أن يفتري خصمكم على الله، فيقول: ليس لله جلّ ذكره حجّة. ولكن أخبرني عن تفسير: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾[1] ممّا خُصّ به علي عليه السلام، ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾؟

قال عليه السلام: في أبي فلان، وأصحابه. واحدة مقدّمة، وواحدة مؤخّرة؛ ﴿لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ ممّا خُصّ به علي عليه السلام، ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ من الفتنة التي عرضت لكم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال الرجل: أشهد أنّكم أصحاب الحكم الذي لا اختلاف فيه. ثمّ قام الرجل وذهب، فلم أره.[2]

قال العلامة محمد باقر المجلسي:

«الإعتجار» التنقّب ببعض العمامة، ويقال: قيّض الله فلاناً لفلان. أي، جاء به وأتاحه له.

«فقطع عليه أسبوعه» أي، طوافه. «فقال: مرحباً» أي، لقيت رحباً وسعة، وقيل: أي، رحبّ الله بك مرحباً. فجعل المرحب موضع الترحيب. وقيل: أتيت سعة.

«بارك الله فيك» أي، زاد الله في علمك، وكمالك...

---

١. سورة الحديد، الآية: ٢٣.

٢. أصول الكافي: ج١ ص٢٤٢ في شأن إنّا أنزلناه في ليلة القدر وتفسيرها، ح١.

«بأمر تضمر لي غيره» أي، لا تخبرني بشيء يكون في علمك شيء آخر يلزمك لأجله القول بخلاف ما أخبرت؛ كما في أكثر علوم أهل الضلال، فإنّه يلزمهم أشياء لا يقولون بها. أو المعنى: أخبرني بعلم يقيني لا يكون عندك احتمال خلافه. فقوله: «علمان» أي، احتمالان متناقضان، أو أراد به: لا تكتم عنّي شيئاً من الأسرار.

فقوله عليه السلام: «إنّما يفعل ذلك» أي، في غير مقام التقيّة، وقيل: إشارة إلى بطلان طريقة أهل الإجتهاد، فإنّهم يقولون: ظنّ المجتهد يفضي به إلى علم، وظنيّة الطريق لا ينافي علميّة الحكم؛ فيُضمرون في جميع أحكامهم الإجتهادية: إنّه إذا تعلّق ظنّهم بخلاف ما حكموا به رجعوا عن ذلك الحكم وحكموا بخلافه، وادّعوا العلم في كلتا الصورتين.

«ففتح الرجل عجيرته» أي، اعتجاره، أو طرف العمامة التي اعتجر به، والتهلل، والإضاءة، والتلألؤ بالسرور. «إنّ علم ما لا اختلاف فيه» مصدر مضاف إلى المفعول «من العلم». «من» إمّا للبيان. و«العلم» بمعنى المعلوم، أو ـ يعني، مفردة «من» ـ للتبعيض. أي، من جملة العلوم.

قوله عليه السلام: «كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعلمه» أي، بعض علومهم كذلك، وإلا فجلّ علومهم كان عن النبي صلى الله عليه وآله، أو يعلمون على هذا الوجه أيضاً وإن كانوا سمعوا من النبي صلى الله عليه وآله، ويقال: وفد إليه. أي، قدم وورد. «فضحك أبي» لعلّ ضحكه عليه السلام كان لهذا النوع من السؤال الذي ظاهره الإمتحان تجاهلاً مع علمه بأنّه عارف بحاله، أو لعدّه المسألة صعبة، وليست عنده كذلك.

وحاصل الجواب: إنّ ظهور هذا العلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله دائماً في محلّ المنع؛ فإنّه صلى الله عليه وآله كان في سنين من أوّل بعثته مكتتماً إلا عن أهله؛ لخوف عدم قبول الخلق منه عليه السلام حتّى أمر بإعلانه، وكذلك الأئمّة عليهم السلام يكتمون عمّن لا يقبل منهم

حتّى يؤمرون بإعلانه في زمن القائم عجل الله فرجه.

«اصدع بما تؤمر» أي، تكلّم به جهاراً، «وأعرض عن المشركين» ولا تلتفت إلى ما يقولون من الإستهزاء وغيره. «وأيم» مخفّف أيمن ـ جمع يمين ـ وهو مبتدأ محذوف الخبر. أي، أيمن الله يميني. «إنّما نظر في الطاعة» أي، طاعة الأُمّة، أو طاعته. «وخالف الخلاف» أي، مخالفة الأُمّة.

قوله عليه السلام: «تُعذّب أرواح الكفرة» قيل: إشارة إلى الذين أحياهم في الرجعة. «ثمّ أخرج ـ أي، إلياس عليه السلام ـ سيفاً، ثمّ قال: ها» وهو حرف تنبيه. أو بمعنى، خُذ. «إنّ هذا منها» أي، من تلك السيوف الشاهرة في زمانه عجل الله فرجه؛ لأنّ إلياس عليه السلام من أعوانه عجل الله فرجه.

ولعلّ ردّ الاعتجار؛ لأنّه مأمور بأن لا يراه أحد بعد المعرفة الظاهرة.

وقوله: «قوّة لأصحابك» أي، بعد أن تخبرهم به أنت وأولادك المعصومون عليهم السلام. «إن خاصموا بها» أي، أصحابك أهل الخلاف. «فلجوا» أي، ظفروا.

ثمّ اعلم أنّ حاصل هذا الإستدلال هو: إنّه قد ثبت أنّ الله سبحانه أنزل القرآن في ليلة القدر على نبيّه صلى الله عليه وآله وإنّه كان يُنزّل الملائكة والروح فيها من كلّ أمر ببيان وتأويل سنّة فسنّة، كما يدلّ عليه فعل المستقبل الدالّ على التجدّد الإستمراري.

فنقول: هل كان لرسول الله صلى الله عليه وآله طريق إلى العلم الذي تحتاج إليه الأمّة سوى ما يأتيه من السماء من عند الله سبحانه إمّا في ليلة القدر أو في غيرها، أم لا؟ والأوّل باطل؛ لقوله تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾[1]؛ فثبت الثاني.

ثمّ نقول: فهل يجوز أن لا يظهر هذا العلم الذي يحتاج إليه الأُمّة أم لابدّ من

---

١. سورة النجم، الآية: ٤.

ظهوره لهم؟

والأوّل باطل؛ لأنّه إنّما يُوحى إليه ليبلّغ إليهم، ويهديهم إلى الله عزّ وجلّ؛ فثبت الثاني.

ثمّ نقول: فهل لذلك العلم النازل من السماء من عند الله إلى الرسول صلى الله عليه وآله اختلاف بأن يحكم في زمان بحكم، ثمّ يحكم في ذلك الأمر بعينه في ذلك الزمان بعينه بحكم آخر، أم لا؟

والأوّل باطل؛ لأنّ الحكم إنّما هو من عند الله عزّ وجلّ، وهو متعال عن ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[1].

ثمّ نقول: فمن حكم بحكم فيه اختلاف كالإجتهادات المتناقضة، هل وافق رسول الله صلى الله عليه وآله في فعله ذلك، أم خالفه؟

والأوّل باطل؛ لأنّه صلى الله عليه وآله لم يكن في حكمه اختلاف؛ فثبت الثاني.

ثمّ نقول: فمن لم يكن في حكمه اختلاف، فهل له طريق إلى ذلك الحكم من غير جهة الله إمّا بغير واسطة، أو بواسطة ومن دون أن يعلم تأويل المتشابه الذي يقع بسببه الإختلاف، أم لا؟

والأوّل باطل؛ فثبت الثاني.

ثمّ نقول: فهل يعلم تأويل المتشابه إلا الله والراسخون في العلم الذين ليس في علمهم اختلاف، أم لا؟

والأوّل باطل؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[2].

ثمّ نقول: فرسول الله صلى الله عليه وآله الذي هو من الراسخين في العلم، هل مات صلى الله عليه وآله

---

١. سورة النساء، الآية: ٨٢.

٢. سورة آل عمران، الآية: ٧.

وذهب بعلمه ذلك، ولم يُبلّغ طريق علمه بالمتشابه إلى خليفته، أم بلّغه؟

والأوّل باطل؛ لأنّه لو فعل ذلك فقد ضيّع مَن في أصلاب الرجال ممّن يكن بعده؛ فثبت الثاني.

ثمّ نقول: فهل خليفته من بعده كسائر آحاد الناس، يجوز عليه الخطأ والإختلاف في العلم، أم هو مؤيّد من عند الله بحكم رسول الله ﷺ بأن يأتيه الملك فيُحدثّه من غير وحي ورؤية، أو ما يجري مجرى ذلك وهو مثله إلا في النبوّة؟

والأوّل باطل؛ لعدم إغنائه حينئذ؛ لأنّ من يجوز عليه الإختلاف لا يؤمن عليه الإختلاف في الحكم، ويلزم التضييع من ذلك أيضاً؛ فثبت الثاني.

فلابدّ من خليفة بعد رسول الله ﷺ راسخ في العلم، عالم بتأويل المتشابه، مؤيّد من عند الله، لا يجوز عليه الخطأ، ولا الإختلاف في العلم، يكون حجّةً على العباد، وهو المطلوب.

هذا إن جعلنا الكلّ دليلاً واحداً، ويحتمل أن يكون دلائل كما سنُشير إليه، ولعلّه أظهر.

قوله عليه السلام: «أو يأتيه» معطوف على «لا يعلمه» فينحسب عليه النفي، والمعنى: هل له علم من غير تينك الجهتين؟

كما عرفت «فقد نقضوا أوّل كلامهم» حيث قالوا: لا اختلاف فيما أظهر رسول الله ﷺ من علم الله؛ فهذا يقتضي أن لا يكون في علم من لا يخالفه من العلم أيضاً اختلاف، وبهذا يتمّ دليل على وجود الإمام؛ لأنّ من ليس في علمه اختلاف ليس إلا المعصوم المؤيَّد من عند الله تعالى.

قوله عليه السلام: «فقل لهم: ما يعلم تأويله» هذا إمّا دليل آخر سوى مناقضة كلامهم على أنهم خالفوا رسول الله ﷺ، أو على أصل المُدّعى؛ وهو إثبات الإمام.

قوله عليه السلام: «فقل: من لا يختلف في علمه» لعلّه استدلّ عليه على ذلك بمدلول لفظة الرسوخ، فإنّه بمعنى الثبوت، والمتزلزل في علمه المنتقل عنه إلى غيره ليس بثابت فيه.

قوله عليه السلام: «فإن قالوا لك: إنّ علم رسول الله صلى الله عليه وآله كان من القرآن» لعلّ هذا إيراد على الحجّة. وتقريره: إنّ علم رسول الله صلى الله عليه وآله لعلّه كان من القرآن فقط، وليس ممّا يتجدّد في ليلة القدر شيء؟ فأجاب عليه السلام: بأنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[1]. فهذه الآية تدلّ على تجدّد الفرق، والإرسال في تلك الليلة المباركة بإنزال الملائكة والروح فيها من السماء إلى الأرض دائماً، ولابدّ من وجود من يُرسَل الأمر إليه دائماً.

ثمّ قوله عليه السلام: «فإن قالوا لك» سؤال آخر تقريره: إنّه يلزم ممّا ذكرتم جواز إرسال الملائكة إلى غير النبي، مع أنّه لا يجوز ذلك؟ فأجاب عليه السلام عنه بمدلول الآية التي لا مردّ لها.

وقوله: «وأهل الأرض» جملة حالية. قوله: «فهل لهم بدّ» لعلّه مؤيّد للدليل السابق بأنّه كما أنّه لابدّ من مؤيّد ينزل إليه في ليلة القدر، فكذلك لابدّ من سيّد يتحاكم العباد إليه، فإنّ العقل يحكم بأنّ الفساد، والنزاع بين الخلق لا يرتفع إلا به؛ فهذا مؤيّد لنزول الملائكة والروح على رجل؛ ليعلم ما يُفصل به بين العباد. ويحتمل أن يكون استيناف دليل آخر على وجود الإمام.

«فإن قالوا: فإنّ الخليفة الذي في كلّ عصر هو حكمهم» ـ بالتحريك ـ. «فقل»: إذا لم يكن الخليفة مؤيّداً، معصوماً، محفوظاً من الخطأ فكيف يُخرجه الله، ويُخرج به عباده من الظلمات إلى النور، وقد قال سبحانه: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ

---

١. سورة الدخان، الآية: ٤.

آمَنُوا...﴾[١]؟!

والحاصل: إنّ من لم يكن عالماً بجميع الأحكام، وكان ممّن يجوز عليه الخطأ؛ فهو أيضاً مُحتاج إلى خليفة آخر لرفع جهله، والنزاع الناشئ بينه وبين غيره. ويمكن أن يكون الإستدلال بالآية من جهة أنّه تعالى نسب إخراج المؤمنين من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم إلى نفسه سبحانه، فلابدّ من أن يكون من يهديهم منصوباً من قبل الله تعالى، مؤيّداً من عنده. والمنصوب من قبل الناس طاغوت يُخرجهم من النور إلى الظلمات.

«لعمري» ـ بالفتح ـ: قسم بالحياة. «إلا وهو مؤيّد» لقوله: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[٢]. ولمّا قلنا: من أنّه لو لم يكن كذلك لكان محتاجاً إلى إمام آخر. «كذلك لابدّ من وال» أي، ممّن يلي الأمر ويتلقّاه من الملائكة والروح، ويدُلّ الناس على الأمر الحكيم.

«فإن قالوا: لا نعرف هذا» أي، الوالي، أو الإستدلال المذكور، ونفي معرفتهم إيّاه، نظير قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾[٣].

و«قولوا ما أحببتم» نظير قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾[٤]، وقوله: ﴿وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾[٥]. وهذا الكلام متعارف بعد مكابرة الخصم.

«قال أبو عبد الله عليه السلام: ثمّ وقف» أي، ترك أبي الكلام. «فقال»: أي، إلياس، وقيل: ضمير وقف أيضاً لإلياس. أي، قام تعظيماً. والأوّل أظهر.

---

١. سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

٢. سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

٣. سورة هود، الآية: ٩١.

٤. سورة فصّلت، الآية: ٤٠.

٥. سورة المرسلات، الآية: ٤٦.

«باب غامض» أي، شبهة مشكلة استشكلها المخالفون؛ لقول عمر عند إرادة النبي صلى الله عليه وآله الوصيّة: (حسبنا كتاب الله). وقيل: الغامض. معنى السائر المشهور من قولهم: غمض في الأرض. إذا ذهب وسار.

«إنّ القرآن ليس بناطق» أي، ليس القرآن بحيث يفهم منه الأحكام كلّ مَن نظر فيه؛ فإنّ كثيراً من الأحكام ليست في ظاهر القرآن، وما فيه أيضاً تختلف فيه الأُمّة، وكلّ منهم يستدلّ بالقرآن على مذهبه؛ فظهر أنّ القرآن إنّما يفهمه الإمام، وهو دليل له على معرفة الأحكام. والمراد: إنّ القرآن لا يكفي بسياسة الأُمّة وإن سلم إنّهم يفهمون معانيه؛ بل لابدّ من آمر، وناه، وزاجر يدعوهم إلى العمل بالقرآن، ويحملهم عليه، ويكون هو معصوماً عاملاً بجميع ما أُمر به فيه، منزجراً عن كلّ ما نُهى عنه فيه.

فقوله عليه السلام: «وأقول: قد عرضت» مُشيراً إلى ما ذكرنا أوّلاً؛ دليل آخر. «والحكم الذي ليس فيه اختلاف» أي، الضروريات، أو السنّة المتواترة، أو ما أجمعت عليه الأُمّة.

«وليست في القرآن» أي، في ظاهر القرآن، وما يفهمه منه علماء الأُمّة، إذ جميع الأحكام في القرآن، ولكن لا يمكن استنباطه إلا للإمام.

«أن تظهر» أي، الفتنة، وهو مفعول «أبى». وقوله: «وليس في حكمه» جملة حالية، والضمير في حكمه راجع إلى الله.

«في الأرض» أي، في غير أنفسهم كالمال، «أو في أنفسهم». كالدين أو القصاص، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا

آتَاكُمْ﴾[١].

قال البيضاوي[٢]: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ كجدب، وعاهة ﴿وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ كمرض، وآفة ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ أي، إلا مكتوبة في اللوح، مثبتة في علم الله ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ أي، نخلقها، والضمير للمصيبة، أو للأرض، أو للأنفس ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي، إنّ ثبته في كتاب ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ لإستغنائه فيه عن العدّة، والمدّة ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ أُثبت، وكُتب؛ لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ بما أعطاكم الله منها، فإنّ مَن عَلِم أنّ الكلّ مقدّر؛ هان عليه الأمر.

ولعلّ حاصل كلامهعليه السلام: إنّه كثيراً ما يعرض للناس شبهة في أمر من أمور الدين ممّا يتعلّق بأنفسهم، وأموالهم، وليس في ظاهر الكتاب والسنّة ما يُزيل تلك الشبهة. وهذه مصيبة عرضت لهم، ولابدّ أن تكون تلك المصيبة في علمه سبحانه قبل وقوعها؛ لأنّ المصيبة الواقعة في الآية نكرة في سياق النفي يُفيد العموم، والمصيبة أعمّ من أن تكون في أمور الدين أو الدنيا، فلا يختصّ بالبلايا والأمراض والآفات، بل يعمّ المصائب الدينية وما أشكل عليهم من الأحكام.

وإليه أشارعليه السلام بقوله: «من الدين، أو غيره» وإذا ثبت علمه تعالى بعروض تلك الشبهة لهم فلابدّ من حكمته ولطفه أن يرفع تلك الشبهة عنهم، إمّا بصريح الكتاب والسنّة، أو بإمام يزيح علّتهم، ويكون عالماً بحكم جميع ما يعرض لهم. والأوّلان مفقودان؛ فتعيّن الثالث.

«فوضع القرآن دليلاً» أي، للإمام. فإنّه يمكنه أن يستنبط منه تفاصيل الأحكام، أو لسائر الخلق إلى جمل الأحكام، ولابدّ في علمهم بتفاصيلها من الرجوع إلى

---

١. سورة الحديد، الآية: ٢٢ـ٢٣.

٢. راجع تفسير البيضاوي: ج١ ص٣٠٣، مورد تفسير سورة الحديد، الآية: ٢٢ـ٢٣.

الإمام. ويمكن أن يكون عليه السلام فسّر الكتاب في الآية بالقرآن، وأفاد أنّه لا يعلم ذلك من القرآن إلا الإمام، فثبت الإحتياج إليه؛ والأوّل أظهر.

وقوله عليه السلام: «من حَكَم» بالتحريك، وفي أكثر النسخ «من حكمه» فربّما يقرء بالفتح اسم موصول، فحكمه مبتدأ، وقاض خبره، والجملة صلة للموصول، والمجموع اسم ليس، ونسبة القضاة إلى الحكم على المبالغة نحو: جدّ جدّه، أو بالكسر؛ فيكون صلة للخروج الذي يتضمّنه معنى القضاء في قاض. أي، قاض خارج من حكمه بالصواب. والمراد بالحجّة: إمّا إتمام الحجّة؛ فالإستثناء منقطع، أو إلزام المخالفين وإسكاتهم؛ فالإستثناء متّصل.

«إلا أن يفتري خصمكم على الله» أي، يُكابر ويُعاند بعد إتمام الحجّة، «ويقول: ليس لله جلّ ذكره حجّة» أي، إمام. ليعيد مدّعاه بعد إتمام الحجّة على نقيضه، أو ينكر وجوب اللطف على الله، واشتراط التكليف بالعلم.

قوله: «ممّا خصّ علي عليه السلام به»: هذا كلام أبي جعفر عليه السلام؛ ففي الكلام حذف. يعني، قال: ممّا خصّ علي عليه السلام به؛ يعني، الخلافة والإمامة. وكأنّه سقط من النسّاخ. ويحتمل أن يكون من كلام إلياس عليه السلام.

قوله: «قال في أبي فلان وأصحابه» أقول: هذا الكلام يحتمل وجوهاً من التأويل:

الأوّل: ما خطر ببالي القاصر؛ وهو أنّ الآية نزلت في أبي بكر وأصحابه. يعني، عمر وعثمان. فقوله: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾. أي، لا تحزنوا على ما لكم من النصّ، والتعيين للخلافة والإمامة، وخصّ به علي عليه السلام به؛ حيث نصّ الرسول صلى الله عليه وآله بالخلافة عليه، وحرمكم عنها. ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ من الخلافة الظاهريّة بعد الرسول صلى الله عليه وآله. أي، خلاكم وإرادتكم، ولم يُجبركم على تركها، ومكّنكم من غصبها من مستحقها.

«واحدة مقدّمة» أي، قوله: ﴿لَا تَأْسَوْا﴾ إشارة إلى قضيّة مقدّمة؛ وهي النصّ بالخلافة في حياة الرسولﷺ، «وواحدة مؤخّرة» أي، قوله: ﴿وَلَا تَفْرَحُوا﴾ إشارة إلى واقعة مؤخّرة؛ وهي غصب الخلافة بعد الرسولﷺ. ولا يخفى شدّة انطباق هذا التأويل على الآية، فإنّه يصير حاصلها هكذا:

ما تحدث مصيبة وقضيّة في الأرض، وفي أنفسكم إلا وقد كتبناها، والحكم المتعلّق بها في كتاب قبل أن تُخلق المصيبة، أو الأنفس؛ لكيلا تأسوا على ما فاتكم من الخلافة ـ بالنصّ من النبيﷺ ـ وتعلموا أنّ الخلافة لا يستحقّها إلا من تنزّل عليه الملائكة، والروح بالوقائع والأحكام المكتوبة في ذلك الكتاب. ولا تفرحوا بما تيسّر لكم من الخلافة، وتعلموا أنّكم لا تستحقّونه، وأنّه غصب؛ وسيصيبكم وباله؛ فظهر أنّ ما ذكره الإمام الباقر عليه السلام قبل ذلك السؤال أيضاً كان إشارة إلى تأويل صدر تلك الآية، فلذا سأل إلياس عليه السلام عن تتمّة الآية.

ويحتمل وجهاً آخر مع قطع النظر عمّا أشار إليه أوّلاً بأنّا قدّرنا المصائب الواردة على الأنفس قبل خلقها، وقدّرنا الثواب على مَن وقعت عليه، والعقاب على من تسبّب لها؛ ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾، وتعلموا أنّها لم تكن مُقدّرة لكم؛ فلذا لم يعطكم الرسولﷺ ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ للعقاب المترتّب عليه.

الثاني: ما أفاده والدي العلامة؛ وهو: إنّ السؤال عن هذه الآية لبيان أنّه لا يعلم علم القرآن غير الحكم، إذ كل من يسمع تلك الآية يتبادر إلى ذهنه أن الخطابين لواحد، لاجتماعهما في محل واحد، والحال أن الخطاب في قوله: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ لعلي عليه السلام ما فاته من الخلافة، وفي قوله: ﴿وَلَا تَفْرَحُوا﴾ لأبي بكر وأصحابه لما غصبوا الخلافة. فقوله: «واحدة مقدّمة، وواحدة مؤخّرة» لبيان اتّصالهما وانتظامهما في آية واحدة، فلذا قال الرجل: أشهد أنّكم أصحاب الحكم الذي لا اختلاف فيه؛ حيث تعلمون بطون الآيات، وتأويلاتها، وأسرارها،

وموارد نزولها.

الثالث: ما ذكره الفاضل الإسترابادي، حيث قال: ﴿لَا تَأْسَوْا﴾ خطاب مع أهل البيت عليهم السلام؛ ولا تحزنوا على مصيبتكم للذي فات عنكم، ﴿وَلَا تَفْرَحُوا﴾ خطاب مع المخالفين؛ أي، لا تفرحوا بالخلافة التي أعطاكم الله إياها بسبب سوء اختياركم. وإحدى الآيتين مقدّمة، والأُخرى مؤخّرة، فاجتمعتا في مكان واحد في تأليف عثمان.

الرابع: ما قيل: إنّ قوله: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ خطاب للشيعة، حيث فاتهم خلافة علي عليه السلام. ﴿وَلَا تَفْرَحُوا﴾ خطاب لمخالفيهم، حيث أصابتهم الخلافة المغصوبة. وإحدى القضيتين مقدّمة على الأُخرى.

الخامس: ما ذكره بعض الأفاضل حيث قال: (مِن) في «ممّا» للتبعيض، والظرف حال تفسير، و«ما» عبارة عن التفسير الذي خصّ رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام به. ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ بتقدير. وعن تفسير ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ والمقصود: السؤال عن تفسيرهما الذي خصّ رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام به «قال: في أبي فلان» أي، في أبي بكر. وهذا تفسير الكلمة الثانية، وهي: ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ قدّمه للإهتمام به، وهو مبني على أنّ المخاطبين بالثانية غير المخاطبين بالأولى، نظير ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾[1]، وعلى أنّ أهل دولة الباطل إن علموا أنّ أهل الحقّ لا يأسون على ما فاتهم لعلمهم بكلّ مصيبة قبل وقوعه، وكرامتهم عند الله؛ تكدّرت عليهم دولتهم وما آتاهم، وكثرت آلامهم في أنفسهم. وتأنيث «واحدة» باعتبار الكلمة، أو الفقرة، «مقدمة» ـ بشدّ المهملة المكسورة ـ: وصف الأولى بأنّها لإعزاز المخالفين بها. «مؤخرة» ـ بشدّ المعجمة المكسورة ـ: وصف للثانية

١. سورة يوسف، الآية: ٢٩.

بأنّها لإذلال المخاطبين فيها. ﴿لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ مبتدأ خبره ممّا خصّ به علي عليه السلام، والجملة استيناف بياني، والمراد: إنّه ممّا نزل في علي عليه السلام، وأوصيائه عليهم السلام. وهذا تفسير للكلمة الأولى، وتغيير الأسلوب في ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ من الفتنة إلى آخره؛ لأنّ كونها ممّا خصّ به أبو بكر، وأصحابه معلوم ممّا مرّ، ولا يحسن إعادته.

فـ(مِن) في قوله: «من الفتنة» لبيان ﴿مَا آتَاكُمْ﴾، والمُراد بـ: «الفتنة» الإمتحان بدولة الدنيا كما في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾[1].

ولا يخفى بعد تلك الوجوه ظهور ما ذكرناه أوّلاً على المتدبّر. إنتهى كلام العلامة المجلسي في شرح مفردات الحديث.[2]

ذكر الشيخ المفيد: وخلف بعده من الولد علياً ابنه الإمام عليه السلام من بعده، وموسى، وفاطمة وأُمامة ابنتيه، ولم يُخلّف ذكراً غير مَن سمّيناه.[3]

وأبو جعفر الطبري ذكر ولد أبي جعفر محمد بن علي بن موسى عليهم السلام، قال: أبو الحسن علي بن محمد العسكري، الأمام عليه السلام، وموسى. ومن البنات: خديجة، وحكيمة، وأُمّ كلثوم.[4]

والفخر الرازي، قال: وأمّا أبو جعفر التقي عليه السلام، فله من الأبناء ثلاثة: أبو الحسن علي النقي، الإمام عليه السلام، وموسى، ويحيى. وله من البنات خمسه: فاطمة، وبهجت ـ صاحب الرواية ـ وبريهة، وحكيمة، وخديجة. لاعقب للبنات، ولا

---

١. سورة الأنفال، الآية: ٢٥.
٢. مرآة العقول: ج٣ ص٦١ـ٧٤.
٣. الإرشاد: ج٢ ص٢٩٥.
٤. دلائل الإمامة: ص٣٩٧.

ليحيى.[١]

وابن أبي الثلج البغدادي، قال: ولد لمحمد بن علي عليهما السلام: علي بن محمد العسكري، وموسى، وأُمّ كلثوم.[٢]

والطبرسي، قال: وكان لأبي جعفر عليه السلام من الأولاد: علي الإمام عليه السلام، وموسى، ولم يُخلّف ذكراً غيرهما. ومن البنات: حكيمة، وخديجة، وأُمّ كلثوم. ويقال: إنّ له من البنات غير مَن ذكرناه؛ فاطمة، وأُمامة.[٣]

وابن الصبّاغ، قال: وخلف ـ أبو جعفر الثاني عليه السلام ـ من الولد: علياً الإمام عليه السلام، وموسى، وفاطمة، وأُمامة. ابنين، وابنتين.[٤]

إلى غير ذلك من الأقوال المتباينة في حصر أولاد الإمام الجواد عليه السلام.

وموسى المبرقع: هو جدّ السادة الرضويّة، ونسله باق إلى هذا اليوم، وهو أوّل سيّد رضوي دخل مدينة قمّ المقدّسة عام٢٥٦هـ وكان يضع برقعاً على وجهه؛ فلذا لُقّب بـ«المبرقع» وتوفّي في يوم الأربعاء آخر شهر ربيع الثاني عام٢٩٦هـ ودُفن حيث مزاره الآن في قمّ المقدّسة.

أمّا حكيمة عليها السلام: فكانت تمتاز عن سائر بنات الإمام الجواد عليه السلام بالفضائل، والمناقب الكثيرة، وكثرة العبادة، وشدّة التقوى، ولقد أدركت أربعة من الأئمّة، وأودعها الإمام الهادي عليه السلام السيّدة نرجس والدة المهدي المنتظر عجل الله فرجه لكي تُعلّمها معالم الدين، وأحكام الشرع، وتُربيها بالآداب الإلهيّة. وكان لها منصب السفارة بعد استشهاد الإمام العسكري عليه السلام من قبل صاحب الزمان عجل الله فرجه حيث كانت تدفع

---

١. الشجرة المباركة: ص ٧٨.

٢. تاريخ الأئمّة عليهم السلام، ضمن المجموعة النفيسة: ص٢١.

٣. تاج المواليد، ضمن المجموعة النفيسة: ص١٣٠.

٤. الفصول المهمّة: ص ٢٧٦.

عرائض، وكتب الناس إلى الإمام عليه السلام، وتقبض توقيعاته الشريفة، وتوصلها إليهم. وكانت حاضرة في وقت ولادة صاحب الزمان عجل الله فرجه على ما سيأتي في أحواله الشريفة. وهي مدفونة في قبة العسكريين عليهما السلام في سامراء.

قال ابن شهر آشوب: كان بابه عثمان بن سعيد السمّان.

ومن ثقاته: أيوب بن نوح بن درّاج الكوفي، وجعفر بن محمد بن يونس الأحول، والحسين بن مسلم بن الحسن، والمختار بن زياد العبدي البصري، ومحمد بن الحسين بن أبي الخطّاب الكوفي.

ومن أصحابه عليه السلام: شاذان بن الخليل النيسابوري، ونوح بن شعيب البغدادي، ومحمد بن أحمد المحمودي، وأبو يحيى الجرجاني، وأبو القاسم إدريس القمي، وعلي بن محمد بن هارون بن الحسن بن محبوب، وإسحاق بن إسماعيل النيسابوري، وأبو حامد أحمد بن إبراهيم المراغي، وأبو علي بن بلال، وعبد الله بن محمد الحضيني، ومحمد بن الحسن بن شمون البصري.[1]

روى ابن حمزة الطوسي في الثاقب في المناقب، قال: عن محمد بن القاسم، عن أبيه ـ وروى أيضاً غيره ـ قال: لمّا خرج ـ الإمام الجواد عليه السلام ـ من المدينة في المرّة الأخيرة، قال: ما أطيبك يا طيبة، فلست بعائد إليك.[2]

وعن الخرائج والجرائح للقطب الراوندي قوله: روي عن أبي مسافر، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام، إنّه قال في العشيّة التي توفّي فيها: إنّي ميّت الليلة. ثمّ قال: نحن معشر إذا لم يرض الله لأحدنا الدنيا؛ نقلنا إليه.[3]

---

١. مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٣٨٠.

٢. الثاقب في المناقب: ص٥١٦ رقم٤٤٤.

٣. الخرائج والجرائح: ج٢ ص٧٧٣ رقم٩٤.

وقال أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني: قُبض عليه السلام سنة عشرين ومئتين في آخر ذي القعدة، وهو ابن خمس وعشرين سنة وشهرين وثمانية عشر يوماً. ودُفن ببغداد في مقابر قريش عند قبر جدّه موسى عليه السلام.[1]

كما وقع الخلاف في وفاة أبي جعفر الثاني عليه السلام، لكن الأشهر أنّ زوجته أُمّ الفضل، زينب بنت المأمون هي التي سمّته في عنب قدّمته له، فأكل منه، وعلى إثره كانت شهادته عليه السلام في آخر ذي القعدة من سنة «٢٢٠هـ» وهو المشهور لتاريخ وفاته عليه السلام، وعليه أكثر من ترجم للإمام عليه السلام.

وفيما يلي نستعرض طائفة من أقوال العلماء والمؤرّخين في شأن وفاة الإمام الجواد عليه السلام، وكيفيتها.

قال ابن عيّاش، محمد بن مسعود بن عيّاش السلمي، السمرقندي، المعروف بـ«العيّاشي»:... قال زرقان: إنّ ابن أبي داود، قال: صرت إلى المعتصم بعد ثالثة ـ أي، بعد الحادثة التي بسببها مال المعتصم العبّاسي إلى فتوى الإمام الجواد عليه السلام دون فتوى فقهاء القصر في موضع قطع يد السارق المعترف ـ فقلت: إنّ نصيحة أميرالمؤمنين علي واجبة، وأنا أُكلّمه بما أعلم أنّي أدخل به النار.

قال: وما هو!؟

قلت: إذا جمع أميرالمؤمنين في مجلسه فقهاء رعيته، وعلماءهم لأمر واقع من أمور الدين فسألهم عن الحكم فيه فأخبروه بما عندهم من الحكم في ذلك وقد حضر مجلسه أهل بيته، وقواده، ووزراؤه، وكتّابه، وقد تسامع الناس بذلك من وراء بابه، ثمّ يترك أقاويلهم كلّهم لقول رجل يقول شطر هذه الأُمّة بإمامته، ويدّعون: إنّه أولى منه بمقامه. ثمّ يحكم دون حكم الفقهاء؟!

---

١. الكافي: ج١ ص٤٩٢، باب مولد أبي جعفر، محمد بن علي الثاني عليهما السلام.

قال: فتغيّر لونه ـ أي، المعتصم ـ وانتبه لما نبّهته لـه، وقـال: جـزاك الله عـن نصيحتك خيراً.

قال: فأمر يوم الرابع فلاناً من كتّاب وزرائه بأن يدعوه ـ أي، الإمام الجوادعليه السلام ـ إلى منزله.

فدعاه؛ فأبىعليه السلام أن يجيبه، وقال: قد علمت أنّي لا أحضر مجالسكم.

فقال: إنّي أنّما أدعوك إلى الطعام، وأُحـبّ أن تطـأ ثيـابي، وتـدخل منزلـي، فأتبرّك بذلك، فقد أحبّ فلان ابن فلان من وزراء الخليفة لقاءك.

فصارعليه السلام إليه، فلمّا طعم منه؛ أحسّ السمّ، فدعا بدابّته، فسأله ربّ المنزل أن يُقيم.

قالعليه السلام: خروجي من دارك خير لك.

فلم يزل يومه ذلك وليله في خلفه حتّى قُبضعليه السلام.[١]

وقال الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان: وإنّهعليه السلام قُبض ببغداد، وكان سبب وروده إليها إشخاص المعتصم له من المدينة، فورد بغداد لليلتين بقيتا من المحرّم من سنة عشرين ومئتين، وتوفّي بها فـي ذي القعـدة مـن هـذه الـسنة ـ وكان مدّة بقائه في بغداد عشرة شهراً ـ وقيل: إنّه مضى مسموماً.[٢]

وقال الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن: وقُبض ببغداد في آخـر ذي القعـدة سنة عشرين ومئتين، وله يومئذ خمس وعشرون سنة، وأُمّه: أُمّ ولـد يُقـال لهـا: «الخيزران» وكانت من أهل بيت ماريّة القبطيّة.[٣]

---

١. تفسير العيّاشي: ج١ ص٣١٩ رقم١٠٩، مورد تفسير سورة المائدة، الآية: ٣٨.

٢. الإرشاد: ج٢ ص٢٩٥، باب ذكر وفاة أبي جعفرعليه السلام.

٣. تهذيب الأحكام: ج٦ ص٩٠، باب نسب أبي جعفر، محمد بن علي بن موسىعليهم السلام.

وقال الحافظ ابن شهرآشوب، أبو عبد الله محمد بن علي المازندراني: ولمّا بويع المعتصم جعل يتفقّد أحواله ـ أي، الإمام الجواد عليه السلام ـ فكتب إلى عبد الملك الزيّات أن يُنفذ إليه التقي، وأُمّ الفضل. فأنفذ ابن الزيّات علي بن يقطين إليه، فتجهّز، وخرج إلى بغداد، فأكرمه، وعظّمه، وأنفذ أشناس بالتحف إليه وإلى أُمّ الفضل، ثمّ أنفذ إليه شراب حمّاض الإترج تحت ختمه على يدي أشناس، وقال: إنّ أميرالمؤمنين ذاقه قبل أحمد بن أبي داود، وسعد بن الخصيب، وجماعة من المعروفين، ويأمرك أن تشرب منها بماء الثلج. وصُنع في الحال، فقال: إشربها بالليل، قال: إنّها ينفع بارداً وقد ذاب الثلج. وأصر على ذلك؛ فشربها عليه السلام عالما؛ بفعلهم.[1]

وحاصله: إنّ المأمون العباسي وبعدما أعجزه إسدال الستار عن بشاعة جريمته بقتل الإمام الرضا عليه السلام جنح لاستدعاء الإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد كمحاولة منه لاستمالة قلوب الشيعة في رفع تهمة قتل الإمام الرضا عليه السلام عن نفسه، مشدّداً على الإمام عليه السلام في الوقت ذاته على اصطحاب زوجته أُمّ الفضل بنت المأمون رغم مُخالفة العباسيون له في ذلك أيضاً.

فمكث الإمام الجواد عليه السلام ببغداد مدّة حتّى سنحت الفرصة أيام الحجّ فخرج عليه السلام عنها متوجّها إلى بيت الله الحرام، فحج ومن هناك عاد الى مدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وبقي هناك حتّى مات المأمون، وخلف من بعده أخوه المعتصم العباسي، وكان ذلك في السابع عشر من رجب عام ٢١٨هـ.

فلمّا استوى المعتصم على الملك، وسمع بفضائل الإمام الجواد عليه السلام، ومناقبه، وغزير علمه، وشدّة محبّة الناس له؛ صمّم على حسم أمر آل النبي عليهم السلام؛ بأن لا

---

١. مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٣٨٤.

يترك لهم عليه السلام باقية من وجود بين الناس؛ فعمد للحيلة في ذلك من خلال استدعاه للإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد، ومن ثمّ الإجهاز عليه عن قرب.

وقبل أن يتوجّه الإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد ـ بناءً على أمر الطاغية المعتصم ـ عمد عليه السلام إلى أن أوصى لابنه الإمام الهادي عليه السلام من بعده، وقد أشهد عليه السلام كبار الشيعة، وثقاة الأصحاب على تسليمه عليه السلام ودائع الإمامة، والخلافة لولده الإمام الهادي عليه السلام، ثمّ ودّع أهله، وولده تاركاً حرم جدّه صلى الله عليه وآله متوجّهاً إلى بغداد حتّى دخلها يوم الثامن والعشرين من محرّم الحرام عام «٢٠٢هـ».

ولم يلبث الإمام الجواد عليه السلام في بغداد طويلاً حتّى أمر المعتصم زوجة الإمام عليه السلام، أمّ الفضل بنت المأمون بدسّ السمّ إلى الإمام عليه السلام خصوصاً وقد علم بانحرافها عن الإمام عليه السلام تحت هاجس الغيرة التي أجّج نيرانها في نفسها إيثاره عليه السلام لأُمّ الإمام علي الهادي عليه السلام، وفائق رعايته عليه السلام لها دونها؛ فاستجابت لأمر عمّها المعتصم بأن جعلت السمّ في عنب رازقي، ووضعته بين يديه، فلمّا طُعم عليه السلام منه أحسّ بالسمّ يجري في عروق جسده الشريف حتّى استحوذ على حياته المُقدّسة؛ فقبض عليه السلام مسموماً شهيداً، ثمّ غُسّل، وكُفّن، ودُفن عليه السلام في مقابر قريش خلف رأس جدّه الإمام موسى الكاظم عليه السلام.[1]

---

١. أنظر المسعودي في مروج الذهب: ج٣ ص٤٦٤، وإثبات الوصيّة: ص٢٢٧. والشبلنجي في نور الأبصار: ص٣٣٠. والطبرسي في إعلام الورى: ج٢ ص١٠٦. وغيرها.

الشعر في رحاب الحقّ

طفحت كتب التاريخ، والسير بسيل عارم من القصائد، والأشعار التي صدحت بإسم آل محمد عليهم السلام قد أجاد بها مجموعة من الشعراء الذين تيقّنوا بأنّ أصدق ما تناله قرائحهم، وأحقّ بها مجداً ذكرهم آل بيت النبي صلى الله عليه وآله مدحاً، ورثاءً، ووصفاً. ولا بأس أن نُذكركم ببعض ما ورد منها ـ حصراً ـ في مناقب الإمام الجواد عليه السلام؛ إلتئاماً ومورد البحث.

شبهك مولاي

قالت مرضعته ـ أي، مرضعة الإمام الجواد عليه السلام ـ :

إنّي أُشبّهك يا مولاي ذا لبة[1] ... شثن البراثن[3] أو صمّاء حيّات[4]
ولست تشبه ورد اللون[2] ذا لبد ... ولا ضئيلاً من الرقش[5] الضئيلات
ولو خسأت سباع الأرض أسكتّها ... أشجاء[6] صوتك حتفاً أيّ إسكات
ولو عزمت على الحيّات تأمرها ... بالكفّ ما جاوزت تلك العزيمات[7]

---

١. اللبة: أنثى الأسد. وإنّما شبّهته عليه السلام بالأسد مع لبته؛ لغاية غيرته.

٢. ورد اللون: الأسد الشجاع الجريء.

٣. الشَّثْنُ من الرجال كالشَّثْل وهو الغليظ، وقد شَثُنَتْ كفُّه، وقَدَمُه شَثَناً، وشُثُونةً وهي شَثْنَة. وفي صفته صلى الله عليه وآله: شَثْنُ الكفّين، والقدمين. أي، إنّهما تميلان إلى الغلَظ: والقِصَر. وقيل: هو الذي في أنامله غلظ بلا قصر. ويُحمد ذلك في الرجال؛ لأنّه أشدُّ لقَبْضهم، ويُذم في النساء. ومنه حديث المغيرة: شَثْنة الكفّ. أي، غليظتها. والشُّثُونة: غِلَظُ الكف، وجُسُوءُ المفاصل. وأسد شَثْنُ البراثِن. لسان العرب لابن منظور: ج١٣ ص٢٣٢«مادّة شثن».

٤. الصمّاء من الحيّات: التي لا تُجيب الراقي؛ لأنّ الرُقى لا تنفعها.

٥. الرقش: الأفعى.

٦. الأشجاء: القهر والغلبة.

٧. مناقب آل أبي طالب للمازندراني: ج٤ ص٣٨٣.

سكنت بإسمهم

وقال عمير بن المتوكّل:

كنّا كشارب سمّ حان مهلكه أغاثة الله بالترياق من كثب[١]
هاجت بمصرعه الدنيا فما سكنت إلا بإسمهم المحاء للدئب[٢] .[٣]

خلائف الله

وقال العبدي:

يا سادتي يا بني علي يا آل طه وآل صاد
من ذا يوازيكم وأنتم خلائف الله في البلاد
أنتم نجوم الهدى اللواتي يهدي بها الله كلّ هاد
لولا هُداكم إذن ضللنا والتبس الغيّ بالرشاد
لا زلت في حبّكم أُوالي عمري وفي بُغضكم أُعادِ
وما تزودت غير حبّي إيّاكم وهو خير زاد
وذاك ذخري الذي عليه في عرصة الحشر اعتمادِ
ولاؤكم والبراء ممّن يشنأكم اعتقادِ[٤]

يا آل ياسين

وقال الناشي:

---

١. الكثب، جمع كثبة ـ بالضمّ فالسكون ـ : وهي من اللبن القليل منه. وقيل: هي مثل الجرعة تبقى في الإناء. راجع لسان العرب لابن منظور: ج١ ص٧٠٢«مادّةكثب» .

٢. الدئب: التعب.

٣. مناقب آل أبي طالب للمازندراني: ج٤ ص٣٨٤.

٤. مناقب آل أبي طالب للمازندراني: ج٤ ص٣٨٥.

يــا آل ياســين مــن بحــبّكم　　بغــير شــكّ لنفــسه نــصحا
أنتم رشاد من الضلال كما　　كـلّ فـساد بحـبّكم صـلحا
وكــلّ مستحـــسن لغيركـــم　　إن قيس يوماً بفضلكم قبحا
مـا مُحيَـت آيـة النهـار لنـا　　بذاته الليـل ذو الجـلال مُحـا
وكيـف يُمحـى رشـاد نـوركم　　وأنتم في دجى الظلام ضحى
أبـــوكم أحمـــد وصــــاحبه　　المنـوح من علم ربّه مُنحـا[1]

ولاة الدين

وقال مهيار الديلمي:

غلامكم في الجحفل ابن عجاجة　　مغيمـة مـن دجنهـا الـدم يهطـل
تعـانق منـه المـوت عريـان تحتهـا　　شـجاع بغـير الـصبر لا يتبتّـل
فكـم لكـم في فتكـه وانبـساطه　　فتـى وفتـاكم في الحجـى يتكهّـل
وأنـتم ولاة الـدين أربـاب حقّـه　　مبيّنـــوه في آياتـــه وهـــو مُـــشكل
مـساقط وحـي الله في حُجُـراتكم　　وبيـــتكم كـــان الكتـــاب يُنـــزّل
يُذاد عن الحوض الشقي ببغضكم　　ويُـــورد مـــن أحببتمـــوه فينهـــل[2]

الواحد المجتبى

وله أيضاً:

عجبـت لقـوم أضـلّوا الـسبيل　　ولم يبتغـــوا اتّبـــاع الهـــدى
فما عرفوا الحقّ حين استنار　　ولا أبـصروا الفجـر لّمـا بـدا
ألا أيّهـــا المعـــشر النـــائمون　　أُحـذّركم أن تعـصوا الكـرى
أفيقـوا فمـا هـي إلا اثنتـان　　إمّـــا الرشـــاد وإمّـــا العمـــى

---

١. مناقب آل أبي طالب للمازندراني: ج٤ ص٣٨٥.
٢. مناقب آل أبي طالب للمازندراني: ج٤ ص٣٨٥.

وما خفي الرشد لكنّما   أضلّ الحلوم اتّباع الهوى
وما خُلقت عبثاً أُمّة   ولا ترك الله قوماً سدى
أكل بني أحمد فضله   ولكنّه الواحد المجتبى[1]

سفينة النجاة

وقال ابن رزيك:

قوم علومهم عن جدّهم أُخذت   عن جبرئيل وجبرئيل عن الله
هم السفينة ما كنّا لنطمع أن   ينجو من الهول يوم الحشر لولا هي
الخاشعون إذا جنّ الظلام فما   تغشاهم سنة تنفي بانباه
ولا بدت ليلة إلا وقابلها   من التهجّد منهم كلّ أوّاه
وليس يشغلهم عن ذكر ربّهم   تغريد شاد ولا ساق ولا طاه
سحائب لا تزال العلم هامية   أجّل من سُحب تهمي بأمواه[2]

١. مناقب آل أبي طالب للمازندراني: ج٤ ص٣٨٦.
٢. مناقب آل أبي طالب للمازندراني: ج٤ ص٣٨٦.

فما لكم كيف تحكمون

وفي الختام نتساءل علماء المسلمين، ذوي العقول السليمة، وأهل الإنصاف والمروءة، ونقول:

أما آن لقلوبكم أن ترعوي للحقّ وهي تسمع بفضائل أئمّة أهل البيتعليهم السلام، وتطمئنّ لسنا مجدهم؟

أما آن لنبراس مَن لم يبلغ من العمر سوى تسع سنين ـ الإمام الجوادعليه السلام حصراً ـ وقد فاق كبار علماء عصره علماً، وفضلاً، وكمالاً، وسؤدداً أن يُنير فكر مَن غرّته الدنيا، وباع حظّه بالأرذل الأدنى؛ لينتشله من الجهالة، وحيرة الضلالة؟

ثمّ ألا يكفي بهذا دليل عناية الباري تعالى بالإمام الجوادعليه السلام من جانب، ولطفه سبحانه بخلقه من جانب آخر لأن يكون الإمام الجوادعليه السلام الحلقة التالية في سلسلة خلفاء رسول اللهصلى الله عليه وآله الذين أخبر عنهم بقولهصلى الله عليه وآله: يكون بعدي إثنا عشر خليفة.[1]

وقولهصلى الله عليه وآله: إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتّى يمضي فيهم إثنا عشر خليفة.

وقولهصلى الله عليه وآله: لا يزال الإسلام عزيزاً إلى إثني عشر خليفة، وكلّهم من قريش.

وقولهصلى الله عليه وآله: لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى إثني عشر خليفة.

وقولهصلى الله عليه وآله: لا يزال الدين قائماً حتّى تقوم الساعة، أو يكون عليكم إثنا عشر خليفة كلّهم من قريش.

وقولهصلى الله عليه وآله: إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتّى يمضي فيهم إثنا عشر خليفة.[2]

---

١. مسند أحمد: ج٥ ص٩٢، حديث جابر بن سمرة.

٢. راجع صحيح مسلم: ج٣ ص١٤٥١ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش.

أو قولهﷺ: لا يزال أمر أُمّتي قائماً حتّى يمضي إثنا عشر خليفة كلّهم من قريش.

وقولهﷺ: لا يزال هذا الدين قائماً حتّى يكون عليكم إثنا عشر خليفة كلّهم تجتمع عليه الأُمّة.

فضلاً عن رواية ابن مسعود، إنّه سُئل: كم يملك هذه الأُمّة من خليفة؟

فقال: سألنا عنها رسول اللهﷺ، فقالﷺ: إثنا عشر، كعدّة نقباء بني إسرائيل.[1]

فهذا الحديث الشريف، المشهور بكثرة طرقه، وتعدّد ألفاظه، المتواتر نقله، والمجمع على صحّته عند الفريقين، لايتطابق، ولا يتوافق إلا ومذهب الشيعة الإثني عشريّة الذين قالوا وحدهم بضرورة اكتمال نصاب إثني عشر إماماً من قريش مُشار عليهم بالنصّ، والوصيّة كابر عن كابر، يجمع بينهم قاسم مشترك يتمثّل بتفرّدهم لأرومة الفضائل كمائز عمّن سواهم من بني جنسهم، ولم يزل هذا يُمثّل ضرورة من ضرورات المذهب التي أقام على أُسّه كامل اعتقاده، ولم يُشاطره بذلك أيّ مذهب من المذاهب الإسلاميّة الأُخرى وإن توافقت معه بوجوب وقوعه غير أنّها اختلفت بتفاصيل رموزه؛ لذلك عمدت للزور والباطل لتأيّيد مطلبها؛ فذكرت خلفاءها بما يتناغم وميولها، إلا أنّ أيّاً منها لم يتمكّن من اثبات مدّعاه بالدليل والبرهان على تسلسل الخلافة فيمن رآه؛ لاصطدامه ومنطق العقل، والعرف على حدّ سواء؛ فلايمكن لغير الأربعة المُجمع بينهم على صحّة استخلافهم أن يرتقوا لأهلية الخلافة الرشيدة ـ كما يصفونها ـ بأي حال من الأحوال، فضلاً عن عدم اطمئنان القلب بهم لذلك؛ لحكم العقل بضرورة مماثلة الخليفة لمن يخلفه علماً، وعملاً، وفضلاً، وكمالاً، وحسباً، ونسباً.

---

١. الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي: ج١ ص٥٤ الفصل الثالث.

ولن يجد الباحث المهتمّ مُماثلاً لرسول اللهﷺ في شيءٍ من ذلك في بني أُميّة حصراً، بل ولا حتّى مُماثلاً منهم لواحدٍ من الخلفاء الراشدين.

فهل يمكن للطليق ابن الطليق، ابن آكلة الأكباد؛ معاوية بن أبي سفيان، مماثلة بمن سبقه؟ أم يمكن أن يكون ذلك لابنه يزيد الكفر، والزندقة، والإلحاد، والفسق، والفجور؟ أم لغيرهما من طواغيت بني أُميّة، وسلاطين بني العباس الذين عاثوا في الأرض الفساد؟

لا شكّ أنّ المماثل لرسول اللهﷺ في كلّ ما له من صفات الكمال ـ سوى النبوّة ـ من مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب، ومحامد الألقاب، وسناء الحسب، وباذخ الشرف، لم يصدق إلا في عترته وأهل بيته الذين أذْهبَ الله عَنهمُ الرِّجْسَ وطَهَّرَهمْ تَطْهيراً[١]. الذين لم تُنجّسهم الجاهلية بأنجاسها، ولم يُدنّس الكفر ثيابهم، ولا الشرك نال منهم، ولا النفاق أبداً. عدل القرآن، وشُركاءه، لن يفترقا حتّى يردا على رسول اللهﷺ الحوض، كما نصّ رسول اللهﷺ في قوله:

إنّي تارك فيكم ثقلين؛ أوّلهما: كتاب الله. فيه الهدى، والنور. وثانيهما: أهل بيتي. أُذكّركم الله في أهل بيتي. أُذكّركم الله في أهل بيتي. أُذكّركم الله في أهل بيتي.[٢]

وقولهﷺ: إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله؛ حبل ممدود من السماء إلى الأرض. وعترتي أهل بيتي.

---

١. استشهاداً لقوله تعالى: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. من سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

٢. راجع صحيح مسلم: ج٤ ص١٨٧٣ كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عليعليه السلام. ومسند أحمد: ج٤ ص٣٦٦، وسنن البيهقي: ج٢ ص١٤٨، وغيرها.

ولن يفترقا، حتّى يردا عليّ الحوض. فانظروا كيف تخلفوني فيهما.[١]

وقوله ﷺ: إنّي تارك فيكم خليفتين: كتاب الله؛ حبل ممدود ما بين السماء والأرض ـ أو ما بين السماء إلى الأرض ـ وعترتي أهل بيتي. وإنّهما لن يتفرّقا حتّى يردا علي الحوض.[٢]

هذا فضلاً عمّا تواتر، واشتهر بما عمّت شهرته آفاق السماوات والأرض على أنّ آل بيت النبي ﷺ كسفينة نوح؛ مَن ركبها نجا، ومَن تخلّف عنها هلك، وهوى.

قال ابن المغازلي الشافعي: أخبرنا أبو الحسن، أحمد بن المظفّر بن أحمد العطّار الفقيه الشافعي، حدّثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عثمان المُلقّب بـ«ابن السّقاء» الحافظ الواسطي... إلى قوله: الرشيد يقول: سمعت المهدي يقول: سمعت المنصور يقول: حدّثني أبي، عن أبيه، عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح؛ مَن ركبها نجا، ومَن تخلّف عنها

---

١. راجع صحيح الترمذي: ج٢ ص٣٠٨، وأُسد الغابة لابن الأثير: ج٢ ص١٢، وغيرهما.

٢. أُنظر مسند أحمد: ج٥ ص١٨١.

أقول: وهذا ذكره المتّقي الهندي أيضاً، وقال: للطبراني، عن زيد بن ثابت، وقال أيضاً: أخرجه عبد بن حميد، وابن الأنباري عن زيد بن ثابت، وأيضاً قال: للطبراني في الكبير، ولسعيد بن منصور في سننه عن زيد بن ثابت، وأيضاً قال: أخرجه ابن جرير في تهذيب الآثار. راجع كنز العمال: ج١ ص٤٤ و٤٧ و٩٨.

وذكره المناوي أيضاً في فيض القدير في المتن، وقال في الشرح: ورواه أيضاً أبو يعلى. .. والحافظ عبد العزيز الأخضر. وقال: قال السمهودي: وفي الباب ما يزيد على عشرين من الصحابة. راجع فيض القدير: ج٣ ص١٤ رقم٢٦٣١.

وقال ابن حجر الهيثمي: ولهذا الحديث طرق كثيرة عن بضع وعشرين صحابيّاً، لا حاجة لنا ببسطه. راجع الصواعق المحرقة: ج٢ ص٦٥٢ـ٦٥٣ باب وصية النبي ﷺ.

هلك.[١]

وقال ابن حجر الهيتمي: وجاء من طرق كثيرة يقوّي بعضها بعضاً: مَثَل أهل بيتي، وفي رواية: إنّما مثل أهل بيتي، وفي أُخرى: إنّ مَثَل أهل بيتي، وفي رواية: ألا إنّ مَثَل أهل بيتي فكيم مثل سفينة نوح في قومه؛ مَن ركبها نجا، ومَن تخلّف عنها غرق، وفي رواية: مَن ركبها سَلِم، ومَن تركها غرق، وإنّ مَثَل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني إسرائيل؛ مَن دخله غُفر له.

وقال: أخرج جماعة خبر: النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأُمّتي. وفي رواية لأحمد ـ ابن حنبل ـ وغيره: النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء. وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض.[٢]

وروى ابن المغازلي أيضاً، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن عثمان... إلى قوله: حدّثنا عمر بن ثابت، عن موسى بن عبيدة، عن إياس بن سلمة بن الأكوع، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَثَل أهل بيتي مثل سفينة نوح؛ مَن ركبها نجا.[٣]

ومثله رواه الخطيب البغدادي عن أنس بن مالك.[٤]

وروى ابن المغازلي أيضاً: بسنده عن أبي ذر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّما مَثَل أهل بيتي مثل سفينة نوح؛ مَن ركب فيها نجا، ومَن تخلّف عنها غرق.[٥]

ورواه الطبراني أيضاً عن سعيد بن المسيّب، عن أبي ذر، وزاد فيه: ومَن قاتلنا

---

١. المناقب: ص١٣٢ رقم١٧٣.

٢. الصواعق المحرقة: ج٢ ص٦٧٥ باب الأمان ببقائهم عليهم السلام.

٣. المناقب: ص١٣٢ رقم ١٧٤.

٤. تاريخ بغداد: ج١٢ ص٩١.

٥. المناقب: ص١٣٢ رقم١٧٥.

في آخر الزمان؛ فكأنّما قاتل مع الدّجال.[١]

وقال ابن حجر الهيتمي: أخرج ابن سعد، والملا في سيرته، إنهﷺ قال: استوصوا بأهل بيتي خيراً فإنّي أُخاصمكم عنهم غداً، ومن أكن خصمه أخصمه، ومن أخصمه دخل النار. وإنهﷺ قال: من حفظني في أهل بيتي فقد اتخذ عند الله عهداً.

وأخرج الأوّل ـ يعني ابن سعد ـ : أنا وأهل بيتي شجرة في الجنّة، وأغصانها في الدنيا، فمَن شاء اتّخذ إلى ربّه سبيلاً.

والثاني ـ يعني، الملا ـ حديث: في كلّ خلف من أُمّتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالّين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. ألا وإنّ أئمّتكم وفدكم إلى اللهﷻ؛ فانظروا مَن توفدون.

وأخرج أحمد خبر الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت...

وقال تحت «تنبيه»:

سمّى رسول اللهﷺ القرآن، وعترته ـ وهي بالمثناة الفوقية. والأهل، والنسل، والرهط، الأدنون ـ : ثقلين؛ لأنّ الثقل كلّ نفيس خطير مصون، وهذان ـ القرآن، والعترة ـ كذلك، اذ كلّ منهما معدن للعلوم الدينيّة، والأسرار والحكم العليّة، والأحكام الشرعيّة؛ ولذا حثّﷺ على الإقتداء والتمسّك بهم، والتعلّم منهم، وقالﷺ: الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت.

وقيل: سُمّيا ثقلين؛ لثقل وجوب رعاية حقوقهما. ثمّ الذين وقع الحثّ عليهم منهم إنّما هم العارفون بكتاب الله، وسنّة رسول اللهﷺ؛ إذ هم الذين لا يُفارقون الكتاب إلى الحوض. ويؤيده الخبر السابق: ولا تُعلّموهم فإنّهم أعلم منكم.

---

١. المعجم الكبير: ج٣ ص٤٥ رقم٢٦٣٦.

وتميّزوا بذلك عن بقية العلماء؛ لأنّ الله أذهب عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيراً، وشرّفهم بالكرامات الباهرة، والمزايا المتكاثرة، والخبر الذي في قريش: وتعلّموا منهم؛ فإنّهم أعلم منكم.

فإذا ثبت هذا العموم؛ فأهل البيت عليهم السلام أولى منهم بذلك، لأنّهم امتازوا عنهم بخصوصيات لا يُشاركهم فيها بقية قريش.

وفي أحاديث الحثّ على التمسّك بأهل البيت عليهم السلام إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسّك به إلى يوم القيامة، كما أنّ الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض. ويشهد لذلك الخبر السابق: في كلّ خلف من أُمّتي عدول من أهل بيتي... إلخ.

ثمّ أحقّ من يتمسّك به منهم إمامهم، وعالمهم علي بن أبي طالب (كرّم الله وجهه) لمّا قدّمناه من مزيد علمه، ودقائق مستنبطاته.

ومن ثمّ قال أبو بكر: علي عترة رسول الله. أي، الذين حثّ على التمسّك بهم؛ فخصّه بما قلنا، وكذلك خصّه صلى الله عليه وآله بما مرّ يوم غدير خمّ...

ثمّ قال: الآية الخامسة ـ من الآيات الواردة فيهم ـ قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾[1].

أخرج الثعلبي في تفسيرها عن جعفر الصادق عليه السلام، إنّه قال: نحن حبل الله الذي قال الله: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾. وكان جدّه زين العابدين عليه السلام إذا تلا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[2]. يقول دعاءً طويلاً يشتمل على طلب اللحوق بدرجة الصادقين، والدرجات العليّة، وعلى وصف

---

١. سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

٢. سورة التوبة، الآية: ١١٩.

المحن، وما انتحلته المبتدعة المفارقون لأئمّة الدين، والشجرة النبويّة. ثمّ يقول ـ يعني، زين العابدين عليه السلام ـ: وذهب آخرون إلى التقصير في أمرنا، واحتجّوا بمتشابه القرآن؛ فتأولوا بآرائهم، واتّهموا مأثور الخبر. إلى أن قال عليه السلام: فإلى من يفزع خلف هذه الأمّة وقد دُرست أعلام هذه الملّة، ودانت الأمّة بالفرقة والإختلاف؛ يُكفّر بعضهم بعضاً، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾[١].

فمن الموثوق به على إبلاغ الحجّة، وتأويل الحكم إلى أهل الكتاب، وأبناء أئمّة الهدى، ومصابيح الدجى الذين احتجّ الله بهم على عباده، ولم يدع الخلق سُدى من غير حجّة، هل تعرفونهم، أو تجدونهم إلا من فروع الشجرة المباركة، وبقايا الصفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وبرّأهم من الآفات، وافترض مودّتهم في الكتاب... إنتهى.[٢]

نعم، كما أنّ حديث الثقلين ـ مرّ تفصيله في المدخل من هذا الكتاب[٣] ـ يُعدّ أقوى دليل، وأوضح برهان على أنّ مُراد رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله: يكون بعدي إثنا عشر خليفة. إنّما يتجسّد فيمَن تعتقد الشيعة الإثنا عشريّة بخلافتهم، ووصايتهم واحداً بعد واحد، وبإمامتهم للأُمّة الإسلاميّة، فضلاً عنه أقدر على تفسير قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، بل مطابقته له.

لأنّه لم يكن في المذاهب الإسلاميّة من يقول بإثني عشر خليفة معيّنين، ومشخّصين إسماً، وكنية، ولقباً سوى المذهب الإمامي الإثني عشري[٤].

---

١. سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.

٢. الصواعق المحرقة: ج٢ ص٤٤١ الفصل الأوّل في الآيات الواردة فيهم عليهم السلام.

٣. أنظر الجزءين: الأوّل، والثاني.

٤. قال العلامة محمد جواد مغنيّة: فالسنّة يتّفقون مع الشيعة في أنّ الخلافة لابدّ منها، وأنّها في قريش دون

غيرهم، وأنّ عدد الأئمّة إثنا عشر إماماً؛ ويختلفون معهم في أمرين:

الأوّل: في حصر الخلافة بالهاشميين، وبصورة أخصّ بعلي، وبنيه.

الثاني: في تعيين الأئمّة الإثني عشر بأسمائهم، وأنسابهم. يختلفون في هذين، أمّا أصل فكرة الإثني عشريّة فمحل وفاق بين السنّة والشيعة الإثني عشريّة، وعلى هذا تكون فكرة إسلاميّة تعمّ الطرفين، لا سنّية فقط، ولا شيعية فقط، تماماً كفكرة العصمة، وفكرة الخلافة من حيث المبدأ، والقاعد.

أمّا السبب لتسمية هذه الفرقة من الشيعة بالإثني عشريّة دون غيرها، مع العلم بأنّ السنّة يؤمنون بالأئمّة الـ «١٢» فهو أنّ هذه الفرقة قد أجمعت على تعيّين الـ «١٢» بأسمائهم، وأعيانهم، واختلف السنّة في ذلك. فمنهم من قال: إنّ الـ «١٢» لم يُخلقوا بعد، وسيُخلقون، ويملكون بعد ظهور المهديّ المنتظر، ووفاته.

ومنهم من قال: إنّ المراد بالـ «١٢» غير أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله لأنّ حكم أصحابه يرتبط بحكمه؛ وعليه يكون أوّل الأئمّة الذين عناهم النبي صلى الله عليه وآله يزيد بن معاوية، ثمّ ابنه معاوية، ثمّ عبد الملك، وأولاد الأربعة: الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام. وعمر بن عبد العزيز، والوليد بن يزيد، ويزيد بن الوليد، وأخوه إبراهيم، ومروان الحمار.

ومنهم من قال: هم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ومعاوية، وولده يزيد، وعبد الملك، وأولاده الأربعة، وعمر بن عبد العزيز.

ومنهم من قال: المراد وجود «١٢» إماماً في مدّة الإسلام، حتّى يوم القيامة، وإن لم تتوال أيامهم. إلى غير ذلك. الشيعة في الميزان: ص٤٣٢.

١. روى الحمويني الجويني، بسنده: عن ابن عبّاس، قال: قدم يهودي يُقال له: «نعثل» فقال: يا محمد. .. فقال: إنّ وصيي علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي: الحسن، والحسين. تتلوه تسعة أئمّة من صلب الحسين.

قال: يا محمد، فسمّهم لي؟

قال صلى الله عليه وآله: إذا مضى الحسين؛ فابنه علي، فإذا مضى علي؛ فابنه محمد، فإذا مضى محمد؛ فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر؛ فابنه موسى، فإذا مضى موسى؛ فابنه علي، فإذا مضى علي؛ فابنه محمد، فإذا مضى محمد؛ فابنه علي، فإذا مضى علي؛ فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن؛ فابنه الحجّة، محمّد المهدي. فهؤلاء إثنا عشر. فرائد السمطين: ج٢ ص١٣٢ رقم٤٣١.

وروى القندوزي الحنفي، بسنده: عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: دخل جندل بن جنادة اليهودي على رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا محمد. .. قال: أخبرني يا رسول الله عن أوصيائك من بعدك؛ لا تمسّك بهم؟

وعليه؛ فحديث «الخلفاء» لا ينطبق على أيّ مذهب من المذاهب الإسلاميّة بإستثناء مذهب الحقّ؛ مذهب الشيعة الإماميّة الإثني عشريّة. ولو لم يكن للشيعة الإثني عشريّة دليل على خلافة أئمّتهم عليهم السلام سوى حديث «الثقلين» و«السفينة» لكفاهم بذلك حجّة على مَن خالفهم.

لا شكّ، ولا ريب فالذي تقول الشيعة بخلافتهم، وتعتقد بإمامتهم، إنّما هُم كلّهم كذلك؛ فهم عليهم السلام المطهّرون ـ بشهادة كتاب الله ـ من كلّ رجس، والمُستجاب لهم إذا أمّنوا، قد تساوت بأجر الرسالة مودّتهم، واختصروا الخلقة الأُولى بإثارهم على أنفسهم.

نعم، فهم عليهم السلام كذلك؛ أهل آية التطهير، وآية المباهلة، وآية المودّة، وسورة هل أتى.

قال صلى الله عليه وآله: أوصيائي الإثنا عشر؟!

قال جندل: هكذا وجدناهم في التوراة، وقال: يا رسول الله، سمّهم لي.

فقال صلى الله عليه وآله: أوّلهم: سيّد الأوصياء، أبو الأئمّة علي، ثمّ ابناه: الحسن، والحسين. فاستمسك بهم، ولا يغرنّك جهل الجاهلين. فإذا ولد علي بن الحسين، زين العابدين يقضي الله عليك، ويكون آخر زادك من الدنيا شربة لبن تشربه.

فقال جندل: وجدنا في التوراة، وفي كتب الأنبياء «عل» إيليا، وشبّراً، وشبيراً. فهذه إسم: علي، والحسن، والحسين. فمن بعد الحسين؟ وما أساميهم؟

قال صلى الله عليه وآله: إذا انقضت مدّة الحسين، فالإمام ابنه علي، ويُلقّب بـ«زين العابدين» فبعده ابنه محمد يُلقّب بـ«الباقر» فبعده ابنه جعفر يُدعى بـ«الصادق» فبعده ابنه موسى يُدعى بـ«الكاظم» فبعده ابنه علي يُدعى بـ«الرضا» فبعده ابنه محمد يُدعى بـ«التقي، والزكي» فبعده ابنه علي يُدعى بـ«النقي، والهادي» فبعده ابنه الحسن يُدعى بـ«العسكري» فبعده ابنه محمد يُدعى بـ«المهدي، والقائم، والحجّة» فيغيب ثمّ يخرج، فإذا خرج يملأ الأرض قسطاً، وعدلاً كما مُلئت جوراً، وظلماً. طوبى للصابرين في غيبته، طوبى للمقيمين على محبّتهم... إلخ. ينابيع المودّة: ج٣ ص٢٨٣ ب٧٦ في بيان الأئمّة الإثني عشر عليهم السلام بأسمائهم.

فمن أمعن النظر في معتقد الشيعة الإثني عشريّة، بقصده المعرفة، والاطّلاع على حقّيّتها، متحقّقاً ممّا لهم على ذلك من أدلّة وبراهين، بعيداً عن التعصّب المقيت؛ ما خرج بغير تصديقهم، مع كامل اعترافه باستقامة طريقهم، وصواب مذهبهم، غير متهوك، ولا مُرتاب من كونه مذهباً قد وافق الخطى هدياً، مستوثقاً من مكنون علمٍ قد كان السمع، والفؤاد، ثمّ البصر كلّهم عنه مسؤلا[١]، مذهباً يُدين لأهل بيت رسول الله ﷺ بالحقّ، والصدق، المؤيدين بالكتاب الكريم، والسنّة المُطهّرة.

وبذلك كلّه ـ على الرغم من تقصيرنا، وقصورنا ـ يتبيّن الحقّ حقّاً لمن أراد أن يتّبعه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

أحمد بن عبد العزيز الموسوي الفالي
٢٦/ربيع الثاني/١٤١١هـ
قمّ المقدّسة

---

١. إقتباس من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾. سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

الفهرس

التاسع من خلفاء الرسول ﷺ

الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام